المعجم العربي الجديد
المقدمة



هادي العلوي

● هادي العلوي
المعجم العربي الجديد - المقدمة

● الطبعة الأولى ١٩٨٣
● الناشر :
دار الحوار للنشر والتوزيع
سورية - اللاذقية
ص ب ١٠١٨ - هاتف ٢٢٣٣٩

المعجم العربي الجديد

المقدمة

هادي العلوي

دار الحوار

● اللغة تتغير بالطبع، لن أماري في هذا، واوراق الشجـرة ايضاً تتبدل كل عام ؛ بعضها يسقط وبعضها ينمو . لكن الشجرة ذاتها تبقى ، وتصبح مع كل عام جديد ازهى وأورق وأقوى ، وعليها تنمو في آخر الأمر الثمار .

رسول حمزتوف

● المكثر في النحو كالمكثر من غرس شجر لا ثمر فيه .

ابو حنيفة

فاتحة

يكابد التعبير اللغوي في العربية المعاصرة معضلات جمة يتحسسها الجميع من علماء وادباء وقراء ، وتزداد المطالبة لذلك بالأصلاح والاستجابة لمستلزمات التطور التي توجب إعادة النظر في الكثير من مسلماتنا اللغوية ، التي يصر الالكليروس اللغوي على حراستها بقوة الأمر والنهي . وللتطور احكامه ، وهو في مضمار اللغة مخصوص بما يجعلها وافية بحاجات عصرها ؛ فهو لا يندرج في باب نفي النفي لأن اللغة ليست نتاجاً إجتماعياً صرفاً لمرحلة او طبقة بعينها . لكن التطور اللغوي يعني الكثير حين ينظر اليه خارج هذا المنحى . وفي برهة هائلة كالتي نعيشها لا تكاد لغة مهما تحصنت ضد التغيير أن تكون في نجوة منه ، حاجة تفرضها مسيرة الحياة الساحقة على كل اللغات فترغمها على المجاراة من اجل ان تعيش ، ان اللغة التي لا تتسع لهذه الحاجة مآلها الانقراض .

ولعل اللغويين الذين يحرسون اللغة بقوة الأمر والنهي انما يحرسون ضريحاً لا كائناً حياً . وهم في قيامهم بدور السَدَنة لا بد أن ينتهوا باللغة الى الانحسار ، امام تحديات البرهة الراهنة ، في لغة كتابة تتلى في المعابد ولغة كلام تقضى بها امور الحياة اليومية ، او ينظم بها الشعر في احسن الأحوال ، منتهين بأهلها في آخر المطاف الى البحث عن لغة صديقة يتعاملون بها مع العصر الحديث .

***

يشتمل موروثنا اللغوي في جانبيه النظري والتطبيقي على الكثير من العناصر التي يمكن الابتداء منها في سيرورة الاصلاح ، مما هرّبه اللغويون المعاصرون عن أعين الناس لأسباب قد تخصهم وحدهم . ونحن الآن في أمسّ الحاجة الى استعادة هذه المهربات وادماجها في الكيان الجديد المنشود للغة العصر . وسيرى القارىء لهذا الكتاب مطالب تطوير واصلاح مستمدة من قطاعي اللغة ؛ المنطوق والمكتوب ، لا تزيد على كونها أحياء موءودة بفعل التحيز الاكليروسي .

على اني لا أجد ما يلزمنا بالوقوف عند حدود الماضي ما دمنا نعيش في هذه الحياة الساحقة . وليس من شك في اننا مطالبون بالتوسع فيما لم يتوسع فيه الغابرون من الحلول اللغوية التي تقوم على اساس خدمة القواعد للغة وليس اللغة للقواعد .

ناظراً الى هذه الحقائق ، يعالج هذا الكتاب مواد من الموروث والراهن أريد بها إنشاء صورة اصلاح مقترحة تطمح الى توفير حلول معقولة لمشكلة التعبير اللغوي في مناحيه المتعددة من لغة علم وكتابة وكلام وتلاوة . وهو باستمزاجه كلاً من الموروث والراهن يريد ان يكون المقترح وسيلة اصلاح وإثراء لا انقطاع وافقار ، ووسيلة تفاهم وتوحيد ضد الانشطارات العشوائية في اللغة .

ويصبو المقترح - في جملة ما يصبو اليه - الى ان يتأسس في مشروع معجم جديد يقوم على العربية الموسعة : عربية القاموس مضافاً اليها عربية الدارج ، بعد تشذيب محتوياتها وفق المبادىء التي سنعرض لها في الكتاب . وقد وضعت خطة العمل في المعجم مسترشداً بهذه المبادىء .

على انني اذ ادرك وعورة الدرب الموصل الى مثل هذا الانجاز لا اجد الاسراع فيه ضرورياً او محموداً . واني لأطمح الى العون من الذين تكظهم مشكلات اللغة والمعرفة في عالمنا العربي . وسوف اتريث على الأقل حتى ينتشر هذا الكتاب ويقرأ ، قبل الاقدام على وضع المشروع في طور الانجاز

النهائي ، فلعليّ أظفر برأي نافع او فكرة اجهلها او ملحوظة فاتني الالتفات اليها . وعقل الفرد ليس كعقل الجماعة ، عندما يتوفر فيهم شرط الجماعة الحق . .

اخيراً ، ورفعاً لأي التباس ، اود أن أضيف من الآن ان هذا الكتاب ، وما سيرتهن به من مشروع المعجم الجديد ، لن يتسع ، على ما فيه من سعة ، لرأي اثنين : دعاة العامية ، والاكليروس اللغوي . ان علاقتنا مع كلا الطرفين تخرج من تخوم اللغة الى العمل السياسي . فالدعوة الى العامية ، على تفاهتها وضآلة شأن القائلين بها ، هي مشروع سياسي يعالج في ميدان الصراع بين معسكر حركة التحرر العربي والمعسكر الصهيو - امبريالي . اما الاكليروس فيرفضنا ونرفضه دون مقدمات . ولعله مع ذلك أن يلجأ الى السياسة ليحكمها فينا ، ولا شك في انه سيجد الكثير من الأنصار بين الغيارى على نقاوة الدم واللغة والتراث ، من الذين تخصصوا في تمويل طائرات العدو بالنفط المكسور النون ، ومصارفه العديدة الجنسيات بالأرصدة .

لكنه على اي حال مشروع للتجاوز وليس للمداهنة . وحكم السياسة ليس كحكم التاريخ .

بكين ١٩٨٣

هادي العلوي



مدخل

تتسع اللغة وتنكمش على قدر المعطى الحضاري - الاقتصادي - في مرحلة تاريخية معينة ، ولو انها لا تخضع لاحكام التطور الاجتماعي بالوتيرة التي تحدث للطبقات والمجتمعات ، تبعاً لقناعات الالسنيين المعاصرين . وبقدر الحاجة التي يمليها التطور في وقت ما تتكامل اللغة وتنضج من اجل ان توفر اداة التعبير عن مستلزمات الوقت . وبنفس المستوى يمكن القول ان المجتمع الذي يشهد هبوطاً في القوى المنتجة وتدهوراً لاحقاً في تكويناته الثقافية والحضارية لا بد أن يواجه ازمة لغة تتناسب مع حالة الركود التي يعانيها .

ان الحضارة تفرض حاجاتها اللغوية فتدفع باللغة الى الاتساع والنمو حتى تفي بهذه الحاجات ، وسقوط الحضارة يزوي معه لغة المجتمع ويحصرها في محدودات اولية تشكل في النهاية حالة ابتسار من الكيان الأوسع للغة .

ومن ابلغ اللواحق السلبية لهذا السقوط تقلص رقعة الكتابة وانكفاء قاموس اللغة الحي الى مفردات حياة يومية مقدرة بمحدودية وعي المجتمع وثقافته . ويمكن تصور الدرجة التقريبية لهذا الانكماش بمعرفة الفارق بين لغة المثقف ولغة الفرد العادي ، ذلك الفارق الملحوظ حتى في المجتمعات الراقية ثقافياً ، حيث تتفاوت حظوظ المعرفة ويتفاوت تبعاً لها نصيب الفرد من قاموس لغته المكتوب .

ان المثال الأشد وضوحا لهذه الحالة هو ما آلت اليه اللغة العربية بعد سقوط حضارة الاسلام ؛ فمع الانحسار الذي امتد الى كل وجوه الحياة في المجتمع العربي تراجع قاموس اللغة الى عاميات اقليمية تتوزع كل منها

على لهجات محلية في غاية الفقر . اما المكتوب فاقتصر على الأغراض الدينية ، التي لم تعد هي الأخرى تعبر عن نفس النشاط الديني الواسع والخصيب في عصور الحضارة . ولعلنا نستطيع تقدير مدى فقر اللغة المكتوبة في عصور الانحطاط اذا تذكرنا كيف اختفى النشاط العقلي الذي ازدهر في العصور الاسلامية حيث توقفت العلوم تماما ، وانزوت الفلسفة الى عمل شراح تعليميين ، وانتهى علم الكلام بعد اختفاء المعتزلة الى ميدان صغير تجول فيه خيل الحنابلة ، ولم يبق من التصوف الا الدروشة التي اهوت بالجنون اللغوي للمتصوفة الى شعوذات طقوسية بليدة . وقد اطل العصر الحديث والعربي يواجه حالة شبيهة بالانقراض اللغوي تفاقمت لديه حين وجد نفسه على حين غرة امام الهجمة الحضارية القادمة من الغرب. ولم يكن لدى العربي قبل ذلك ادنى شعور بالمفارقة بين فقره اللغوي وحياته الاجتماعية ، فما كان لديه من «لغة» يكفيه لتمشية حياة تبدأ وتنتهي في قرية او ضاحية او بلدة في افضل الأحوال ، ولم تكن متطلبات هذه الحياة في حاجة الى اكثر من قاموس جيب يكفي شؤ ون الحياة اليومية الخالية من الابداع ويوفر للشعراء اداة للتعبير . لكن صدمة الحضارة فرضت على العربي مجابهة صعبة لم يكن قد استعد لها تمام الاستعداد .

لقدأدت هذه الصدمة بشعوب عديدة في القارات الخمسة الى الانصهار في لغات المتحضرين البيض ، الذين احتلوا بلدانهم فاستوطنوها او استعمروها . ومع ان هذا الانصهار مرتهن اساساً بمخططات الابادة التي نفذها الهمجيون البيض فهو لم يكن ليأخذ مداه الفاجع لولا حالة الانقراض اللغوي التي كانت تمر بها تلك الشعوب . ومن الملحوظ ، عموماً ، ان اللغات البيضاء حققت انتصارها على اللهجات المحلية ، العاميات الغير مكتوبة ، في افريقيا والامريكيتين واستراليا ، وفي بعض نواحي آسيا ، لكنها لم تحقق مثل هذا القدر من السيادة ضد لغة حية مكتوبة . ان هذا ما يفسر صمود السواحلية والعربية والامهرية في افريقيا دون معظم اللغات الافريقية التي هي في جملتها لهجات قبائل محلية محدودة الابعاد بدائية الثقافة .

ان الصدمة التي فاجأت العربي مردها إلى انفصاله عن لغته المكتوبة . ولكن مع وجود هذه اللغة لديه ـ ولو محفوظة في القماطر ـ فقد كان بمقدوره الرد على التحدي بدرجة تكفي على الأقل لعدم الانصهار . وقد استطاعت العربية ان تصمد من خلال محاولات مبكرة قام بها ابناؤ ها للوفاء بمطالب الحياة الجديدة . فالصمود ليس مسألة عناد بل هو رد واعي على التحدي يحقق مداه المطلوب بقدر ما يمتلك الصامد من مقومات البقاء .

وكان على العرب للخروج من مأزق اللغة ان يعودوا الى مدوناتهم ـ فظهرت حركة الاحياء اللغوي في غضون القرن التاسع عشر بوتيرةمتقدمة انتهت باسترداد واسع النطاق شمل امهات كتب اللغة ومعاجمها المتعددة الاحجام والاختصاصات، واقترنت في نفس الوقت بمشروعات طموحة للتأليف المعجمي تأوجت في محيط المحيط للبستاني . وقد ظهرت في وقت لاحق ، تحت تأثير الثورة البرجوازية المصرية التي قادها محمد علي باشا ، ولو في ظروف الاجهاض الخارجي لهذه الثورة ، حركة ثقافية ناشطة استوعبت افضل تقاليد الأدب العربي في عصوره الجاهلية والاسلامية ، ومضت تتطور على يد طه حسين وجيله من الاعلام فتعيد للكتابة العربية مركزها الذي فقدته بعد السقوط ، واخرجت الى الحياة مخزوناً لغوياً هائلاً بقي لعدة قرون مطموراً تحت غبار الانحطاط الثقافي .

ومع اشتداد ضغط الحضارة الحديثة على العالم العربي في العقود الأخيرة تبلورت مشكلة اخرى تفرض على اللغة العربية ان تتخطى نجاحها السابق الذي احرزته كلغة ثقافة الى التحقق في مضمار آخر تكون فيه لغة علم . ورغم ان النهضة العلمية لم تبدأ عندنا فان مسألة التعبير العلمي تتأكد بالحاح . وقد جاءت الاستجابات في البدء متلكئة ؛ لعدم مسيس الحاجة أولاً ، وللعقبات التي وضعها اللغويون ثانياً ، ولأن المعنيين بالأمر واجهوا فضلاً عن ذلك نقصاً في موروث اللغة العلمية ناشئا من قلة ما تم

احياؤه من التراث العلمي ، حيث جرى التركيز في الاحياء على تراث الادب والدين والانسانيات ، دون العلوم والصناعات ، مما افقدهم اساساً ضرورياً لتكوين اللغة العلمية المنشودة .

لكن النشاط ما لبث ان دب في هذا المضمار متزامناً مع تجربة ناجحة قامت بها سوريا لتدريس العلوم في جامعاتها بالعربية . وقد دفع هذا القرار الطموح مفكري سوريا الى البحث عن وسائل لحل مشكلة الاصطلاح العلمي . وأثمرت مساعي جيل كامل من السوريين حركة رائدة في هذا الحقل المبكر تداخل فيها العمل المعجمي مع التطبيق الدراسي الحي في الأقسام المختلفة للجامعات .

وطوال العقدين الأخيرين تكاثرت المعاجم المتخصصة واوشكت ان تمتد الى كل فروع المعرفة العلمية الحديثة، وتباري فيها مؤلفون من سوريا ومصر ولبنان لم يأتوا من اوساط اللغويين وانما هم في الغالب مختصون اضافوا الى اختصاصهم العلمي معرفة وافية باللغة .

وفي وقت متأخر ظهر مكتب تنسيق التعريب في الرباط وأصدر مجلة «اللسان العربي» التي عنيت بالدراسات المعجمية وبالمصطلحات واصدرت عدداً من المعاجم المتخصصة في شتى الفروع العلمية والتكنولوجية . وقد تعرقلت اعمال المكتب فيما بعد بتأثير تدخلات خارجية في بعض المجامع والمؤسسات الثقافية التي لم يرق لها ظهور مثل هذه المؤسسة . ويدل مصير هذا المكتب على صعوبة العمل العلمي النزيه في الأوضاع العربية الراهنة .

من الأعمال التي تستحق التنويه هنا ـ الى جانب التجربة السورية واعمال مكتب التعريب ـ معجم حتي الطبي للدكتور يوسف حتي ـ لبنان ـ. وقد استوعب فيه المصطلحات الحديثة في الطب والتشريح . وهو مرجع اساسي في هذا الباب ومؤلفه عالم له تجربة عريضة في الطب واللغة تمتد الى نصف قرن .

ومعجم المصطلحات الفنية الصادر عن دائرة التدريب المهني للقوات المسلحة في القاهرة ١٩٦٢ . ويشتمل على جملة وافرة من المصطلحات في بعض فروع العلم والتكنولوجيا ، وان يكن مفتقراً الى الشمول . وقد تضافرت على اصداره زمرة من المختصين الكبار في المجالات التي تناولها .

والمعجم العسكري الصادر في دمشق ١٩٦١ محتوياً على ٢٥ الف مصطلح في الشؤون العسكرية علماً وفناً .

والموسوعة في علوم الطبيعة، للمهندس ادورد غالب، صدرت عام ١٩٦٦ واشتملت على قرابة ٢٥ الف مصطلح في علمي الحيوان والنبات مع ما يتعلق بهما في الفلك والتشريح والمناخ والطوبوغرافيا . . الخ وهي عمل متميز يكاد يستوفي مخزون اللغة بقطاعيه الفصيح وبعض العامي في هذه الحقول . ومما يميز الموسوعة انها معجم عديد اللغات فقد احتوى على المقابل العربي لمفردات ثلاثة قواميس كبرى هي اللاتينية والانكليزية والفرنسية ، بالاضافة الى متفرقات من الالمانية والايطالية . وقد اظهر ادورد غالب بهذا العمل قدرته على استيعاب هذاالمخزون المودع معظمه في المعاجم الكلاسيكية والمتفرق بعضه على السنة الناس، واستخدامه بقدر مشهود من الابداع والاتقان . واستطيع القول ان موسوعة ادورد غالب قد أغنت عما سواها ولن يعوزها في الواقع غير طبعات جديدة اكثر توسعاً يستكمل بها الفوات من الشوارد التي خلت منها الطبعة الحالية .

و «المعجم الزولوجي الحديث» كتاب من ثماني مجلدات مكرسة لعلم الحيوان اصدره الشيخ كاظم الملكي ، من رجال الدين في مدينة النجف ـ الحاضرة الشيعية المعروفة ـ واستقصى فيه اسماء الحيوانات في العالم بأصلها العربي ومقابلها العلمي ، مع نبذة عن كل حيوان وما ورد عنه في التراث الاسلامي . لكن المعجم لم يكتب له الرواج ، شأن اي كتاب يصدر في العراق لا سيما من عالم متجرد اضطر الى بيع مسكنه لتمويل طبع الكتاب .

ويروق لي التنويه اخيراً بجهود عالم آخر من نفس المدينة هو الدكتور صادق الهلالي استاذ الفيزيولوجي السابق في جامعة بغداد ، الذي اخرج منذ بعض السنين مجلدين كبيرين استوفى بهما أدق واحدث معطيات فسلجة الجهاز العصبي - المركزي والمحيطي - بلغة علمية سليمة ومصطلحات دقيقة استمد بعضها من المعاجم المتداولة ومفردات مجامع اللغة وعدل بعضها لتلائم اغراضه ، بينما ارتجل جملة اخرى منها بنفسه مستأنساً بخبرته الوافرة في هذا العلم ، وتمكنه من اللغة التي وجدت لها في النجف واحدة من واحات استجمامها القليلة في الصحراء العثمانية . وقد اردف هذا الانجاز بالشروع في تأليف معجم للعلوم الدقيقة كان قد قطع فيه شوطاً قبل ان يتعرض لمحنة مرتبة اقعدته عن المواصلة . وقد تركته مشلول الارادة عاجزاً عن عمل اراد به وجه العلم وحده . . .

ان ما لم اذكره من المعاجم يزيد على ما ذكرته وانما توخيت التمثيل دون الحصر . ويمكن القول ان المكتبة العربية الحديثة قد بدأت تناهز في هذا المضمار سابقتها الاسلامية ونظيرتها الغربية ، على عيوب في العمل المعجمي سنحاول رصدها في هذا الكتاب .

يحسن بي ان اضيف الى ما سبق ، سيل الترجمات والمؤلفات التي تصدر باستمرار عن اشخاص وهيئات ودول تسعى لتعميم الثقافة العلمية وتستخدم او تستحدث في اثناء ذلك مصطلحات واساليب تساهم في اثراء واستكمال لغة البحث العلمي . وانوه في هذا الخصوص بالكتب العلمية التي تصدر عن دار التقدم ودار مير في الاتحاد السوفييتي . وقد اشارت الدكتورةبنت ا لشاطىء الى هذه البادرة السوفييتية بدهشة كبيرة فكتبت في «اللسان العربي» تثير الانتباه الى الكفاءة العالية التي كتبت بها مؤلفات متعددة في الفيزياء والكيمياء والميكانيك والذرة وغيرها والتي تعطي بحد ذاتها برهاناً على الآفاق الواسعة التي يمكن للتعبير العلمي العربي ان يتوغل فيها . ولا يفوتنا بهذه المناسبة ان نذكر القارىء بأن للعربية في الاتحاد السوفييتي تاريخاً مديداً يرتهن في بعض جوانبه بالرقعة الاسلامية الواسعة

التي يتألف منها هذا البلد في قطاع الآسيوي بما يجعله من هذه الناحية جزءاً جغرافياً من تراث العرب الاسلامي . فالاتحاد السوفييتي يضم الآن على موطن ابن سينا والفارابي والبيروني والبخاري والزمخشري وغيرهم من بناة الحضارة الاسلامية ويعتبرهم ، كما نعتبرهم ، نحن من مقومات ثقافته الوطنية العديدة القوميات[1] .

***

هذه الحركة الصاعدة اوصلت العربية الحديثة إلى نصاب جديد تخطت فيه حالة الانقراض اللغوي الذي كاد يهدد اللغة بقطاعيها المحكي والمكتوب ، واستقرت على حال من النبض يضمن لها امكانات تطور يساير المستجدات المتسارعة في عالم اليوم .

ومن المتفق عليه مع ذلك ان هناك شيئاً من الخلل لم نتداركه حتى الآن تحت تأثير الظروف التاريخية المفروضة علينا ، وينبغي علينا تداركه بعد أن شارفنا مخاض نهوض حضاري قد يطول ولكنه قادم بلا ريب . وينبغي البدء في معالجة هذا الخلل من حيث انتهت اليه الجهود والانجازات التي تحققت حتى الآن . وانا لذلك لا ادعي الاتيان بابتكار جديد لم يسبقني اليه احد . وانما اريد اضافة لبنة الى صرح شاده من هم افضل مني علماً وأطول باعاً، ولئن يكن هنا من يحق لي نقدهم فهم اللغويون الذين قادوا المسيرة العرجاء للغة في انقطاع فاجع عن الماضي والمستقبل . ولا بد

(١) تأتي هذه الحقائق متعارضة مع مشروع قامت به بعض الفئات المندسة على الثقافة السوفييتية وتضمن اصدار قوييس للعامية السورية مع مقابله الروسي اراده مصدروه ان يكون بديلا عن الفصحى لا مكملاً لها ، وقد احتوى القوييس على ١٢ الف مفردة اريد لها ان تحل محل عشرات الألوف من مفردات القاموس الفصيح البالغ الثراء ، وفي وقت وصل فيه قاموس اللغة الانكليزية الى نصف مليون . ان الهدف من هذا المشروع لا يمكن ان يتعدى تكريس حالة الانقراض اللغوي عند العرب وايقاف مد الثقافة العلمية في البلدان العربية وارجاعها الى حقب الظلام العثماني . لا شك في انه مسعى نشاز ولا شك في ان مؤسسات الثقافة السوفيتية ستلقي به في مزابل الورق بعد ان وصلت في تعاملها مع العربية العلمية الى هذا المفصل البعيد .

لي هنا من الاصحار بحقيقة هامة تسبق خوضنا في المشكلات اللغوية الا وهي أن اللغة ـ اية لغة ـ ليست مشكلة ادبية . ان هذا الفهم الخاطيء قد تفشى فينا اليوم وساعد في ابعاد اللغة عندنا عن مضمارها الأصلي وهو كونها أداة استذهان، بعد ان تسلمها الأدباء وصارت من ممتلكاتهم الخاصة. ان الأدب هو احد مضامير اللغة ، ولعله المضمار الأقل اهمية بالقياس الى مناحي الحياة الشديدة التنوع والتعقيد . وافق اللغة في منحاها الأدبي محدود لأنها تجول هنا في حلبة مهما اتسعت فهي متناهية ويمكن لأي قوميس ان يفي بأغراضها . ولعلنا نجد ها هنا تعليلاً لاستمرار الشعر والقصة في حقب الانحطاط العثماني مع توقف الكتابة العلمية والفلسفية . ولعلنا نجد فيه ايضاً بعض دواعي الطمأنينة التي يتصرف بها اللغويون تجاه معضلات اللغة ، فاللغويون ـ وهم ادباء ـ لم يشعروا يوما ما بالجوع اللغوي لأن حاجات التعبير الأدبي ملباة في معاجمهم على الدوام . يجب اخراج اللغة من دائرة الأدب والنظر اليها كأداة استذهان تخص المفكرين والعلماء اكثر مما تخص اهل الأدب ، فهي الشأن الأكثر التساقاً بقضايا الفكر ، ومهمة تقع على كواهل المفكرين والعلماء في المقام الأول .

يمكن رؤية المشكلات الأساس في التعبير اللغوي الراهن على النحو التالي :

ـ العلاقة بين العامية والفصحى . مسألة الهوة بين اللهجتين المنطوقة والمكتوبة ، وما يوجبه ذلك من العمل على تقليص الفجوة بتبسيط المكتوب وتفصيح المنطوق .

ـ اشكاليات لغة العلم . مأزق الاصطلاح .

ـ الفقر اللغوي في مواجهة حاجات العصر المتنامية . وبالمقارنة مع قاموس اللغات الحديثة .

ـ ازمة المعاجم ، البحث عن معجم عربي جديد يلبي التطور في حقلي اللغة العامة ولغة العلم .

ونأمل أن نتوصل عبر معالجتنا لهذه المشكلات الى بعض الحلول المنشودة .

علاقات المنطوق والمكتوب واصولها التاريخية



مقدمة للوصول الى تكامل لغوي

إن الفجوة بين العامي (المنطوق) والفصيح (المكتوب) في العربية الحديثة هي من الحقائق التي لا يختلف عليها احد . ومع أن انقسام اللغة الى عامي وفصيح هو سمة مشتركة بين اللغات ، فإن هذا الانقسام اظهر في اللغة العربية منه في الكثير من اللغات المعاصرة . ورغم ذلك فهو يبقى انقساماً في اللغة الواحدة بحيث لا يتعدى الفرق بين العامي والفصيح مستوى الفرق المعتاد بين لهجتين متباعدتين ، من قبيل ما نعرفه عن اللغة الصينية ذات اللهجات الشديدة التفاوت عن بعضها وعن لهجتها الفصحى ـ البوتونخوا ـ في آن واحد . وتتضح حدود هذا الفارق في التحليل الاخير عند حساب الوقت الذي يستغرقه الفرد العربي على اختلاف لهجته في تعلم القراءة والكتابة ، لاننا نجد أن هذا الوقت لا يزيد على مثيله في اللغات الاقل انقساماً ، كما انه يقل بما لا يقاس عن الوقت الذي يستغرقه تعلم الفرد العربي للقراءة والكتابة في لغة اجنبية غير منطوقة لديه .

على ان طالب اللغة العربية يتميز بما يخسره من وقت وجهد في تعلم شيء آخر على هامش القراءة والكتابة هو «علم النحو» الذي يتعذر ضبطه لغير القلة من المتخصصين . وترتكس هذه المشكلة ، فضلاً عن خسارة الوقت والجهد ، في صعوبة اتقان لغة التلاوة ـ الالقاء . وهي لا تتعلق بالفجوة بين اللهجتين المنطوقة والمكتوبة لان العرب كانوا يخطئون في الكلام والالقاء منذ العصور الاولى حين لم تكن هذه الفجوة قائمة فيهم .

على ان شطراً وافياً من الفوارق بين العامية والفصحى هو من عمل الصناعة وليس الطبع ، ويمكن القول انها لم تكن لتظهر بهذا القدر من الاتساع لولا الجموح الارستقراطي الذي ساق الكتاب واللغويين الى اصطناع الحواجز عن لغة الكلام وتسييج الكلام ولغة الكتابة بأصول وتحريمات مبالغ فيها . قبل حوالي المئة عام ، تقدم الشاعر المصري حفني ناصف بدراسة الى مؤتمر للمستشرقين في فينا أثار فيها مسألة بكراً في الدراسات اللهجوية الحديثة حين كشف لاول مرة ان العاميات العربية

المعاصرة هي استمرار تاريخي للهجات القبائل العربية القديمة . وبهذه الحقيقة التي اعلنها حفني ناصف في مثل ذلك الوقت المبكر كان مقدراً ان ينفتح باب جديد للتعامل مع العامية بوصفها ركناً اساسياً في اللغة العربية وليس مجرد مروق لغوي محكوم عليه بالحرمان .

لكن مبادرة هذا الشاعر العليم لم تجد لها صدى طوال أكثر من نصف قرن ، حتى كان عام ١٩٤٦ ونشر الذكتور ابراهيم انيس كتابه «في اللهجات العربية» الذي تناول فيه المسألة من جديد موسعاً ما اوجزه حفني ناصف ومنتهياً الى كشف المزيد من اسرار العامية والمزيد من اواصرها مع الفصحى . وبهذا الكتاب القيم الذي اعيد طبعه حتى الآن خمس مرات ، يضع العالم المصري بأيدينا وثيقة كافية لدعم اي مجهود اصلاحي يتوخى معالجة الهوة القائمة بين المنطوق والمكتوب في لغتنا .

وفي وقت لاحق ، ظهر للكاتب المصري الكبير محمود تيمور كتاب هام مشى فيه على سنة حفني ناصف وابراهيم انيس ودعا فيه الى ازالة الجفوة بين اللهجتين مستشرفاً من خلال ذلك آفاق لغة موسعة تقوم عليها لغة الكتابة وتعيش في جوها الصحي لغة الكلام .

سأجمل فيما يلي اهم الفروق التي تتميز بها العاميات عن الفصحى ثم انتقل الى تأصيلها في لهجات القبائل ولغة الكتابة مستأنساً بنتائج بحوث حفني ناصف وابراهيم انيس ومحمود تيمور ، وما تجمع عندي من تتبعاتي الشخصية . ومع اني لا ارفض البدعة فإن ما اقوم به هنا ليس الا استمراراً لما قام به هؤلاء الرواد الكرام . . .

١ ـ زوال الاعراب في العاميات وبقاؤه في الفصحى .

٢ ـ الابدال عن الفصيح . ويشمل :

ـ لفظ القاف كافا على غرار حرف G في اغلب المفردات في لهجات وسط وجنوب العراق والخليج والجزيرة والسودان وصعيد مصر ومعظم اريافها .

ـ لفظ القاف همزة في عامية بعض المدن في سوريا ومصر

ـ لفظ الجيم كافاً على غرار حرف G في لهجة القاهرة وبعض لهجات اليمن .

ـ تحويل الكاف في بعض المفردات الى جيم ثلاثية (حرف CH الانكليزي) في لهجات وسط وجنوب العراق والخليج ومديرية الشرقية بمصر ومدينة جيجل في الجزائر .

ـ ابدال الهمزة عيناً في بعض لهجات الريف العراقي وبوادي مصر . وابدال القاف عيناً وبالعكس في لهجات متفرقة في العراق واليمن والسودان .

ـ وجود حرف الپاء (P) في بعض المفردات في عامية المدن العراقية .

٣ ـ تحوير بعض المفردات بالقلب او الابدال او الترخيم . او بتغيير حركاتها او بنائها التفعيلي .

٤ ـ التوسع في اوزان فصيحة لم يتوسع فيها الكتاب . والعكس بالعكس .

٥ ـ استحداث تعابير اصطلاحية باختزال او ادغام عبارات فصيحة .

٦ ـ الامالة في الالف والواو والياء وامالة ما قبل تاء التأنيث .

٧ ـ ابدال ال التعريف ميماً في بعض المفردات ببعض اللهجات .

٨ ـ توليد معاني جديدة لمفردات قديمة .

٩ ـ احتواء العاميات على مفردات لا وجود لها في القاموس معظمها من الدخيل واقلها من بقايا اللغات المحلية الغابرة[1] .

---

(١) سيتم تأثيل جملة هذه الأمور دون التزام بتسلسلها . وسنعالج بعضاً منها في مفاصل لاحقة تبعاً لطبيعة كل حالة . واود تذكير القارىء هنا ان المعطيات المتعلقة باللهجات المعاصرة لن تتسم بالشمول المنشود في مثل هذه المباحث لأن معلوماتي عن هذه اللهجات غير كاملة وما سأثبته في هذه الفصول محدود باستقصاءاتي الشخصية الى جانب القليل من المصادر المتوفرة في هذا الحقل الذي لا يزال بكراً .

الحروف

إن أكثر الامور اهمية في هذا الصدد هو الحروف «الغير فصيحة» وهي : الپاء(P) والگاف(G) والجيم المثلثة(CH) . أما الابدالات الاخرى فتجري في نطاق الحروف «الفصيحة» نفسها . وسنفرد للحروف الثلاثة مفصلاً نشرحها فيه . ونكتفي هنا بتأثيل مجمل لها فنقول ان ابدال القاف گافا عرف في لغة حمير وبقي في عربية اليمن اللاحقة . كما وجد في لهجة تميم . وهو اليوم في وسط وجنوب العراق حيث استقرت بطون من اليمن وتميم ، وفي الخليج وانحاء من المغرب العربي .

والجيم الملفوظة كافاً في القاهرة واليمن نص عليها القدماء في مباحث الابدال واشاروا الى شيوعها في لهجات اليمن . وضربوا لها من الامثلة : سيهوك من سيهوج ويرتكك من يرتج [١] .

وابدال الكاف جيماً مثلثة (CH) وهو المعروف عند اللغويين بالكشكشة وقد أورد عليه الخليل هذا الشاهد[٢] :

تضحك مني أن رأتني أحترش
ولو حرشتِ لكشفت عن حرش

اي : حرك .

وذكر الزمخشري هذا الحرف وسماه الكاف التي كالجيم كما سيأتي بيانه. وكانت الكشكشة في ربيعة كمايقول الخليل وغيره ولذا اقترنت

---

(١) السيوطي ـ «المزهر في اللغة» . القاهرة ، ج ١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، ٤٦٥ ـ السيهوج : ريح شديدة .

(٢) العين . تى : مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي . بغداد ١٩٨٠ وما في هذا البيت شنشنة لا كشكشة . وسيأتي الفرق بينهما ج ١/ ٩١ .

باسمها . واضاف بعضهم مضر . وقد حققها الاستاذ ابراهيم انيس وتوصل الى انها الجيم المثلثة[1] ، الشائعة حالياً في عامية وسط وجنوب العراق والخليج ومديرية الشرقية في مصر ومدينة جيجل في الجزائر .

ويبدو ان اهل الكشكشة كانوا يحولون اليها النصوص الأخرى المكتوبة بغير لهجتهم عند قراءتها . وقد اورد الثعالبي في فقه اللغة هذه القراءة للآية :

قد جعل ربشِ تحتشِ سريّاً

وهي اذا اردنا كتابتها كما تلفظ :

قد جعل ربج تحتج سرياً

وتكون من هذا القبيل قراءةلبيت مجنون بني عامر ـ مجنون ليلى ـ

فعيناج عيناها وجيدج جيدها
ولكن عظم الساق منج دقيق

وليس للكشكشة علاقة بشنشنة اليمن ، خلافا لوهم العلامة أنيس ، فالشنشنة هي تحويل الكاف شيناً خالصة وهي لا تزال في لهجة اليمن المعاصرة . كما في هذه الأغنية اليمنية الحديثة :

لا تكثري اللوم
لو قلبي عليش قبقب
طعمش مثيل الرطب
والعرف روتي وتونه [2]

---

(١) في اللهجات العربية ١٢١ ـ ١٢٥ .
(٢) العرف : بفتح العين ، العبير (فصيحة) روتي (هندية) صنف من الخبز . التونة : سمك معروف .

وقد ذكر القدماء كلاً من الكشكشة والشنشنة ونسبوهما لأطراف متمايزة مما يعني انهم ميزوا بين لفظ الجيم المثلثة والشين غير انهم لم يستطيعوا تمييزهما في الكتابة لانعدام رمز الكشكشة في الأبجدية العربية .

يمكن ان نفهم سبب وجود هذا الحرف في وسط وجنوب العراق والخليج حينما نعرف ان ربيعة ، وهي كما قالوا عنها شعب عظيم ، كانت تنزل في شمال شرق الجزيرة العربية على امتداد الأقليم الذي يضم الساحل العربي للخليج وجنوب العراق . [ينتشر اليوم قسم كبير منها في محافظة الكوت ، حوالي ١٧٠ كيلومتر جنوب بغداد] . وهو السبب ايضاً في ان الكشكشة تنعدم في شمال العراق[١]، بينما نجدها اوسع انتشارا في لهجة الجنوب بالمقارنة مع لهجة الوسط لا سيما لهجة بغداد التي تكثر فيها الكاف الى جانب الجيم المثلثة . اما وجود الكشكشة في المديرية الشرقية بمصر وجيجل في الجزائر ، وربما في غيرهما ، فيرجع بالطبع الى هجرة جماعات من ربيعة أو مضر ، الى تلك المواضع .

الپاء : يسميها اللغويون القدماء الحرف الذي بين الباء والفاء وقد نسبت الى بني عقيل وهي حاليا نادرة ، لأنها نادرة قديماً ايضاً . ويكاد المنطوق منها في عامية الوسط العراقي يقتصر على الألفاظ الدخيلة .

الامالة : نص عليها الخليل في العين وقال انها تعم الالف والواو والياء[٢] واستقصاها الاستاذ ابراهيم انيس من شتى وجوهها . وقد ذكر ابن قتيبة وقوعها في : «متى» و«بلى» وقال ان الامالة فيهما افصح وهو سبب

---

(١) حيثما سيرد «شمال العراق» في هذا الكتاب فالمقصود به شماله حسب حدوده الجغرافية الأصلية التي تضم سكانه العرب .
(٢) العين ١/ ١٠١ .

كتابتهما بالألف المقصورة[1]. وهذا هو لفظهما في العاميات المعـاصرة . وتنطق متى في ارياف العراق جيم مكسورة (لعلها لهجة على غرار إلى) مع الامالة . ونجدها في هذا الحداء الشيعي :

يا مِتـىَ يظهـر الغـايب يا مِتىَ

اما بلى فتلفظ حالياً ممالة احياناً وبالياء احياناً . وقد وجدت الاسبان ينطقونها بالياء ، فلعلها كانت كذلك في عامية الاندلس .

ومن امثلة الامالة بالواو كلمة : بور للأرض اليباب ، تلفظ واوها على غرار حرف (O) الانكليزي وهكذا في سائر المفردات التي يتوسطها واو مسبوق بفتحة . اما الامالة بالياء فمنها : **بيضة** تلفـظ في عامية العـراق والخليج بازالة السكون من الياء ومدها مفتوحة . . ويشيع في لهجة لبنان إمالة ما قبل تاء التـأنيث كقولهـم : **لبنـانيي** بدل لبنـانية ، **طفـولي** بدل طفولة . وقد رويت عن الكسائي الذي قال حين سئل عنها : **هذا** طباع العرب[2]. ويُميل اللبنانيون أيضا الألف في غير المقصـور كما في : **عِماد وساعة** ، ويصل بعضهم بالأخيرة الى الامالة حتى تلامس الياء . وهـي الأخرى نطق قديم ذكره الزمخشري . واورد عليه مثال **عماد**[3] .

الاختزال

وهو حاجة اساسية في لغة الكلام لأي شعب : وقد وجد عند قدماء العرب . ومن امثلته .

---

(١) ادب الكاتب ـ تحـ . محي الدين عبد الحميد ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٢٠٦ . يزودنا ابن قتيبة هنا بمفتاح لفهم الفرق بين المقصود والممدود في الكتابة اذ يبدو أنه يرجع الى الفرق في التلفظ . وقد قرئـت المقصـورات في القـرآن بالامالـة بوصفهـا احـدى القراءات الصحيحة .

(٢) أ . أنيس ص ١٠١ . انظر ايضاً كتابه : «الأصوات اللغوية» القاهرة ط ٤ ١٩٧١ ص ٣٩/ ٤٠

(٣) المفصل ٣٣٦ .

مشا الله : اختزال ما شاء الله . ونسب الى اهل الشحر وعمان والملحوظ فيه اقتطاع ما الى ميم مفتوحة دون مد . ويكثر حالياً في ما النافية .

ايش : اختزال أي شيء . وهو شائع قديما في مختلف اللهجات . ومن الاختزال الحديث :

انشا الله : اختزال «ان شاء الله» . وقد اعيد اختزاله في الاسبانية الى OJALA (اوخالا) بحذف النون وابدال الشين خاء لانعدامها في الاسبانية . ونجد في هذا الاختزال الاسباني دليلا على امكان اختزال العبارة العربية في مفردة واحدة كما سنبين في باب النحت .

معليهش : اختزال «ما عليه شيء» . اي لا بأس به .

ها الساعة : من «هذه الساعة» . ويضم هذا الاختزال في العاميات كل اسماء الاشارة عند اتصالها باسم معرف بال .

لسَّه : اختزال : «للساعة» اي للآن .

الادغام

الادغام قريب من الاختزال ومتكامل معه . ومن امثلته قديماً ادغام بني مع المضاف اليها . ومنه : بلهجيم وبلعنبر من : بني الهجيم وبني العنبر . وهي اليوم في عامية المغرب العربي . ومنها : بلقاسم اي بني القاسم . ومن شواهد الادغام في الشعر :

تقول اذا اهلكت مالاً للذةٍ
فُكيهة هشّيءٌ بكفيك لائق

اي : هل بشيء

وقول الفرزدق :

هَلَنتم عائجون بنا لَعَنّا نرى العرصات أو أثر الخيام

أي : هل انتم . ولعلنا . وعلى غرار هذا في عامية سوريا : عنا اي عندنا . وفي هذا البيت ، وقد أورده النوري محمد بن القاسم في الالمام (وهو غير النويري صاحب نهاية الارب) :

يا قسمة قسمت ولم اعلم بها
وقضية ثبتت فِلَمْر الأول

واصلها : في الأمر .

ومن الادغام الحديث :

ليش ، من : لأي شيء .

ما فيش ، من : ما فيه شيء .

ماكو : من : ما يكون .

تشديد الثنائي

تميل العاميات المعاصرة الى تشديد الثنائية عند اتصالها باسم او ضمير ، مثل : فم ، دم ، أب ، يد ... وتشديد هو وهي على علاتهما . وهذه التشديدات فصيحة كلها . وقد نصت عليها المعاجم القديمة . ويجرى على غرارها تشديد هم ايضاً .

كسر اول المضارع

يسميه اللغويون التلتلة وينسبونه في الغالب الى قبيلة بهراء . وقد حققه العلامة ابراهيم انيس فتوصل إلى انه عام في لهجات القبائل لكل مضارع لا يبدأ بالياء ـ يقصد صيغة المذكر الغائب . اما بهراء فتكسره مع الياء كذلك[1] . ويبدو أن هذا الشمول عند بهراء هو ما ادى الى تخصيص التلتلة بها .

---

(١) المزهر ٢/ ٩٠

والكسر اليوم شائع في سوريا والعراق والمدن المصرية . وهو في سوريا اشمل ، اي انه بهرائي خالص - مع ملاحظة ان بهراء كانت تقيم في اقصى شمال الجزيرة في البقاع الممتدة بين العراق وبلاد الشام - اما في العراق فيفتحونه في صيغة المتكلم ويكسرونه فيما عداها .

كسر الفاء من فعيل

نقل السيوطي عن ابن خالَوَيْه[1] : كل اسم على فعيل ثانيه حرف حلق يجوز فيه اتباع العين . نحو : بِعير ، شِعير ، رِغيف ، رِحيم .

وعن الأصمعي ان شيخاً من الأعراب سأل الناس فقال :

ارحموا شيخاً ضِعيفاً

والكسر نجده اليوم في عامية العراق والخليج ، وهو في الخليج وجنوب العراق اشمل منه في وسط العراق وشماله. ولا يراعى في الكسر القيد الذي افترضه اللغويون لأنه عام في حروف الحلق وغيرها . وقد اعتبره الاستاذ ابراهيم انيس شكلا من الانسجام بين الحركات وخطأ اللغويين القدماء في اشتراطهم هذا القيد[2] .

ابدال الهمزة عيناً

تسمى عنعنة قيس وتميم . ويقصرها بعض اللغويين على الهمزة المبدوء بها كقولهم : عنت بدل انت . وهي الآن في الخليج وبعض لهجات الجنوب العراقي والمصري وتهامة في اليمن ، وغالبا ما تكون في الهمزة الوسطية او الأخيرة . يقال **سعال** في سؤال . **يسعل** في يسأل . ويقول العراقيون غالباً **لع** في لا ، التي تهمزها تميم فيهمزها المصريون ويضعفها العراقيون .

---

(١) المزهر ٢/ ٩٠

(٢) في اللهجات . . . ص ٩٨ .

ابدال الذال دالاً

في العـامية المصرية ، وفي حالات من السـورية . ومنـه قول المصريين : دهب بدل ذهب ، جدع بدل جذع للغلام . وقـد ورد هذا الابدال في اللهجات ا لقديمة ، ومثالـه : دِكْر بدل ذِكْر ، عَدوفـه بدل عذوفة عند ربيعة[1] . وله امثلة في عامية الاندلس كقولهم[2] : متدعدع - متهدم - واصله متزعزع . وثمة ابدالات عامة لا تختص بلهجة منها : جدف من جذف . ويقول الفيروز آبـادي ان الدِكْر ابدلت من االـذكـر لدخول الـ التعريف عليها فجعلت الذال دالاً مشددة .

ابدال الواو ياء

غالباً ما تميل العامة الى جعل الواو ياء في افعال الماضي المعتلة مثل : دعوت وشكوت فيقولون دعيت وشكيت . . . وهو مسموح من القدمـاء وقد نظم فيه ابن مالك قصيدة جمع فيها الأفعال التي تقـال بالـواو والياء معا[3] . وتلحق بهذا ظاهرة المعاقبة الحجازية التي يبدل فيها الواو ياء في الجموع التي على وزن فعّال مثل صوام ، نوام ، صواغ قواد ، فيقال : صيام ، نيام ، صياغ ، قياد . . . وهـذا الابـدال شائـع اليوم في بعض العاميات .

تخفيف الهمزة أو حذفها او ابدالها

معظم اللهجات الحديثة لا تلفظ الهمزة في مفردات ، او تبدلهـا في مفردات اخرى ياء او تمدها . فالهمزة الوسطية تمد في العـادة وإلى حركة الحرف الذي يسبقها فيقال في رأس ، شؤم ، بئر ، يأكل :

---

(١) في اللهجات ص ١٠١ ، ١٨٦ ، ٢٦٩ .

(٢) لحن العامة للزبيدي ، تحـ . عبد العزيز مطر ، قاهرة ١٩٨١ ص ١٢٥

(٣) محمود تيمور . ص ١٧٣ .

راس ، شوم ، بير ، ياكل . ويبقى الابدال هنا في حالة الجمع كما في روس وابيار - أو بيارة - جمع رأس وبئر . وقد ورد هذا الجمع في النصوص القديمة ومنه هذا البيت الذي رواه ابن عبد البر القرطبي في «جامع بيان العلم وفضله» لعروة بن الزبير :

صار الأسافل بعد الذل أسنمةً
وصارت الروس بعد العز اذنابا

واورد الزمخشري في المفصل من امثلة الحذف : بو ، ومير في ابو وأمير . ومن امثلة التخفيف قديماً : خطية بدل خطيئة والدنية بدل الدنيئة والنبي بدل النبيء .

ومن الحذف في القراءات :

مستهزون ، متكين ، يطون . بدل : مستهزئون ، متكئون ، يطأون . . .

وورد قديما يجون بدل : يجيئون ، ويجي بدل يجيء .

وحذف القرآن الهمزة الأخيرة في بعض الأسماء الثلاثية وابدلها حرفاً من جنس حركة اولها فقال : اتتخذنا هزواً بدل هزءاً و : لم يكن له كفواً احد . . . . بدل كفئاً . . . وفي عامة العراق : وسوريا : جزو بدل جزء . .

اما تحويل الهمزة الى ياء فنجده في : بدينا بدل بدأنا وهو لهجة اهل يثرب . وكذلك فيما هو على وزن فاعل وفعائل مثل : سايل وفضايل . وقد شاعت هذه الصيغ في لغة الكتاب في العصور الاسلامية وما بعدها .

ان حالات الحذف والتخفيف والتحويل التي مثلنا لها هنا موجودة كلها في العاميات المعاصرة . وقد تابعت فيها العاميات لهجة قريش التي كانت تتحاشى الهمزة . وهي في الأمور التي خالف فيها القرآن لهجة قريش

لأنه اخذ بالهمز في غالب المفردات جرياً على اللغة الأدبية في زمانه ؛ حيث اعتبر الهمز من صفات الفصاحة كما يقول العلامة ابراهيم انيس[1]

ابدال الثاء تاء

يكثر في عامية مصر وسوريا حيث يقال : تلاتة ، تامر ، تاني ، في : ثلاثة ، ثامر ، وثاني . . . ولا يشمل كل ثاء ففي ثقافة أو مثقف مثلا تبقى الثاء كما هي او تلفظ قريبة من السين .

هذا الابدال قال به الأصمعي واستشهد عليه ببيت ليهود من خيبر :

ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت

وقال ان الخبيت لغة في الخبيث وهي لغة خيبر . وانكر الخليل ان تكون هذه لغتهم لأنها لو كانت كذلك لقال : الكتير . ورجح انهم يقلبون الثاء تاء في بعض الحروف . وقد ايده ابراهيم انيس لأن قبيلة خيبر متأثرة بالبيئة الحجازية فلا يتوقع ان يروى عن لهجاتها قلب الصوت الرخو الى نظيره الشديد[2] . بقصد البيئة الحضرية التي تميل دائماً الى الأصوات الرخوة وهي بيئة الحجاز . ومن المستبعد في الحقيقة ان يكون هذا الابدال في عامية مصر على الأقل موروثا من قبيلة خيبر التي لم يعرف لها مهجر في مصر . لكن وجوده على اية حال في لهجتين كبيرتين معاصرتين دليل على وجوده سابقا . وقد ورد الخبيت في القاموس المحيط بمعنى الخبيث مما يدل على تصويب الفيروز آبادي لرواية الأصمعي .

---

(١) انظر : في اللهجات . . ص ٧٧ ـ ٧٨ .

وتمسك القرآن بالهمز يرجع عنده الى التزامه بهذه اللغة التي كانت قد اكتملت في ذلك الوقت وصارت لغة الفصاحة المشتركة للجميع على اختلاف اللهجات . ويمكن تفسيره ايضا بطبيعة لغة الصراع التي ميزت القرآن . والهمز من مقومات هذه اللغة .

حول مخالفات القرآن للهجة قريش انظر : الاتقان للسيوطي ص ١٣٥ .

(٢) في اللهجات . . ص ١٠٢ .

ابدال العين الساكنة نوناً

ويسمى الاستنطاء وكان في لهجة هذيل والأزد وقيس واهل يثرب وسعد بن بكر . ومنه قولهم ينطي بدل يعطي . وقد قرأوا آية الكوثر على هذا النحو :

إنا أنطيناك الكوثر

ويوجد هذا الابدال في عامية وسط وجنوب العراق .

الابدال بين الباء و والميم

كثير في الفصيح ومنه الساسم والساسب : تنويعة من الشجر ، لازب ولازم ، كثب وكثم (قرب) ، غيهب وغيهم (الظلمة) ، يَشْب ويشم (حجر كريم) .

ومنه في عامية مصر : يتمختر من يتبختر ، بتاع من متاع والأخير مشترك مع لهجة المغرب ولغة مالطا . ويبحلق من يحملق وهي مشتركة مع معظم العاميات ، وقد وردت في نص للوهراني (القرن السادس) .

ابدال الجيم ياء

اورد السيوطي عن شرح التسهيل هذا البيت[1] :

اذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى فابعدكن الله من شيرات

اي شجيرات . وقد وردت قراءة مماثلة للآية :

«ولا تقربا هذه الشيرة» .

وهذا الابدال في عامية جنوب العراق والخليج . يقولون : عيوز للعجوز ، ياهلْ للجاهل ، يابر لجابر . . . الخ ونجد ابدالا معاكسا من الياء الى الجيم في بعض لهجات الجنوب العراقي ، يحضرني من امثلته :

---

(١) المزهر : ١/ ٤٧٥ .

جهود بدل يهود . ويعرف هذا الابدال قديما بالعجعجة وقد نسب الى قضاعة ، لكن العلامة ابراهيم انيس يرجح انه امر مشترك بين البدو من ابناء القبائل[1] .

ومن الجدير بالذكر ان هذا الابدال موجود في بعض اللغات الأوروبية . ومن آثاره كتابة بعض الأسماء بالحرف J ولفظها بالياء كما في : «يوغسلافيا» ويقع الابدال في ضمير المتكلم المفرد في كل من الفرنسية والاسبانية فهو في الأولى : جو وفي الثانية يو . وسمعت بعض الأسبان يلفظونه بالجيم كالفرنسيين . ونجد الابدال المضاد : من الانكليزية حيث ينقلب يوحنا الى جون ويوسف الى جوزيف . . .

ابدال القاف همزة

لم اجد له اصلاً . ويبدو ان اساتذتنا الثلاثة لم يجدوا ايضاً لأنهم سكتوا عليه . ومن المتوقع ان تكشف عنه الدراسات اللاحقة اذ لا يعقل ان يكون مشتركاً بين السوريين والمصريين دون ان يكون له مرجع واحد في اللهجات القديمة . وقد أدلى اللغوي المغربي عبد العزيز بن عبد الله بملحوظة هامة في هذا الشأن اذ قال ان القاف تنطق همزة عند الأوربيين . ولا بد انه يقصد القاف العربية لأن اللغات الأوروبية خالية من هذا الحرف . وقد ذكر من امثلته الفعل العربي : قاس الذي ينطق في الاسبانية[2] ASSAIAR والكلمة الفرنسية ERABLE التي ارجعها الى قيقب العربية استناداً الى هذا الابدال . على ان هذه القاعدة غير مطردة لأن معظم المفردات ذات القاف نطقت بالاسبانية G او K (غالبا حرف C لا يعقبه حرف علة يائي) ومثاله القطن صار بالاسبانية AL GODON والقطة

---

(١) في اللهجات . . ص ١٢٦ وما بعدها .

(٢) انظر : مجلة «اللسان العربي» م ١١ ج ٣ ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .
الفعل الأصلي هو ASSA والمتبقي من الحروف علامة نحوية مضافة . وهذا الفعل غير مستعمل في الاسبانية الحديثة .

GATO وقد حور الحرفان في الفرنسية والانكليزية الى C . ولكن مع وجود حالات ابدل فيها الأوربيون قافاً عربية الى همزة فلا بد من ارجاعها الى اصل اندلسي ، حيث يمكننا التخمين من هنا ان بعض الاندلسيين كانوا يلفظون القاف همزة أو انهم كانوا يفعلون ذلك في بعض المفردات فانتقلت بنطقها الاندلسي الى الاسبانية ومنها الى اللغات الاوربية الأخرى . ومن الجدير بالذكر ان الكلمات العربية في اللغة الاسبانية لم تنتقل فقط من لغة الكتابة بل في المقام الأول من لغة الكلام الاندلسية .

ومع افتراض وجود هذا الابدال في عامية الاندلس فلا بد ان يكون من لهجة عربية قديمة ، لأن لهجة الأندلس تتألف من نفس لهجات القبائل العربية التي استوطنت اسبانيا .

الابدال بين القاف والعين :

في بعض لهجات الخليج وجنوب العراق والسودان يبدل القاف غيناً ، يقولون : غاسم وغسط بدل قاسم وقسط . . . . ويرجح الاستاذ ابراهيم انيس[1] ان هذا الابدال يقترب من نطق القاف عند القدماء كما وضعها اللغويون ، فهي لم تكن مهموسة شديدة كمثلها اليوم في معظم اللهجات العربية بل مهجورة وأميل الى الرخاوة كما هي عند اهل السودان والعراق الذين ينطقونها غيناً او قريبة من الغين .

وهناك ابدال معاكس من الغين الى القاف نجده في بعض لهجات اليمن وجنوب العراق وعند قبائل الدليم في محافظة الانبار العراقية في غرب الوسط . وقد وصلت بعض آثاره الى لهجة بغداد في مفردات قليلة منها قشمرة التي تعني الاستخفاف بالشيء وعدم التثبت وقاموسيتها غشمرة كما تلفظ في جنوب العراق والخليج . ويمكن الاستنتاج من وجودها في لهجة يمنية انها كانت لهجة احدى قبائل اليمن وان بعضاً من هذه القبيلة قد هاجر

---

(١) الأصوات اللغوية ص ٨٥ و ١٥٨ .

الى تلك الجهات من العراق فحمل معه لهجته الى هناك . ولا يصح العكس لأن الهجرة كانت تتم في المعتاد من شبه الجزيرة الى امتداداتها العراقية والشامية .

وقد وقفت على جماعة من جنوب العراق يبدلون القاف غيناً والغين قافاً فيقولون : غاسم في قاسم ويقولون قير في غير ولا يستطيعون نطق القاف في قاسم ولا نطق الغين في غير !

إبدال اللام نوناً

ورد من امثلته القديمة : اصيلاناً في اصيلالاً ولعنَّ في لعل . ومن امثلته الحديثة : اشنون في اشلون في العراق . ومنيح بدل مليح في سوريا .

ابدال الهمزة واواً

من امثلته القديمة : وَرّخ من أرّخ ، وكدّ من أكّد ، واخى من آخى وشاح من أشاح . ومن امثلته الحديثة : وين من اين في العراق وسوريا والخليج وعمان .

ابدال القاف كافاً

المعتاد ان تلفظ القاف «الفصيحة» قافا حميرية كما مر بنا . لكن هناك مفردات قافية يبدل فيها القاف كافاً عادية . ففي وسط وجنوب العراق وجباليا من قطاع غزة يقولون : وكت من وقت ، وكتل من قتل . ويقع هذا الابدال في مفردات معدودة ويغلب عليها عدم الاطراد لأن من يقول وكت وكتل يقول ايضا وقت وقتل . . . وقد وجد هذا الابدال في عامية الاندلس . جاء في «لحن العامة» للزبيدي عن عوام الأندلس : يقولون استكتل في الأمر ، اذا جد فيه ، بالكاف . والصواب استقتل واصله من القتل[1] .

---

(١) انظر ملحق المحقق . ص ٢٠٠ .

ابدال الذال ثاء

يحدث حاليا في امثلة قليلة ، منها في العراق : عِثْق ابدال من «عذق» وهو المجموعة الواحدة من حمولة النخلة التي تتألف من الشماريخ . وابدال الذال ثاء في هذه الكلمة يرجع الى العصور الاسلامية وقد نقله الزبيدي في «لحن العامة» عن كتاب مفقود لأبو حاتم السجستاني في نفس الموضوع(1) .

ابدال السين صاداً

يرى الاستاذ ابراهيم انيس ان هذا الابدال يؤشر احد الفروق بين لهجات الحضر ولهجات البدو . فالسين عنده اقرب الى الحضارة والصاد الى البداوة . ويؤثر عن تميم انها كانت تنطق السين صاداً اذا جاورت بعض الأصوات المفخمة او مع القاف والغين والخاء اذا جئن بعد السين . ومنه :

سراط = صراط ، سخر لكم = صخر لكم ، سيقل = صيقل . .
وقد ذكر عن بني العنبر ، من تميم ، انهم كانوا يبدلون سين ساق صاداً (2).

ويوجد هذا الابدال في عامية وسط وجنوب العراق ، ويأتي معظمه فيما يليه خاء . ومنه : الصخا للسخا ، الصخي : السخي ، صَخلة : سخلة ،صخام: سخام ، يصلخ : يسلخ ، يمصخ : يمسخ ، يفصخ : يفسخ . ويحدث نفس الابدال في المفردات الأجنبية المعربة مثل : صديم : سديم ، صِدارة : سدارة (لباس للرأس) ، صالنصة : SILENCER للآلة المسكتة في السيارات . . . وهناك ابدال يجري على

(1) انظر ص ٣٦ .
(2) في اللهجات . . . ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .

سنن القراءات القـرآنية : مثـل صيطـرة : سيطـرة ، بصيط : بسيط ، مبصـوط : مبسـوط . صلطـان : سلطـان . وهـو عام في اللهجـات والفصحى .

ثمةإبدال معـاكس من الصـاد الى السـين يصحـب حسـب تحقيق الاستاذ انيس ، حالات الانتقال من البداوة الى الحضارة . وقد اورد عليه امثلة شافية من الفصيح ، لكن الأمثلة المعاصرة عليه لا تحمل هذا المدلول لأنها تجري في بيئات متقاربة من حيث المستوى الحضري . ومنها تحويل الصاد الى سين في الفعل «ابصر» في صنعاء وإبّ ـ اليمن ـ حيث يقال : إبسر . وتوجد حالات قليلة منه في العراق غالباً ما كنت اسمعها من افراد معينين دون غيرهم ، ولا اذكر ، وقد بعد بي العهد عن ذلك البلد ان كان هؤ لاء ينتمون الى عشائر او أماكن معينة .

الابدال بين الفاء والثاء

وقع قديما . وتسببت عن بعض حالاته مفردات جديدة كالابـدال بين ثورة وفورة . لكنه بقـي في معظـم الحـالات نطقـين مختلفـين للفـظ واحد ، مثل ثوم وفوم ـ والأخير من الفاظ القرآن ـ والثلغ والفلغ ، واللثم واللفم . ولهذا الابدال امثلة قليلـة في عامية العـراق منهـا : ثلوجـة في فلوجة ، بلدة الى الغرب من بغداد والثاء فيها ابدال لأنها وردت في المصادر الاسلامية بالفاء ، وهو لفظهـا المعـروف ايضـاً في العـراق ، ويقـول العراقيون : فالولة بدل ثالولة واصلها ثؤ لولة ثم حرفت منذ الاندلس الى ثالولة .

ابدال الراء غينا

لدينا رواية عن وقوع هذا الابدال في لهجة بغداد الاسلامية اذ يقول ياقوت ان البغداديين كانوا يلفظون الراء غيناً حتى في القراءة[1] . ويعني هذا انهم اذا قرأوا هذه الآية قالوا :

---

(١) معجم الأدباء ١٢/ ٦٧ .

«ونغيد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأغض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الواغثين . .»

ولعل لهذه الغُنّة صلة بحضارة بغداد الاسلامية التي عرف اهلها بالتأنق في كل شيء . وقد زال اليوم من لهجة بغداد . لكننا نجد بقاياه عند اهل الموصل وهم اليوم اكثر حضارة من اهل بغداد الحالية ، لكنهم لا ينقلونه الى لغة القراءة ، وتبعاً للغوي المغربي عبد العزيز بن عبد الله ، فهذا الابدال موجود كذلك في لهجة فاس .

ابدال الصاد زاياً

تبدل الصاد الساكنة اذا وقعت بين حروف معينة زاياً مفخمة او صاداً مجهورة كما يسميها الاستاذ ابراهيم انيس . وهذه الزاي هي التي يحول اليها لفظ الظاء في مصر وسوريا . وهناك حالات تنطق فيها الصاد زاياً عادية وامثلتها قليلة اشهرها لفظ الصاد من صغير في بعض العاميات المعاصرة حيث يقال : زغير ورغار في الجمع . ويقال احياناً صغير كما يقال : مصدر بالصاد المجهورة . ويكون مع تسكين ا لصاد فان حركت عاد لفظه صاداً عادية .

ولفظ الصاد زاياً مفخمة على هذا النحو ورد في القراءات القرآنية وقد مرت الاشارة الى قراءة الكسائي للآية : حتى يصدر الرعاء بالزاي المفخمة او الصاد المجهورة .

الابدال بين الثاء والسين

يقع في الفاظ قليلة ابدال الثاء سيناً في سوريا وفي اقل منها في العراق ويلفظ السوريون ثقافة ومثلث ومثقف . . سقافة ومسلس ومسقف . . . ويلفظ العراقيون والسوريون : ديوث ، ديوس . ومن امثلته في الفصيح وَعْث و وَعْس للطريق الرخو الرملي الذي يصعب المشي فيه ولما يعانيه المسافر ومنه : وعثاء السفر .

ويحدث ابدال معاكس من السين الى الثاء لكنه اقرب الى ان يكون من باب اللثغ الذي يحدث غالبا للأطفال والصبيان . وشاهده في هذين البيتين من عبثيات ابو نواس :

وشادنٍ قلت له ما اسمكا ؟ فقال لي باللثغ عبّاثُ
فصرت من لثغته الثغاً فقلت اين الطاث والكاث ؟

ابدال حروف التضعيف ياء

قاعدة في جميع العاميات تعم الأفعال المشددة الآخر اذا اتصلت بضمير الفاعل للمتكلم والمخاطب مفرداً وجمعاً ، ومثالها :

مر : في التصريف المعروف في الفصيح يقال : مررت ومررنا ومررتم وفي العامي : مريت ومرينا ومريتم .

اضطر : في التصريف الأول يقال : اضطررت واضطررنا واضطررتم وفي العامي : اضطريت واضطرينا واضطريتم .

والعامي فصيح ايضاً وقد نص عليه القالي في اماليه واعتبره قاعدة تعم كل المضعّف من الأفعال[1] .

ومنشأ هذه القاعدة تيسير النطق لأن فك الادغام بتكرار الحرف المشدد غالباً ما يستثقل . مثل : استمررت اثقل في اللسان من استمريت ولو أن هذه السهولة لا تطّرد في كل الأفعال فقد تستوي في بعضها مثل ظننت وظنيت .

---

(١) امالي القالي ـ بيروت بلا تاريخ . ج ٢/ ٢٢١ .

حذف أن المصدرية

العامة تقول : اريد اشرب ماء وتجدها اسهل واوجز من اريد ان اشرب ماء . وقد ورد الحذف قديما عن الشافعي في قوله :[1]

«عليه يتعلم الصلاة والذكر فيها» .

ولم يقل : عليه ان يتعلمها . ومن شواهده في القرآن : «ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً» فحذف أن من يريكم .

القلب في المفردات

تضم العاميات مفردات كثيرة مقلوبة عن أصلها الفصيح منهـا في عاميتي مصر وسوريا جواز من زواج وفي عامية المغرب خنفر من فَنْخَر ، اذا تكلم بأنفه ، وفي عامية العراق مرعوص من مصروع . والقلب باب واسع في الفصحى وقد استوفاه السيوطي في «النوع الثالث والثلاثين» من كتابه واستعرض آراء اللغويين القدماء فيه . وهم يجمعون على وقوعه في اللغة وأوردوا له امثلة منها : جبذ وجذب ، مزراب ومرزاب ، صاعقة وصاقعة ، طامس وطاسم (للمندثر) ، شهبرة وشهربة (للعجوز المسنة) . ومن القلب ما يضيف معنى جديداً للمفـردة مثـل وحشي وحـوشي حيث اختص الأخير بوصف الالفاظ غير المستساغة عند الأدباء كاستعمال المتنبي كلمة جِرِشّى للنفْس . ومنه ايضاً اوباش وأوشاب قلب نشأ عنـه معنيان يختص الأول بالناس والثاني بالمختلط من الأشياء .

ومن القلب ما يولّد مرادفاً يكافىء المعنى الأصلي مثل خنفر من فنخر في المغربية . لكن بعض القلب يثير التباساً ولا ينطوي على اي ابداع في اللغة ومن امثلتـه جواز من زواج في السـورية والمصرية لأنـه يلتبس مع اصطلاح مميز وشائع ومتعدد الاستعمالات .

---

(١) الرسالة . تحـ احمد محمد شاكر . مصر ١٩٤٠ ص ٤٩ .

القُطعة

هي حذف الحرف الأخير من الكلمة للاختصار ، وهي كالترخيم ، لكنه مقتصر على الأسماء في حال المنادى، والقُطعة عامة فيما سواه من الألفاظ . وتنسب القطعة الى قبيلة طي ، كقولهم **يا ابا الحكا** ويقصدون ابا الحكم . وتظهر القطعة في حالات مشتركة يقتضيها غرض التخفيف ومنها : **لم يك أو أك** اي لم يكن او أكن وهي كثيرة في لغة القرآن .

وفي العاميات المعاصرة نجد القطعة عند السوريين في بعض المفردات مثل : **تعا** اي تعال حذفوا اللام للتخفيف ، وعند العراقيين في **اكو** اختصار اكون ومعناها يوجد ويعاد اختصارها في حالة النفي فتصبح : **ماكو** . وفي المغرب العربي **سي** اقتطاع سيدي .

وتمتد القطعة في العاميات المعاصرة الى جميع الأسماء الممدودة التي تحذف منها الهمزة فتصير مقصورة وتلفظ بالإمالة . مثل : السما ، الوفا ، الرجا . . . والهمزة في هذه الأسماء ليست اصلية اي انها ليست جزءا من بنية الكلمة ولذا اجيز حذفها في الشعر . وفيما عدا الممدودات تلفظ الأسماء التي تجري عليها القطعة الفاً كاملة ، من دون امالة ، مثل : **تعا** في سوريا **والزكا والصلا** ، في بعض اللهجات ، تلفظ بدون امالة على الأغلب

تحريك عين الثلاثي الساكنة

من ارجوزة لمقاتل في فتح مكة[1] :

قد علمت بيضاء من بني فهِرْ
نقية الوجه نقية الصدِرْ
لاضربن اليوم عن ابي صَخِرْ

(١) الاستعاب لابن عبد البر القرطبي ـ حيدر أباد ١٣١٨ هـ ج ١/ ٢٣٠

ولمقاتل يوم القادسية يسخر من سعد بن ابي وقاص ، وقد ورد في الصاهل والساحج للمعري :

قد نصر الله وسعـد في القَصرْ

وقد اختلف اللغويون في سبب التحريك فقال بعضهم أن كل اسم ثلاثي أوله مضموم واوسطه ساكن فمن العرب من يثقّله ومنهم من يخففه مثل : عُسْر وعسرُ ، حُلْم وحلُم ، يُسْر ويسرُ . وقال ابن دَرَسْتَوَيْه ان اهل اللغة وأكثر النحويين يقولون : كل ما كان الحرف الثاني منه حرف حلق جاز فيه التسكين والفتح نحو : شَعْر وشَعَر ، نَهْر ونَهَر[1] . وعدد ابن قتيبة[2] جملة من الثلاثيات وقال فيها لغتان ـ لهجتان ـ تحريك وتسكين ومنها : فحمْ وفحَم ، نْهر ونهَـر ، ظعْـن وظعَـن دأْب ودأب ، صخْـر وصخَر . . . الخ .

وللتحريك علاقة بقاعدة معروفة اهملها اللغويون في تسبيبهـم له وهي استثقال او عدم جواز التقاء الساكنين . ومن حرك وسط الثلاثي من العرب انما جرى على هذا الأصل . ونعرف ذلك من قاعدة التحريك في العاميات المعاصرة التي تأخذ به ، فهم يلفظونه محـركاً اذا وقفـوا عليه ، ويسكنونه اذا اتصل فيما بعده ، مثـال هذا اذا قالـوا صدر ووقفـوا عليه كسروا الدال فاذا قالوا صدر المجلس عادوا الى التسكين . ويطّرد ذلك في كل ثلاثي ساكن الوسط في اصله . ومما يدل عليه انهم لا يسكنون عنـد الاتصال ما اصله التحـريك مثـل ادب اذا قالـوا : ادبـك ابقـوا الـدال مفتوحة .

التحريك والتسكين في هذا الباب موزع بين العاميات المعاصرة . والميل الأغلب الى التسكين ، لأنه كان غالباً على اللهجات ولغة الكتابة . والتحـريك شائـع في عامية العـراق والخليج في حدود استقصاءاتـي الراهنة . وكان قديماً في عامية الأندلس .

---

(۱) المزهر ۲/ ۱۰۹ .

(۲) ادب الكاتب ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .

ازالة الاعلال من المعتل الوسط

يستثقل العامة لفظ بعض المشتقات الميمية من الفعل المعتل الوسط فيزيلون اعلالها بتسكين الحرف الصحيح الذي يسبقها وفتح المعتل . ومن هذا القبيل : مصيدة ومشورة بسكون الصاد والشين وفتح الياء والواو . وقد نص الزمخشري على هذه الصيغة وذكر لها قراءة مماثلة للآية : «لمثوبة عند الله» بسكون الثاء وفتح الواو . لكنه اعتبرها من الشواذ[1] . وهي مع ذلك مألوفة في بعض العاميات ويميل اليها المحدثون من المثقفين لأنهم يجدونها أسوغ في النطق كقولهم مصْيَف بدل مَصِيف .

اختزال حرف الجر «على»

في معظم العاميات ويقتصر الاختزال في الغالب على حالة الاتصال باسم معرف بالألف واللام . مثل على الجسر تختزل : ع الجسر وفيما عداه يلفظ الحرف كاملاً مثل : على مهلك وعلى كيفك لكن بعض الناس في سوريا ولبنان يلجأون هنا ايضاً الى الاختزال . وتسمع دائماً في دمشق وبيروت من يقول ع مهلك و من يقول على مهلك .

اختزال «على» ورد في النصوص القديمة في حالة الاتصال بالاسم المعرف بأل . ومنه هذا البيت لقَطَري بن الفجاءة ورد في «الحماسة الشجرية» :

غداة طفت ع الماء بكر بن وائل
وعجنا صدور الخيل نحو تميم

وقد نسب هذا الاختزال الى قبيلة بلحرث ، ولعله اوسع منها لأن قطري من كنانة .

---

(1) المفصل ص ٣٨٠ .

استعمال أم التعريف بدل أل

أصله في لغة حمير ، واستمر في لهجات اليمن اللاحقة . ويوجد اليوم في بعض انحاء تهامة وفي ناحية ارحب ونواحي اخرى من شمال اليمن .

وبقي من هذه الأداة اثر في مفردات معينة مصرية او سورية كقولهم امبارح اي البارح ـ البارحة . ولعلها موجودة في لهجات اخرى لم يبلغها استقصاؤ نا .

مد كسرة تاء الفاعل في المؤنث :

تقول العامة شربتِ الماء وشربتيه وأكلتِ الطعام واكلتيه بمد كسرة تاء الفاعل لتصبح ياء . والباعث على هذا استثقال اجراء اللفظ على الكسر مع الاتصال بالهاء . وترجع هذه الحالة الى العصور الاسلامية ؛ فقد ورد في حديث للبخاري عن أمة تدعى بَريرة اعتقت فهجرت زوجها ، الذي بقي على الرق ، وكان يحبها فحاول محمد ان يؤلف بينهما فقال لها :

لو راجعتيه

بالياء في بعض نسخ البخاري وقد اثبتها القَسْطلاني بهذا الشكل في شرحه للحديث[1] كما وردت بنفس الشكل في سنن ابن ماجة[2] . لكن شارحاً آخر للبخاري هو العيني اثبتها بالتاء المكسورة وأشار الى قول شارح سابق هو ابن حجر انها بالياء لغة ضعيفة ثم عقب[3] : «ان صح هذا في الرواية فهي لغة فصيحة لأنها صادرة من أفصح الخلق» . وعلى اية حال ، فمع الخلاف في ثبوتها عن النبي لفظاً ـ والحديث قد يروى بمعناه دون

---

(١) ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج ٨/ ١٨٤ .
(٢) ج ١/ ٦٤٠ .
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج ٢٠/ ٢٦٩ .

لفظه - فيمكن القول انها ترجع على الأقل الى القرن الثالث للهجرة وهو القرن الذي كتبت فيه سنن ابن ماجه . وتوجد هذه الصيغة في لغة «الف ليلة وليلة» على نحو موسع .

فتح باء الجر

معروف عموماً عند البدو وكذلك عند السودانيين . يقولون هلا بَك وهلابَه . وهو منسوب الى قضاعة قديماً[1] .

فتح عين «عند»

في كلام السوريين والمصريين . وقد نصّ اللغويون على انها لهجة قديمة [2].

صيغة المفعول من المعتل الوسط

وردت عن تميم . وذكرها ا لزمخشري دون ان يخصصها بلهجة معينة . ومثالها : مبيوع ، مصيوغ ، مصيود . وهذه الصيغة في معظم العاميات المعاصرة ممايرجح عدم تخصيصها بلهجة قديمة واحدة .

إعلال الماضي الثلاثي

في العراق والخليج وبغض انحاء مصر (الدقهلية والغربية) وسوريا حيث يقال : بقىٰ ، لقىٰ ، رضى ، بدل : بقي ، رضي ، لقي . ويكسر اوله أو يفتح بحسب اللهجات .

والاعلال هو لهجة طيء التي كانت تقلب الياء الفا في هذه الأفعال .

---

(١) انظر م . تيمور ص ١٧٥ .

(٢) نفسه ١٧٥ .

وله امثلة في لغة الكتابة قديماً كهذا المطلع للشريف الرضي في رثاء الحسين :

كربــلا ما زلــت كربــاً وبلا ما لقــى عنــدك آل المصطفى

النفي مع الشين

في مصر واليمن وبعض لهجات ارياف العراق يضاف : ش الى آخر العبارة المنفية فيقال : ما يكتبش ، ما فيش ، ما مش ، ما جاش . . والشين مختزلة من شيء : بمعنى ما يكتب شي ، ما فيه شي ، ما من شي ، ما جاء شي . . . .

واختزال شيء مألوف في لغة الكلام القديمة وقد مرت بنا بعض امثلته . ويرجح الاستاذ ابراهيم انيس ان اختزاله في صيغة النفي هو لهجة قديمة ايضاً وذلك بالنظر لشيوعه في اكثر من لهجة معاصرة[1] .

اسم الاشارة

تحدث الاستاذ انيس عن قضية هامة جداً وهي وجود اسم اشارة مشترك في جميع اللهجات العربية المعاصرة يختلف تماما عن اسم الاشارة في لغة الكتابة . والاسم هو ، بحسب اللهجات[2] : هاذول (الأردن) ، ذول وذولا (العراق) ، هادول (بلاد الشام) ، دول ودولا (مصر) ، هاذَوْل (المغرب) دَيول (السودان) ذولا (نجد) ، هاذَوْل (صنعاء) .

---

(١) ص ٢٤٢ .

(٢) ص ٢٣٩ - ٢٤١ .

«هاذول ايضا في العراق . ومن الجدير بالملاحظة ان اصل الكلمة ذول وذولا وابدلت الذال دالا في مصر والشام والسودان . اما حرف ها فهو للتنبيه ، كالذي يلحق مع هذا واصلها : ذا .

وقد رجح ان هذا الأسم قديم وانه جرى في لغة الكلام جنباً لجنب مع **هؤلاء** التي اختصت بلغة الكتابة ، لأنه مشترك في جميع اللهجات المعاصرة ، ولا يمكن ان يكون تحويراً من **هؤلاء** لبعده عنه .

وتختص **ذول** وتفرعاتها بالاشارة القريبة . اما للبعيد فيضاف الكاف على غرار لغة الكتابة فيقال : **ذولاك وذوليك** بإمالة الألف حتى تلامس الياء . وقد تُبدل اللام نوناً .

اما اسماء الاشارة في المفرد فهي كالفصيح المكتوب : هذا وذاك وهذي وهذه وهاته . وذيك بكسر الكاف في معظم اللهجات والكشكشة في اللهجات الآخذة بها . واصلها : **ذي** اضيف اليها كاف البعد ، فهي فصيحة لأن **ذي** هي الأصل في **هاذي** وانها كما قلنا للتنبيه اي انها ليست جزءاً من بنية الكلمة . وتحورت هذا في اللهجة اللبنانية الى **هيدا** بامالة الألف حتى الياء وابدال ا لذال دالاً .

وتخلو العاميات من **ذلك** وهو من آثار الفقر اللغوي لأن هذه الكلمة مرتبة ضرورية من مقاييس البعد والقرب الموزعة في الفصيح الى : قريب (هذا) بعيد (ذاك) ، ابعد (ذلك) .

ادوات الاستمرار والحال

تعبر الفصحى عن الاستمرار والحال بالحال المنصوب . جاء فلان راكباً = RIDING فإذا أريد الاستمرار دون الحالية كتب الفعل المضارع مجرداً من الدلالة فيفهم من السياق . «كان فلان يكتب حين حدث كذا» فاذا اريد الأجابة عن سؤ ال : ماذا يفعل فلان ؟ قيل «هو الآن يكتب» . وقد رجّح العلامة ابراهيم انيس ان لغة الكلام كانت تستعمل لهذا الغرض كلمات مساعدة تصلها بالفعل المضارع وان هذه الكلمات قد اختزلت فاصبح المصري واهل الشام والسوداني واهل مكة وبعض جهات اليمن يقولون : بيلعب ، بيغني . . والباء هي عنده ما تبقى من الكلمة المساعدة التي يفترض بعض المحدثين لها عدة اصول منها : باقي ، ذاهب ،

بدي[1] . وقد تكون بقى فرضاً صالحاً لأنها تتردد في الكلام كقولهم في مصر : «بقاله كذا يوم يعمل» وهي في الموصل لازمة كلام : «فلان بقى يمشي» او : «بقى لا تجي . .» وتليها في قوة الاحتمال : ذاهب حيث يرد في لغة الكتابة : «انا ذاهب افعل كذا» . . . ويجب الافتراض على اي حال ان الباء اخذت هذا الشكل في العصور الاسلامية لأنها كانت في لهجة الاندلس ويدل عليها هذا المثل العامي الاندلسي الذي اقتبسناه من كتاب «اشبيليا في القرن الخامس الهجري» للدكتور صلاح خالص :

اذا رأيت الأمير بيضمك فاعلم ان قلبي بيبكي

كما يمكن ان يستدل من وجودها في عدد كبير من اللهجات انها كانت كذلك في تلك العصور .

وفي العاميات العراقية ثلاث ادوات للاستمرار : الدال الشائعة في الوسط : ديلعب ، ديغني . . . . . ويرجح الاستاذ انيس ان اصلها قاعد فاختزلت[2] . وهو ترجيح قوي لأن قاعد لا تزال ترد مع الفعل المضارع هناك . يقال : إش د يعمل فلان ؟ فيجاب : قاعد (گاعد) يكتب . وسمعت بائعة من الشمال الغربي تشتم مشترياً وتقول : «قاعد يِستَنْقي الزَيْن الزَيْن» .

ويبدو ان قاعد هذه قد اختزلت في اداتين : الدال التي في الوسط ، والقاف التي قال الاستاذ ا انيس انهم ذكروا له انها لهجة يهودية . والصحيح انها لهجة الشمال واستعملها اليهود المتأثرون بهذه اللهجه[3] .

---

(١) ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٢) ص ٢٤٢ .

(٣) اللهجات لاتتوزع على الطوائف بل على الأماكن. وقد سعى الباحثون الغربيون الى التوزيع الأول لأغراض تقسيمية . وللمستشرق الفرنسي ماسينيون دراسة من هذا النمط وزع فيها لهجة بغداد الى : لهجة شيعية ، لهجة سنة ، لهجة نصارى لهجة يهود . . انظر كتابه «لهجة بغداد المعاصرة» تر . اكرم فاضل ، بغداد ١٩٦٢ .

ويقول الشماليون في العادة : ق يكتب ، ق يلعب . . . بذل ديكتب او ديلعب . مع ملاحظة ان الدال والقاف تلفظان بالفتح مرة وبالمد مرة بحسب اللهجات .

الأداة الثالثة للاستمرار في العراق منطوقة في الجنوب وعموم الأرياف ، وهي الجيم حيث يقال ج يكتب ، ج يلعب . وارجح انها اختزال من جاء او جاي التي ترد كاملة في كلامهم احياناً : جاي يلعب ، جاي يزرع . .

التسويف :

يشترك عدد من اللهجات المعاصرة في اداة تسويف مأخوذة من الفعل راح . هي : راحْ والحاء المختزلة منها ، كما اختزل السين من سوف . ويرجح اشتراك هذه الأداة في اكثر من لهجة كونها قديمة في لغة الكلام . واصل اشتقاقها قولهم في لغة الكتابة : «راح فلان ليفعل كذا» وفي لغة الكلام : «فلان رايح يفعل كذا» او «راح يفعل كذا» وفي هذه العبارة معنى الفعل الحاضر الذي لم يقع بعد اي ان فيه معنى الاستقبال . فصارت تعني : «فلان سيفعل كذا» وبذلك اكتسبت راح معنى سوف ثم اختزل منها الحاء فصار يقال : «فلان ح يفعل كذا» . لكن راح لم تنسحب من التداول فهي باقية مع الحاء كما بقيت السين مع سوف .

اداة الاضافة والتملك

تعتمد الفصحى في بيان مفهوم الاضافة والتملك على الجمع المباشر بين المضاف والمضاف اليه فيقال : روح العصر ، حضارة العرب ، كتاب محمد . . . .

ويفصل هذه الكلمات في اللغات الأوروبية اداة اضافة من قبيل Of في الانكليزية DE في الفرنسية والاسبانية فيقال : LIBRO DE BOOK OF MOHAMMAD ,- MOHAM.. وقد يخالف الانكليز في الترتيب فيسبق محمد الكتاب ويفصل بينهما بـ S التملك : MOHAMMAD'S BOOK .

وتجري العاميات المعاصرة على هذين النسقين : الجمع المباشر بين المضاف والمضاف اليه او استعمال اداة للاضافة . وهي بحسب اللهجات :

تبع : في السورية ، بتاع في مصر والمغرب ، ديال في المغرب مال في العراق ، حق في الخليج واليمن وبقية انحاء الجزيرة .
والأدوات من ا لفصيح كلها عدا ديال المأخوذة من الفرنسية او الاسبانية .

ادوات الاستفهام

هذه الأدوات من اكثر الأمور اختلافا في اللهجات ، على مستوى البلد الواحد او اجزاء البلد . وفيما يلي مسرد بما توصلنا الى معرفته منها :
أيش : مر بنا انها اختزال اي شيء وهي قديمة ترجع الى حقبة الاحتجاج وتوجد حالياً في معظم اللهجات بأصلها أومحرفة الى إش باختزال الياء او الى شو من : ايش هو في سوريا او شنو من ايش هو في وسط العراق (النون للوقاية) او أشنو في المغرب وشمال العراق . او شنهو وشنهي في جنوب العراق .

ايه : ايش . مصرية . لعلها اختزال اي هو ولها سابقة في شعر لذي الرمة ، من الأوان الأموي :

«وقفنا فقلنا ايه عن ام سالم»

ليش : اختزال لأي شيء او لايش في العراق ومصر وسوريا والخليج وعمان .
ليه : ليش . من لأيه . مصرية .
لِه: في صنعاء . وقد مرت بنا صيغ اخرى مبنية لنفس المعنى .
عْلاش : لماذا . مغربية وجزائرية . ويقاربها في العراق : عليش (فتح العين في بغداد وتسكينها في النجف) . اختزال : على ايش .
ماهُو : ما هو ، ايش ، يمنية .

أين : يمنية (تلفظ بعدم النبر على الياء) .

وين : اين . ابـدال الهمـزة واو . العـــراق ، سوريا ، الخليج وعمان والجزائر .

منين : اين . اختزال في اين . مصر والمغرب .

متى : بأصلها الفصيح في الموصـل وعمان . وفي سوريا ومصر : إمتى . وفي جنوب العراق والخليج : مِتى . وفي بعض لهجات العراق : يمتى ويا متى اضيفت يا للتنبيه وابدلت همزة في سوريا ومصر . وهو ابدال نادر معروف عند القدماء .

اي حين : متى . يمنية .

إمتاش : متى . مغربية . اضافة شين شيء على غير قياس .

وقتاش : متى . جزائرية . (وقت ايش) .

اش وقت (وكت) : متى في وسط العراق . (ايش وقت) .

كم : للمقدار . مصر وسوريا .

إش حال : كم . مغربية وجزائية .

قدايش : كم . في سوريا والجزائر (قداش) . مركبة من قد ، وهو القياس والقوام ، وايش .

بِيَشْ : كم . اختزال : باي شيء أو بأيش : عراقية .

كيف : للسؤال عن الكيفية . مصر وسوريا وعمان والمغرب .

إشلون : كيف . العـراق والخليج . تركيب اش + لون ويبـدل اللام نوناً عند بعضهم : اشنون .

كيفاش : كيف جزائرية (كيف ايش) .

مَن : للاستفهام عن الانسان . يمنية ، عمانية .

مين : من . مصرية وسوريا ، باشباع الكسرة على اصل مجهول لم يتبين لنا .

منو : من . عراقية نص عليها الزمخشري في المفصل .

إشكون : من . المغرب وشمال العراق والجزائر .

وتخلو العاميات من اداتي السؤال التصديقي : هل والهمزة .

اسم الموصول

يختزل اسم الموصول في لغة الكلام الى احدى صيغتين : **اللي وأل** وهو عام في جميع اللهجات مع استثناءات تجدها في بعض انحاء الجنوب العراقي حيث ينطق الاسم المفرد (الذي) كاملاً مع كسر اللام. وربما وجدت حالات مماثلة لم يبلغها استقصائي ، والاستاذ ابراهيم ا نيس ينص على ان هذا الاختزال مشترك في العاميات كلها[1] ، ويرجح لذلك أنه قديم . وهو ما يتأكد لنا من الزمخشري الذي نص في المفصل على ما يلي بشأن «الذي»[2] : «لاستطالتهم اياه بصلته مع كثرة الاستعمال خففوه من غير وجه فقالوا اللذِ بحذف الياء ، ثم اللذ بحذف الرحكة ، ثم حذفوه رأساً واجتزأوا عنه بالحرف الملتبس به وهو لام التعريف . وقد فعلوا مثل ذلك بمؤ نثه فقالوا : **اللتا واللت والضار بته هند**[3] اي التي ضربته هند» .

ويشتبك لام الموصول هنا مع ال التعريف كما في **الضاربته هند** ويفيدنا ذلك في قضايا الاصطلاحات كما سنفصله في بابه .

النبرة واللهجة

لما كنا نقرأ ما وردنا عن الأقدمين مكتوبا وليس مسجلاً بأصواتهم فمن المتعذر ان نتصور كيف كانوا ينطقون هذا الذي نقرأ اليوم . اننا نطالع حروفا صامتة مرسومة وفق نمط صوتي مقنن فنتوهم ان كتبة هذا الكلام كانوا ينطقونه كما هو مكتوب الآن. ان الحقائق التي استعرضتها آنفا يمكن

---

(١) ص ٢٤٢ .

(٢) المفصل ١٤٣ .

(٣) في حساب لغة الكتابة يجب ان يكون «الضارِبَتُهُ» ـ اربع حركات ـ ومن المستبعد ان يكون كذلك في لغة الكلام لأنه يتنافى مع الغاية من اختزال اسم الموصول . فلا بد أنهم اقتطعوا منه احدى الحركات .

أن تلقي بعض الضوء على ذلك فتحملنا على تصوير الاختلاف في طريقة النطق تبعاً لحالات الابدال والادغام والاختلاف في الحركات وغيرها وعندئذ قد نتخيل شخصا من ربيعة يقرأ معلقة امريء القيس فيقول :

قفا بِنتش من ذكرىٰ حِبيبٍ ومنزلِ
بسقط اللوى بين الدَخول فحوْمل

أو آخر من تميم فيقول :

كَفا نِبك من ذكرى حِبيبٍ ومنزل
بسكَط اللوى بِيْنْ الدخول فحوْمل

او بهرائياً يقرأ القرآن فنسمعه يقول :

هل يِستوي اللِذين يِعلمون والذين لا يِعلمون .

هذا عن اللهجة . ويبقى اختلاف النبرة مجهولاً لأنها لا تعرف بالوصف كما تعرف اللهجة غالباً . واقتبس هذه الفقرة الطريقة التي كتبها حفني ناصف عن هذه المسألة الحيوية لتكوين فكرة مقربة عنها . وأود أن يلاحظ سلفاً ان للنبرة تأثيراً كبيراً على التفاهم بين الناطقين بلغة واحدة ، لأن طريقة نطق المفردات تسبب اختلافا في مخارج المفردة تجعل تمييزها صعبا لمن لم يألف نبرة غيره . . .

قال حفني ناصف[1] :

للقبائل المختلفة هيئات مختلفة في التلفظ بالكلمات والنطق بالعبارات . فالعبارة الواحدة المركبة من كلمات معينة وان كانت متحدة مادة تختلف هيئة تبعاً لعادات الناطقين بها . وذلك عام في اللغة العربية الصحيحة والعرفية بل وفي سائر اللغات .

---

(١) انظر ص ٣٤ - ٣٦ .

وكثيرا ما تلتبس معاني الأحاديث والاخبار والكلمات المأثورة عن مشاهير الملوك والعلماء الظرفاء ويذهب المفسرون بها كل مذهب لعدم الوقوف على الهيئة التي صدرت من المتكلم بها. ولو نقلت الهيئة مع الجملة لما حصل لبس في معناها . ولهذا قال بعض المحققين ان نقل الأخبار في الحوادث التاريخية بالطريقة التي عليها المؤرخون لا يفيد القطع ولا يحمل على اليقين وانما يفيد الظن فقط . ومن ثم رجح الناس الآن استعمال التلفون على استعمال التلغراف كما رجحوا النقل بالفونوغراف (يقصد بالأسطوانات وكان المسجل غير معروف في زمانه) على النقل بالكتابة ولولا ما يستلزمه الأول من النفقات لعطل الثاني بالمرة .

والاختلاف في الهيئة يكون بالشدة والرخاوة والسرعة والبطء والتفخيم والترقيق والوصل والتقطيع والامالة وعدمها ونحو ذلك . ونقلة اللغة العربية لم ينقلوا لنا الهيئات التي كان عليها نطق العرب ولم يضعوا في الكتابة اشارات تدل عليها . وللافرنج (يقصد الاوربيين) في كتابتهم اشارات تدل على بعض الهيئات ولكنها ليست كافية ايضاً في الغرض المقصود . ويمكن استنباط الهيئات التي كان عليها نطق العرب من الهيئات التي عليها نطق العوام اليوم . فاذا رأينا في لهجة قوم في العامة خصائص كثيرة من خصائص لغة قبيلة من العرب حكمنا اولاً بأن اولئك القوم ينتسبون لتلك القبيلة كما تقدم ، وثانياً بأن هيئة نطقهم الموجودة الآن لا بد أن تكون موروثة عنهم . وحينئذ يمكننا ان ننسب الى الموروث ما تحققناه في الوراث .

ولنذكر من المسائل ما عثرنا على نسبة بعض الهيئات فيه للعرب حتى يتيسر لنا الوقوف على غيره .

المسألة الأولى : نقل العلماء أن بني قضاعة كانوا اذا تكلموا لا تكاد تظهر حروفهم ولا تتميز كلماتهم ، وعدوا ذلك من المعايب وسموه غمغمة قضاعة . ومن قرى مديرية الشرقية قريتا تل رُوَزن ومِيت حَمَل ، يغمغم اهلها في الكلام .

المسألة الثانية : لغة تميم وأسد وقيس وعامة نجد ، إمالة الفتحة والكسرة كالحركة الافرنجية (يقصد هنا الفرنسية) التي تحدث بالحرف é . والحجازيون لا يميلون الا نادراً والامالة نادرة في لغة بني سويف وبعض الفيّوم والمحلة وسائر البلاد التي يتكلم اهلها بالقاف الصريحة ، وكثيرة في لغة بقية العوام في الديار المصرية . فأهل القاهرة مثلا يميلون الف التثنية في نحو حسنين وكتابين وفرسين ، والمحليون لا يميلونها بل يضعون مكانها الياء الخالصة فيقولون حَسَنِينْ وفرسَيْنْ بفتح النون في الأول والسين في الثاني .

وبين سكان بلادنا اختلاف عظيم في هيئة النطق ، فأهل دمياط وما يجاورها من ا لقرى واهل الغَشْن وما حولها يَرْكزون ركزة خفيفة على الحرف الساكن في نحو مصطفى ومرتضى ومنتهى ونحو : مجزرة ومنشفة ومخرطة . واهل شبين القناطر من مديرية القليوبية والقريتين من المنوفية يتراخون في اواخر الكلمات واهل المرج من القليوبية يرققون الراءات مطلقاً واهل دمنهور يرققونها في مثل «رايح» و«يوم الاربع» . واهل البحر الصغير يسرعون بالنطق ولكن مع التمييز . » .

مشكلات الاعراب
ومقومات انتقال لغة الكتابة الى النحو الساكن

للاعراب في العربية وظيفتان : الأولى ايضاح المعنى المقصود من الكلام بالتمييز بين حركة المفردات بحسب اوضاعها المختلفة في العبارة : ما هو مبتدأ وخبر ، ما هو فاعل ومفعول ، ما هو ماضي ومضارع ، وما هو حال وتمييز . . . الخ . والعربية تحقق ذلك بحركة الحرف الأخير من كل مفردة وهي اما الفتح او الكسر او الضم او السكون ، ويلحق بها الحذف او الاثبات في الأفعال الخمسة والابدال بين الألف والواو والياء في المثنى والمذكر السالم .

الوظيفة الثانية موسقة العبارة . وهو غرض يتصل بلغة الأدب القائمة من جانب الشكل على عنصر التأثير الموسيقي . ويوفر الاعراب هذا ا لغرض بتنويع الضربات الموسيقية من خلال التغير المتلاحق في اواخر الكلمات . ويتصل بهذه الميزة عروض الشعر الذي يعتمد في تنويعاته الوزنية البالغة الثراء على التغير في حركة اواخر الكلمات .

ان ضرورة الاعراب في المنحى الأخير هي أمسّ منها في المنحى الأول لأنه يرتهن بأوضاع نغمية تزول بزواله . ويعني هذا ارتباط الاعراب بأوزان الشعر ، سواء في قالبها الفراهيدي ام في الحديث الحر ، لأن بحور الشعر المختلفة تعتمد كما قلنا على الحركات ا لاعرابية في المقام الأول .

اما الوظيفة الأولى فيمكن الوفاء بها دون التقيد الحرفي بالاعراب . وقد عالج هذه المسألة لغوي معاصر هو الدكتور تمام حسان في دراسة هامة عنوانها «القرائن النحوية واطراح العامل والاعرابين التقديري والمحلي» ونشرها في مجلة «اللسان العربي» ـ المجلد ١١ الجزء الأول ١٩٧١ . وفي

هذه الدراسة يقيد الكاتب مهمة الاعراب بالأمن من اللبس ، فيجعله قاعدة مشروطة يمكن اهمالها مع توفر القرائن الأخرى الواقية من اللبس . وهو على هذا الأساس يفسر المخالفات الاعرابية في القرآن راداً على اللغويين القدماء الذين اعتبروها شذوذاً أو لهجة .

يؤيد ما ذهب اليه هذا اللغوي المدرك ان الاعراب ذهب من لغة الكلام في وقت مبكر من العصور الاسلامية دون ان يؤدي الى احداث بلبلة لغوية . وقد ظهر اللحن (الخطأ الاعرابي) في غضون القرن الأول للهجرة ، اذ يتحدث المؤرخون عن اللحن عند الوليد بن عبد الملك والحجاج بن يوسف الثقفي وينسبون الى عبد الملك بن مروان قوله «شيبني خوف اللحن وصعود المنابر» وهو قول دال ـ مع امكان استبعاد صدوره عن هذه الشخصية الضخمة ـ على تفاقم ازمة الاعراب في ذلك الأوان .

ويبدو ان العرب ما إن خرجوا من باديتهم الى الأمصار وتعقدت حياتهم الاجتماعية ، ومع اختتام طور الثقافة الشفوية التي ميزت جاهليتهم ، حتى بدأوا يحسون بوطأة الاعراب عليهم . ان الاعراب ممكن في معشر بدوي غير مكتظ يحيا حياة منبسطة محدودة الأبعاد والتكاليف ، لكنه امر عسير في الحضارة ، ومع انه يسجل من بعض الوجوه نضجاً دلالياً في اللغة قد لا يكون بدوره من نتاج البادية(*) ، فان وجوده في اللغة يتعارض عملياً مع حياة معقدة ، حثيثة ، متعددة المهام .

(*) ينبغي في الواقع رفض القول المشهور بأن اللغة العربية نتاج خالص للصحراء . فالعربية هي لغة سامية تتصل من جهة باللغة السامية الأم وتتوزع نشأتها من الجهة الثانية بين البوادي والحواضر لأن رقعتها الاقليمية تتميز تاريخياً بهذا التداخل . هذا فضلا عن احتكاكها بشقيقاتها الساميات بحكم ا لوحدة الجغرافية ، واتصالها بلغات اخرى بحكم المجاورة . وانا لا ارى وجهاً لدهشة احد الكتاب من أن «تنبجس في عالم الصحراء الرتيب لغة كالعربية يقوم الخطاب فيها على المجاز ويتميز النص الذي يجسدها باتساع الفسحة وغنى الدلالة .»

وقد اعتاد مؤ رخو اللغة العربية على اعتبار اللحن قريناً للاختلاط بغير العرب ، وهو سبب وجيه ، لكنه من الجهة الأخرى ضرورة حياة لم يكن مقدراً تفاديها حتى في مجتمع صيني .

ومما يلفت الانتباه ذلك الأمر الذي يقال ان عبد الملك بن مروان أصدره بالنهي عن التكلم بالاعراب. وقد أورده أبو حيان التوحيدي في «البصائر والذخائر» ، ولعله ان يكون صادراً عن ابنه الوليد الذي عرف بكثرة اللحن . وبعض الروايات المنسوبة الى هذين الخليفتين فيما يختص بشئونهما أو صفاتهما الشخصية تخلط بين اسميهما . ويلاحظ ان هذا الأمر يصدر متزامناً مع تعريب الادارة في الشام والعراق بعد ان كانت لغتها الرسمية هي اللاتينية في الشام والفارسية في العراق . وكان ذلك بقرار من عبد الملك . وكيف يجتمع الحماس لتعريب الادارة مع النهي عن الاعراب ، الجواب واضح ، وهو أن الاعراب ليس ركناً اساسياً في اللغة العربية . ويمكن القول هنا ان موقف القدماء من الأعراب ـ على الأقل في الطور السابق لظهور النحو ـ كان أكثر مرونة من موقف المعاصرين ، والقرآن من شواهد ذلك . ورغم قلة المواضع التي وردت فيها مخالفات اعرابية في كتاب العرب الأول فان ورودها فيه ينطوي بحد ذاته على دلالة مضادة لقدسية الاعراب التي يتشح بها الاكليروس اللغوي في الوقت الحاضر .

ان الاعراب هو المشكلة الأساسية في لغتنا الحديثة فهو يضيف عبئاً زائداً على تعليم ا للغة يثقل كاهل المتعلمين ، ويضيع عليهم في نفس الوقت امكانات الاتقان للغة القراءة والكتابة بعد مرحلة التعليم الأولية . وتشتد وطأة الاعراب في لغة التلاوة حيث نجد الاصطدام بفروض النحو المعرب يجعل العربي عاجزاً عن الالقاء السليم واللبق حتى لما يكتبه بنفسه .

وقد لاحظت من متابعتي لنشأة عدد من الكتاب الشباب انهم تعلموا فن الكتابة بسهولة أكبر من تعلمهم فن القراءة ـ التلاوة . ويمكن الاستنتاج من المقارنة بين مهارات الكتاب والمذيعين ان القادرين على

الكتابة الصحيحة هم اكثر عدداً بما لا يقاس من القادرين على الانسياب في القراءة . ولا شك في ان ا لقارىء في اية لغة قد يتعثر، وليس كل ناطق بلغة يستطيع ان يكون مذيعا او خطيبا فيها . فلكل فن اهله ، لكني رأيت المتعثرين في التلاوة من مذيعي لندن العربية اكثر من المتعثرين بين مذيعي لندن الانكليزية . وكلاهما من المتمرسين بهذا الفن . ولا شك ايضا في ان شطراً من السبب يُرجع الى الخط العربي ، لا سيما وأن الوسائل الحديثة لا تهتم بالتشكيل في المواضع الضرورية التي يخشى فيها الالتباس . لكن الاعراب مسئول هو الآخر . ولو اننا حررنا الناس منه لانطلقوا يقرأون دون خوف او ارهاب .

والكتابة العربية لا ترتهن ضرورة بالاعراب ، واتقانها سهل بدونه ، ويمكن لبسيط الموهبة ان يكتب في الموضوعات التي يتقنها دون أن يكون متقناً للاعراب . وبالعكس ، يمكن القول ان اتقان الاعراب والنحو لا يؤدي بالضرورة الى اتقان الكتابة . وخير مثال عليه تجربة عايشتها بحكم اشتغالي في الصين هي تجربة تعليم اللغة العربية في هذا البلد الذي يتوق الى التوسع في الدراسات العربية . ان المتعلمين الصينيين للغة العربية يفهمون النحو بمستوى يفضل فهم الكثير من الكتاب العرب . ويرجع هذا الى نوعية مناهج التدريس المطبقة في الصين وهي نفسها في العالم العربي ، والى نوعية اساتذتهم العرب المنحدرين اليهم من شعاب الاكليروس اللغوي . لكن القليل من هؤلاء ا لمستعربين الصينيين من يقدر على التعبير عن افكاره كتابة او تكلماً . ان معظم سني الدراسة التي تتراوح بين ثلاثة وخمس سنوات في مؤسسات التعليم المختصة هنا مستهلك بدراسة النحو وفق الأصول الاكليروسية المضبوطة ، بما ينتهي الى تخريج حجج في الاعراب لكنهم خرس في الكلام . واليكم هذه الفقرة من رسالة كتبتها الي احدى الطالبات الصينيات :

«اعمل الآن في خَنان ، لم اعمل بما درست في المعهد . واعمل عملاً عادياً . وقد ازدوجت وولدت بنتاً صغيرة . . .»

فهي لم ترتكب اي خطأ اعرابي مما اعتاد عليه الصحفيون عندنا ، لكنها لم تستطع التفريق بين الزواج والازدواج لأن اساتذتها لم يجدوا وقتاً لتعليمها اللغة على حساب النحو .

لعل الوقت قد حان الآن لعرض امثلة من المخالفات الاعـرابية في النصوص القديمة ، ودلالتها على امكان تخطـي الاعـراب دون الاخـلال بمنطق اللغة واصولها . وسأبدأ بالأمثلة الحاصرة على المخالفات ثم اتدرج منها الى حالات من الاهمال التام للاعراب في لغـة الكتابـة ، ومنهـا الى استقراء لغة النصوص العامية التي تجمع بين منطق اللغة المكتوبة ولهجة لغة الكلام في محاولة لاستشراف افق اللغة الجديدة التي نطمح اليها .

في القرآن :

* ان الذين آمنوا والذين هادوا **والصابئون** والنصارى . .

قال : **والصابئون** وحكمها : والصابئين لأنهـا معطـوف على اسـم ان .

* لكن الراسخون في العلم منهم والمؤ منون يؤ منون بما انزل عليك وما انزل من قبلك **والمقيمين** الصلاة . . .

نصب المقيمين وحكمها الرفع بالعطف على الراسخون .

* ان **هذان** لساحران .
وكان يجب ان يقول : ان **هذين** لساحران .

* انه من **يتّقي** ويصبرْ
ابقى حرف العلة في يتّقي رغم أنه مجزوم .

* ولما **يأتيهم** نبأ الذين من قبلهم .

ابقى حرف العلة في الفعل المعتل كما في المثال السابق . ويبدو انه لم يستسغ وصل الهاء بتاء مكسورة فابقى الياء لتسويغ اللفظ على شاكلة ما مر بنا في تاء الفاعل المؤ نث .

امثلة من الشعر :

* من ارجوزة مشهورة للبيد العامري :

اليك جاوزنا بلاداً مَسْبعه
يخبرْك عن هذا خبير فاسمعَه

شاهدنا في الشطرْ الثاني حيث سكن الشاعر فعل المضارع (**يخبرك**) وحقه الضم على الرفع . وحرك فعل الامر **فاسمعه** وحقه التسكين . والعاميات المعاصرة بين تحري فعل الأمر المتصل بضمير الغائب المذكر فتحاً كما فعل لبيد أو ضماً بنقل حركة الضمير اليه وتسكين الضمير .

* من شاهد أورده القالي في اماليه :

انا الذي **يجدوني** في صدورهم
لا ارتقى صَدَراً منها ولا أرد

جعل **يجدون** في حالة جزم وهو مرفوع .

* وفي هذا البيت المشهور ابقى الشاعر ياء المعتل رغم جزم الفعل :

الم **يأتيك** والأنباء تنمي
بما لاقت لبون بني زياد

ومن ارجوزة اوردها القالي في أماليه :
واهاً لريا ثم واهاً واها
يا ليت **عيناها** لنا وفاها

وحكم **عيناها** النصب لأنها اسم ليت . وقد رفعها الراجز دون ضرورة لأن الوزن ينتظم في الحالتين .

ومن التسكين في موضع التحريك هذه الأرجوزة لأبو دَجانة سِماك بن خَرشَة في معركة احد :

انـا الـذي عاهدنـي خليلي ونحـن بالسفـح لدى النخيل
ان لا اقـوم الدهـر في الكبول اضربْ بسيف الله والرسول

وحكم أضرب هو الرفع .

* ومن قصيدة لأبو نواس :

قرأت كتـاب الله تسعـين مرة فلـم أر فيه للشراب حدودا
فان شئـت أن تجلـد فدونـك منكبا صبـورا على ريب الزمـان جليدا

وحكم تجلد هو النصب بأن .

* ومن شعر المتنبي :

بادِ هواك صبـرت ام لم تصبرا
وبـكاك ان لم يجـر دمعـك أم جرى

فحرك تصبر وهي مجزومة بلم . وقد عللها شراحه بأنه كان يقصد تصبر ن فحذف النون ومد فتحة الراء لتتفق مع القافية . وهو من تحكمات الشراح الذين تعودوا على الاعتذار لمشروحاتهم حتى ينفوا عنها التهـم . وقد يصـل التصرف العشوائـي عنـد الشعـراء الى ما فعلـه جرير في هذا البيت :

اقلي اللـوم عاذل والعتابن وقـولي ان اصبـت لقـد أصابن

فنوّن العتاب وهو معرف بأل لا يصح فيه التنوين واضاف النون الى اصاب اعتباطاً .

وفي البيت التالي لأحد شعراء اليتيمة ابو محمد السُلَمي :

فلعنـة الله تترى على كليلـه ودمنة

ازال الشاعـر تاء كليلـة وادمجهـا في دمنـة على سبيل الاصطـلاح المركب . ومن هذا الغرار ما قرأته في اوراق مخطوطة بمكتبة الامبروسيانا في ميلانو بايطاليا :

يا سائلي عن بنـاتْ نعشٍ وطالعها
في أشهـر الـروم هاك اسمـع معانيها

حيث سكن بنات على سبيل الاصطلاح المركب ايضاً .

ومن التسكين الاعتباطي هذا البيت من مقصورة صريع الدلاء الساخرة :

من لم يُرد ان تنتقـبْ نعاله يحملهـا في كفـه اذا مشى

سكن تنتقب وحكمها النصب بأن .

وهذان البيتان رأيتهما على شاهد قبر عربي في الصين مؤ رخ سنة ٧٠٢ للهجرة :

الهـي عبـدك العـاصي اتاكا
مقـراً بالذنـوب وقـد رجاكا
فان ترحـم فانـت لذاك أهل
وان تطـرد فمـن يرحـم سواكا

سكنت يرحم وحقها الرفع لأنها مضارع لم يتصل بجازم .

في مراحل متأخرة نجد نصوصا فصيحة غير معربة تشكل في حد ذاتها تطوراً نحـو الكتابـة الخـالية من الاعـراب ، اي القريبـة من لغـة الكلام . ولدينا مثال هام جداً على هذا المنحى في ابيات للقطب الصوفي عبد الغني النابلسي (القرن الثاني عشر هـ) رواها زكي مبـارك في الجـزء الأول من «التصوف الاسلامي» :

يا أمـة العشـق فزتـم بالبصرْ والسمعْ
قوموا اتركوا الغـرق عنـكم واقبلـوا للجمعْ
نور الشمـوع الـذي يلمـعْ عليكم لمعْ
من حرقـة القلـبْ قد ذابـت دمـوع الشمعْ

وتتمثل في هذا النص الحلقة الوسيطة بين الكتابة المعربة والكلام الدارج حيث تقطع لغة الكتابة شوطاً بعيداً في تقليص الفجوة بين اللهجتين . ان الفرق بين هذه المقطوعة من ا لفصيح غير المعرب والشعر الشعبي المكتوب بعامية مفصحة هو فرق ضئيل كما يتضح من المقارنة مع المقطوعة التالية التي وجدتها في اوراق مخطوطة بمكتبة الامبروسيانا في ميلانو :

الـزم باب ربـك واتـرك كل دونْ
واسألـه السلامـة من دار الفتونْ
لا يضيق صدرك والعالـم شئون
والله المقـدر والحـادث يهون

وهذا النمط من العامي المفصح او الفصيح الغير معرب يشيع حالياً في اليمن ويسمى بالشعر «الحميني» ومن امثلته هذا ا لبيت للقاضي عبد الرحمن الآنسي نقلته من كتاب «الأمثال اليمنية» لاسماعيل الأكوع :

واذا الاصِـلْ مختـل من وقـت البنا
كيف يثبـتْ على الأصِـلْ بنيانْ

لاحظ انه حين سكن الأصل حرك الصاد على الطريقة التي سبق شرحها في تحريك عين الثلاثي الساكن .

ونجد في العصر الحاضر امثلة على العامي المفصح في نتاج بعض الشعراء الشعبيين وهم فريقان ؛ مثقف يكتب الشعر العامي أو أمي يكتب الشعر بلهجته القريبة في اساسها من لغة الكتابة . مثال الأول احمد فؤ اد نجم وعبود الكرخي . ومن احمد فؤ اد نجم هذا ا النداء للشعوب المستضعفة :

خلاص ! خلاص !
ما فيش خلاص !
الا بالقنابل والرصاص

ومن عبود الكرخي هذا المقطع من قصيدة يهاجم فيها وزيراً اشترك في الوزارة خلافا لرغبة الحركة الوطنية في زمانه فوعد بالاستقالة ولم يف ؛ والكرخي شاعر عامي عراقي توفي عام ١٩٤٧ :

وعدتْنا من الوزارة تستقيل وعْدلت عنها لماذا يا محيل
ما تعرفني العلة والسبب هل حصل لك مبغض بعقلك لعب
والأصح بانواط غشواك وذهب عقلك وظليت دايخ كالهبيل

والمفردات هنا كلها فصيحة ما عدا انواط المأخوذة من الانكليزية لأوراق البنكنوت . اما تلفظها فيمكن ان يتفاوت حسب اختلاف اللهجات من غير ان يكون هذا التفاوت حائلاً دون فهمها .

ومن العامي الذي يصدر عن لهجة مفصحة اصلاً هذا الموال من اللاذقية :

علامك يا بحر حطيت فينا
شمّتّ العدا والناس فينا
حطيتنا بمركب وسار فينا
من كثر الأمواج نسّيتنا الأحباب

والنص واضح وفصيح في جملته .

وهذه المقطوعة لشاعر من القرن التاسع عشر من اهل جنوب العراق يمدح فيها احدى العشائر :

يا راكباً من فوك تلعة من الأبكار
هجهوجةً تنمي سليل النعامات
اكصد لعند بيت الصخا والمروات
اولاد حمير كلهم منوة الجار

تلعة : اصلها ما ارتفع من الأرض ، وهنا كناية عن الابل .
الابكار : الابل الفتية .

هجهوجة : اصلها هجهاجة وهي الابل الشديدة الهديرة .
المنوة : المنية ، الامل ، فصيحة . .

وهذه الأبيات لشاعرة من جنوب العراق ايضاً تدعى دَنَّة الساعدية تحمس قومها على الحرب وتشيد بقائدهم ابو مهودر :

گوم وشد لبو مْهودر على حصانَهْ
يا حر الكبير الـ خَزَّل العانه
من كُثْر الطبرُ يمناه خدرانه
وسيوفَه بالجماجمْ أبد مثنيّه

لاحظ هنا : لفظ القاف كما في النص السابق ، على لهجة حمير وتميم ، حذف الهمزة من ابو . اختزال اسم الموصول الى ال ، وتحريك باء طبر على الطريقة التي مر شرحها . وما يبدو من عناصر العامية الصرفة تسكين اوائل بعض الكلمات : حصان . سيوف . . اما المفردات غير المفهومة في النص فهي مفردات قاموسية غير متداولة في لغة الكتابة الحديثة ونادرة في القديمة ، ولكنها معروفة في عامية الجنوب . فقولها : خزل يعني عوق ومنع ، والعانة هي قطيع حيوانات البر كالظباء وحمير الوحش . تريد الشاعرة من هذا البيت ، ذو البنية الجاهلية ، ان حرارة الثأر والخصومة قد شلت هذه الحيوانات المعروفة بسرعة الجري .

***

وقد سلفت في النثر العربي سوابق انضوت على حالات من الدمج بين العامي والفصيح في المفردات والتراكيب . ومنهـا «الف ليلـة وليلـة» المكتوب بلغة بسيطة عفوية قريبة من لغة الكلام رغـم التزامهـا ا لحـرفي بالنحو المعرب . ولنقرأ هذه العبارة في حديث التاجر عبد الرحمن مع ابنه قمر الزمان عن زواجه بامرأة خانت زوجها معه[1] :

«ان تزوجت بها اكون بريا منك في الدنيا والآخرة واغضب عليك غضباً شديداً . كيف تتزوج بها وهي عملت هذه الفعال مع زوجها ؛ وكما عملتها مع زوجها على شانك تعمل مثلهـا على شان غـيرك فانهـا خائنـة والخائن ليس له أمان . »

ولو اردنا ان نكتب هذه النص بعـامية مفصحـة فسيكون الفـارق ضئيلاً : «اذا تزوجتها اكون بري منـك في الـدنيا والآخـرة ، واغضـب عليك غضـب شديد . كيف تتزوجهـا وهـي عملـت هذي الفعـال مع زوجها ؟ ومثلما عملتهـا مع زوجْهـا على شانَـك تعمـل مثلهـا على شانَ غيرك . فهي خاينة والخاين ما له امان» .

ولنقرأ هذه العبارات :

« . . فوالله يا اخواني ما لحقت أن تصل الى رأس الزقاق الا والباب قد فتح» .

. في بعض العاميات المعاصرة بنفس المعنى	الليلة ٣٢٨
. . قم اطلع الى هذه الطبقة	
في سوريا بمعنى اصعد ، متعدية بحرف الجر	ليلة ٣٢٠

---

(١) الليلة ٩٧٦ .

. . وحط البنج في الطعام حتى تبنج الكلاب والعبيد ودليلة وابنتها زينب . ثم اطلع القصر وانت بجميع الثياب منه[1] .

الليلة ٧٢١

الأولى مشتركة في العاميات والثانية في سوريا متعدية بنفسها

. . والله يا سيدي عمري ما دخلت هذه الديار

في معظم اللهجات . الليلة ١٥٨

. . ثم اخذت القماش وهي باهتة من حسنه وجماله

في العراقية بنفس المعنى ١٥٨

. وصار الوقاد يفسخ له من ذلك الدجاج ويطعمه .

في العراقية : يفصخ الليلة ٦٩

ونجد مثالاً آخر في «منامات الوهراني» ، القرن السادس الهجري ، وهو كاتب يتمتع بحس شعبي انعكس في لغته التي احتوت على عناصر عامية في بعض تراكيبها ومفرداتها ، مع نزوع قاصد الى نقد الحذلقة والتقعر عند الكتاب المتفاصحين . ولو ان براعته الأدبية اضفت على كتاباته لوناً بلاغياً متميزاً «عن «الف ليلة وليلة» ومتأثراً بلغة المقامات . ولنقرأ هذه الفقرات منه :

١ ـ انا رايح اردها عليه . ص ٣٥

٢ ـ يا غلام اغسل حلوق القوم من ذكر الوهراني . ص ١٧٠ .

٣ ـ والله ما يقدر ابن البيساني يلوك من هذا كلمة . وما العجب الا ممن استكتبه وتركك بطالاً ـ ص ١٧١ .

٤ ـ ستين سنة لي اتعب عليه الى ان جاء هكذا ـ ص ٨ .

٥ ـ كأنما وقعت في بئر لم يظهر لها حس ولا خبر الا على المساخر والقوادين ـ ص ١٨٧ .

---

(١) يزعم المؤرخون الامريكان ان التخدير اخترع في الولايات المتحدة عام ١٨٤٢ وهذا النص من الف ليلة وليلة ، يخالف تزمينهم للاختراع .

العبارة الأولى تركيب عامي يستعمل في معنى الاستقبال . ومنه اتخذت معظم العاميات المعاصرة اصطلاح «راح» بمعنى «سوف» . وفي الثانية استعمل حلوق ، جمع حلق ، بمعنى فم وهو توليد عامي لأن الحلق في الفصيح هو مجرى النَفَس وفي الثالثة نجد المظاهر العامية التالية : اداة النفي ما التي تكثر في العاميات وتقل في لغة الكتابة . حذف ان المصدرية بعد الفعل يقدر . الفعل : يلوك الذي يكثر في العامية العراقية بدل يمضغ . وكلمة بطال اي عاطل وهو توليد معنوي لأن الفصيح مبالغة من الباطل . وفي العبارة الرابعة تركيب عامي «ستين سنة لي اتعب عليه» اما في الخامسة فوردت «حسن» بمعنى صوت وهو عامي[1] .

ولدينا تطبيقات للدمج بين العامي والفصيح في مصادر اقدم ترقى الى الجاحظ الذي ضمن كتابه «البخلاء» مفردات عامية استقاها من بيئته البصرية ـ البغدادية . والأهم منها دعوته الى كتابة الحوار بحسب ما ينطقه المتحاورون ، وقد طبقها في «البخلاء» ، ولو أن ما تبقى من تطبيقاته في النسخ التي وصلت الينا هو قليل ، فلعل النساخ قد تلاعبوا به على مر العصور واصلحوا ، كما يبدو ، ما اعتبروه سهواً من المؤلف ! ولدينا مع عمال المطابع تجارب مماثلة . . وقد اشرت من قبل الى «نشوار المحاضرة» للتنوخي . ولنقرأ أخيراً هذه الرواية لابن شاكر الكتبي في «عيون التواريخ» ـ القرن الثامن الهجري :

«في منتصف جمادى الآخرة وصل الخبر من مصر ان امرأة عجوز من الحسينية تجيب شباب الى امرأتين عندها وعندها رجال يقتلوهم ويعطوهم لوقاد الحمام يحرقهم في الاتون بالليل واذا اجتمع عندهم خمسة أو ستة ودوهم الى ملاح مقابلهم في النيل فيغرقهم في البحر[1]» .

---

(١) انظر : منامات الوهراني ومقاماته ورسائله تحـ . ابراهيم شعلان ومحمد نغش باشراف عبد العزيز الأهواني . القاهرة ١٩٦٨ .

(١) ج . ٢٠ ص ٢٩٣ . ط بغداد

شواهدنا هنا : تسكين «عجوز» وحكمها الفتح لأنها نعت لأسم ان .

تجيب : تجلب اختزال قديم من : تجيء

تسكين «شباب» وحكمها النصب على المفعولية .

حذف النون من «يقتلوهم ويعطوهم وهما مضارع مرفوع باثباته . .

ودوهم : أدوهم ، بمعنى ارسلوهم . ابدال الهمزة واواً .

البحر: يقصد به نهر النيل ، تسمية شائعة في مصر ، ومنها الأغنية المعروفة : «يا مسافر على بحر النيل» وقد اجاز اللغويون هذه التسمية استناداً الى الآية : «وما يستوي البحران . .» ولم يوفقوا لأن الاسم هنا ورد على سبيل التغليب لغرض بلاغي . وتسمية النهر بحراً لا تصح لأنها مخلة بلغة الاصطلاح .

***

يقول الاستاذ محمود تيمور : «هذا الذي نجده من ظواهر العامية ونسميه فوارق بينها وبين الفصحى ليس في الحق فوارق بينها وبين العربية ، وربما كان من الانصاف ان نسميها موافقات . ونحن اذا سميناها فوارق فلأننا نلحظ انها تفرق بينها وبين لغة الكتابة والتدوين ، لا بينها وبين العربية في معناها ا لعام وفي شمولها لما جرى على السنة العرب من لغات ولهجات(١) . . .

وقد نظر بعض اللغويين القدماء الى اللهجات على انها اجزاء متكاملة من بنية اللغة العربية . وعلى هذا الاساس كانت القراءات السبعة او العشرة للقرآن اعترافاً «رسمياً» بوجود لهجات تختلف عن الاطار المعلوم للغة الكتابة . ويبدو ان بعض اللغويين ، لا سيا محدثيهم ، قد فهموا

---

(١) مشكلات اللغة العربية ص ١٧٦ .

مبدأ وحدة اللغة على انها وحدة القواعد النحوية التي استقـرت في كتـب النحاة ، فسيجوها بأسوار تحميها من لغة الكلام الساكنة ، وانتهوا من ثم الى خلق عالمين لغويين منفصلين لا يؤ منان حتى بالتعايش السلمي ! وقد انتبه الخليل في وقت مبكر الى هذه اللعبة فحذر من التزمت في مسألة اللحن (الخطأ النحوي) واوضح ان لغة العرب اكثر من ان يلحف فيها احـد .

لكن عقلية الخليل المتنورة لم تجد الا القليل من الورثة . على ان فريقاً من اهل اللغة لم يفتهم ، وقد اتضحت امامهم آفاق اللغـة العـربية الأكثـر شمولاً ، ان يجعلوا القياس على اللهجـات كالقياس على اللغـة المكتوبـة صحيحاً ومقبولاً . ورغم الأهمية الكبرى لمبدأ وحـدة اللسـان فان هذه الوحدة لا يمكن تصورها ، في الحق ، الا من خلال الشمول الذي تنضوي تحته لغتا الكتابة والكلام دون تفريق بين لهجـات المتكلمين الا في نطـاق العمل المعجمي القائـم على الانتقـاء . ولقـد اتضـح لنـا حتـى الآن ان الفواصل بين لغة الكتابة ولغة الكلام والفوارق بين اللهجات هي اضيق بكثير مما وضعه الاكليروس اللغـوي اتـكالاً على جهـل الغيـر بتـاريخ اللغة .

ومع اننا لا نطمع بالدمج الكامل بين لغة الكتابة ولغة الكلام ، ولا بين سائر اللهجات ، ما دامت الحياة ترسـم باستمـرار حدوداً للمنطـوق والمكتوب لا يمكن عبورها في اية لغة ، وما دامت اللهجات امراً طبيعياً في اللغات الكبرى ، لكننا نجد في الحقائق ـ الاسرار ، التي وقفنا عليها من الرجوع الى تاريخ اللغة ما يمكن ان يمهد لنا سبيلاً لا حباً للعمل على ايجاد شكل من التكامل اللغوي يضم المنطوق والمكتوب من اللغة ويضع العلاقة بينهما في نصاب جديد يقوم على الأخذ المتبادل . وسيتيح لنا ذلـك السعي لتقليص الهوة بين اللهجتين الى الحد المعقول الذي نجده في معظم اللغات الحية بالاتكال على سيرورة متقابلة تشتمل على جزءين متكاملين : تفصيح العامي وتبسيط الفصيح .

ومثل هذه السيرورة جارية الآن في حدود معلومة يعكسها في المقام الأول تطور العامية بالتدريج نحو التفصيح بمستويات يمكن ان نتبينها من المقارنة بين عامية الجيل الماضي وعامية الجيل الحاضر في البلدان العربية المختلفة ، وذلك بعد ان اتسعت رقعة الثقافة وهيأت للفصيح من زخم الاستعمال والشيوع ما ضاعف من تأثيره على لغة الكلام . وهو تطور لا محيص عنه في عصر تغدو الثقافة فيه زاداً يومياً للجمهور . وقد لاحظ لغوي انكليزي : «اننا في هذه الأيام اشد خضوعاً في كلامنا للضغط المتواصل من الثقافة مما كان عليه المواطن الوسط في روما»[1] ويصدق هذا على العلاقة بين المنطوق والمكتوب في اي لغة معاصرة .

لكن الهوة بين اللهجتين يجب ان لا تترك للتطور العفوي ، لسبب بسيط وهو ان العامية مهما تطورت تحت تأثير الفصحى فانها لن تصل الى حد الاتحاد في كتاب النحو المعرب ، مما سيفرض علينا اعادة النظر في علم النحو العربي استناداًلى السوابق والجذور التي استعرضناها آنفاً ، واستجابة لحاجات العصر الحاضر . ولا يعني هذا اهمال دراسة الأصول العامة للغة الكتابة لأنها لا تؤخذ بالسليقة شأن لغة الكلام ففي اية لغة يتجاوز اهلها طور الثقافة الشفوية لغة كتابة يحتاج من يمارسها الى تعلمها . والمنطوق ليس هو اللغة كلها بل نسبة معلومة منها ، والا لما وضعت المعاجم ، والعبارة المكتوبة ليست مهما تقاربت اللغتان كالعبارة المنطوقة ؛ والا لما دُرست اللغات الوطنية واكتفى الناس بما يأخذونه من آبائهم ومحيطهم .

ويمكننا ، الآن ، استشراف لغة عربية متكاملة : نحواً وقاموساً تميل في الجانب الأول إلى التخلص من الاعراب فيلتقي طرفاها، المكتوب والمنطوق ، في وحدة شمولية تتأكد بالتقنين الواعي وتراعى فيها الفروق

---

(١) انظر W.D.ELCOCK, THE ROMANCE LANGUAGES LONDON: 1959, p. 20

الطبيعية بين شطريها. وتنزع في الثاني الى استيعاب مجمل القاموس الكلاسيكي الموزع الآن بين لغتي الكتابة والكلام . ولعلنا نستطيع تحقيق هذه السيرورة عبر المطالب العملية الآتية :

١ ـ التخفيف من قيود الاعراب في لغة البحث العلمي والفكري والفلسفي، والاكتفاء منه بما يلزم لضبط الفكرة والامن من الالتباس .

٢ ـ تخفيفه ، او اهماله ، في اللغة العامة ، لغة الاذاعة والصحافة والادب والسياسة ـ عدا الشعر الذي يقبل الخيارين بطبيعته : خيار الاعراب في الأوزان التي لا تستقيم بدونه ، وخيار التسكين في الأوزان التي يمكنها الاستغناء عن الاعراب على النحو الذي رأيناه في شعر النابلسي .

٣ ـ ادخال الصيغ العامية في لغة الحوار القصصي والمسرحي ، والى حدود معينة في اللغة العامة . ويمتد ذلك الى : أدوات الاستفهام ، أدوات الاستمرار ، أدوات الاستقبال ، العبارات الاصطلاحية ، واسماء الاشارة والموصول . هذا مع مراعاة مدى انتشار النص ، فالكاتب على نطاق محلي محدود يستطيع التصرف في الصيغ الشائعة في محيطه الخاص ، كما يفعل الشعراء العاميون في المعتاد ، وما هو متتبع أيضاً في البلدان ذات اللهجات المتباعدة كالصين . لكن النص المكتوب لينشر على نطاق عام لا بد فيه من مراعاة الصيغ الأكثر اشتراكاً . ويمكنني القول هنا بصلاحية استعمال صيغ عامية فصيحة المبنى تشمل : أداة الاستقبال راحْ الى جانب سوف . ال واللي المختزلين من اسم الموصول ، الى جانب أصله الكامل الحروف . ذول وذولا وهاذول ـ أصلية أو مبدلة ـ ، ها مختزل اسم الاشارة عند الاتصال باسم معرف بال . أدوات الاستفهام : ايش ، اش ، ليش ، عليش ، اي حين ، كيف وكيفك ، كم وبكم ، ما هو ، قدايش ، وين . فين .

اما أدوات الاستمرار فأصلحها عندي للشيوع هي الباء لأنها متداولة في دائرة واسعة تضم كما رأينا سوريا الطبيعية ومصر واليمن وبعض الحجاز . وهي بهذا الشمول تؤكد عراقتها في اللغة . . اما الدال والقاف

العراقيتيان فعندي أن أصلهما أصلح للعبارة في حالة الاستمرار ، وقد مر بنا أن قاعد ما تزال متداولة في لغة الكلام العراقية . ولا ننس ان الاستكثار من الصيغ المختزلة في الكتابة ليس ضرورياً فالاختزال في جوهره حاجة كلامية لا كتابية .

ويمكن استعمال أدوات التملك الفصيحة دون أي اشكال فنقول : هذا الكتاب تبعْ فلان . هذا الكتاب مالْ فلان ، هذا الكتاب حقْ فلان . . فلا نأتي ببدعة ولا نقول أمراً غير مفهوم . والاشكال في بتاع لانها بعيدة نسبياً عن أصلها . ومع ذلك فالمفردات المصرية تمتلك من حق الشيوع ما ليس لغيرها ، لأنها معروفة خارج مصر بفضل انتشار السينما والغناء المصريين وانفرادهما تقريباً بالساحة العربية ، ولانها أيضاً منطوقة لدى أكبر الشعوب العربية نفوساً . ولا تصلح ديال المغربية للتعميم لأنها أجنبية ومحدودة . والمغاربة كما ذكرنا يعرفون بتاع وينطقونها .

٤ ـ يجب أن يباح للكتاب استعادة المفردات العامية الموجودة في القاموس ، والمهمة في لغة الكتابة ، اذ لا يجوز اعتبارها مفردات ميتة بينما هي منطوقة الآن . كما يجب أن تباح المفردات العامية المشتقة أو المولدة . وسنستعرض في الفصل التالي أحوال هذه المفردات وغيرها من قاموس العامي وكيفية معاملتها في لغة الكتابة .

قاموس العامي

أصدر مجمع اللغة في القاهرة ـ وهو أعلى المجامع العربية شأناً ـ قراراً ينص على «تحرير السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع كالحدادين والنجارين والبنائين وغيرهم من أرباب الحرف والصناعات» ويعني هذا القرار فيما يعني مساواة ما يسمع من عامة اليوم بما كان يسمع من الاعراب أو يؤخذ من أقوال الجاهليين ، ولا بد أن يتضمن ، بدوره ، فتح باب المصالحة بين المنطوق والمكتوب في لغتنا ، ذلك الباب الذي سكره اللغويون منذ قرون طوال .

ان سيرورة الاصلاح اللغوي تقتضي شكلاً جديداً من التعامل مع «قاموس» العامي يستند الى اقرار المجمع الذي يجب ان لا يبقى حبراً على ورق . وفيما يلي أفكار مقترحة لتطبيق هذا القرار تستند اليه وتستوحي في نفس الوقت منطلقات الاستاذين محمود تيمور وابراهيم أنيس في مؤلفاتهما التي ذكرتها آنفاً . .

١ ـ ان الجزء الأكبر من قاموس العامية يتألف من المفردات الفصيحة لفظاً ومعنى . وينقسم هذا القطاع الى شطرين : مفردات شائعة في لغة الكتابة ، قاموسية أو مولدة ، ومفردات غير شائعة في لغة الكتابة لكنها فصيحة بين قاموسية أو مولدة . ولا نجد حاجة للتمثيل للشطر الأول لانه يشكل مجمل القاموس المشترك بين اللهجتين ، وسنمثل للشطر الثاني رغم كثرته أيضاً لان معظم الناس لم يتعودوا على اعتباره من الفصيح نظراً لاقتصار تداوله عن لغة الكلام .

سراج : للمصباح . في العاميتين اليمنية والعراقية .
زول : الشخص ، في العامية السودانية .
زرابي : السجاد . جزائرية ، من ألفاظ القرآن .

فَلَج : للنهر الصغير . في عامية الخليج وعمان .
يسكُر : يغلق . في المصرية والسورية . وهو من الفاظ القرآن .

وِذْرة : للقطعة الصغيرة من الشيء . في العراقية .
الخابية : للجرة في المغربية والسورية .

وهذه مفردات قاموسية بحتة بعضها مفقود في لغة الكتاب القديمة والحديثة وبعضها مفقود في الحديثة دون القديمة . وتداول الموجود في القديمة فقط قد يرجع الى ظاهرة تأثر المنطوق بالمكتوب ولو أن هذه الظاهرة كانت محدودة جداً في أوان السقوط الحضاري . اما المفقود في القديمة والحديثة معاً ، ومنه «زوال» السودانية فإن تداوله في العامية المعاصرة يدل على انه كان متداولاً في لغة الكلام قديماً واستمر متوارثاً ، اذ لايعقل ان العامة اخذته من القاموس . ويمكن ان نفترض للمفردة الشائعة في لهجة واحدة معاصرة انها كانت في لهجة احدى القبائل المقيمة في ذلك البلد ولم تصل الى لغة الكتابة في أوانها .

ويسعنا ايضاً افتراض وضع مماثل لمفردات فصيحة المخارج والبناء وردت في العاميات ولم ترد لافي لغة الكتابة ولا في القواميس . فلعلها من المتداول قديماً على الألسنة ولم يصل اليه استقصاء اللغويين الذين دونوا اللغة . من هذه المفردات :

يشحط : بمعنى يسحب الشيء على الأرض . في السورية والعراقية . وهي موجودة في المعاجم بمعاني لاعلاقة لها البتة بهذا المعنى .
يجعمز : (جيم قاهرية) لفظة ليبية تعني يقعد . لم أجدها في المعاجم وهي فصيحة البناء .

يشخط : عراقية . بمعنى يخط على الشيء بصوت مسموع . ومنها الشخاط لعود الثقاب لأنه يُشخط على جانب العلبة المطلي بالكبريت حتى يتقد .

اما المفردات ذات المعاني المولدة[1] . فمنها .

شقفة : اصلها كسرة الخزف . ثم شملت في عامية مصر وسوريا كل كسرة او قطعة دون تخصيص .

عبيط : معتوه . مصرية . وللعبيط في القاموس معاني مختلفة تلتقي حول مفهوم الفوضوي والغير مكترث . ومنها الاعتباط ضد الرقة وعدم الانضباط والانتظام .

سمح وسمحة : للشيء الجميل . سودانية . والقرينة واضحة .

جَحْمة : للجزء المنتفخ ، المفلطح ، من القارورة او القنينة .

«يمنية» اصلها في القاموس «العين» ولشاعر قديم يدعى خنافر الحميري :

● وكشّف لي عن جحمتيَّ عماهما ●

قرينة التوليد تفلطح محجر العين واتصافه بصفة الوعاء . وربما كشف المزيد من تأثيلها انها كانت تختص بالمحجر دون العين ، بحكم قرينتها العامية .

التحييد : الازاحة . مغربية . وفي لغة الكتابة الحديثة : جعل الشيء محايداً . واصله في القاموس . حاد عن الشيء اي أمال عنه ، وهو قرينة الازاحة في المغربية . واشتقاق تحييد في لغة الكتابة من المحايدة اي المجانبة مما يلحق بنفس النمط مفردات وردت في لغة الكتابة بمعنى مجازي وبقيت في العامية بمعناها القاموسي . من امثلتها : بسالة في لغة الكتابة بمعنى الشجاعة وفي العامية المغربية بمعنى الكراهية ، وهو معناها القاموسي .

---

(١) يجب ان لا يغيب عنا ان المولد العامي قد يكون اصلياً . اذ لا يمكن القول ان اللغويين القدماء قد استطاعوا الوصول الى كل المفردات المتداولة في لغة الكلام آنذاك . أو أنهم استقصوا كل معانيها في اللهجات . وقد وردت روايات تفيد انهم تحاشوا الاخذ من القبائل التي كانت ضمن حدود العراق أو الشام متاخمة للاعاجم لاحتمال فساد لغاتها على حد زعمهم .

موقفنا من هذا النمط من المفردات[1]

٢ ـ المفردات القاموسية مبني ومعنى تدرج في المعجم سواء منها ما هو في لغة الكتابة ام ليس فيها . ويدخل في هذا العداد المفردات الفصيحة البناء التي لا اصل لها في القاموس ولم ترد في لغة الكتابة . وبالطبع فإن ادراجها في المعجم يعني إباحتها في لغة الكتابة .

ب ـ المفردات القاموسية ذات المعنى المولد تدرج بمعانيها المولدة اذا كانت معانيها القاموسية غير معروفة ، وبكليهما اذا كانا معروفين وكان الفارق بينهما قائماً على قرينة مجازية .

٢ ـ هناك مفردات محورة عن اصلها القاموسي مع بقاء معناها . وهذه بعض الامثلة منها :

خنغر: عكس مغربي للفعل الفصيح **فنخر** اي تكلم بأنفه . وقد تحدثنا عن القلب في اللغة .

• شلة : سورية بمعنى الجماعة او الرهط . أصلها القاموسي : ثلة : وهي من الفاظ القرآن : ثلة من الاولين وثلة من الآخرين . وتدخل في باب الابدال . ولو أن الابدال من الثاء الى الشين نادر ، فلعله تصحيف وليس ابدالاً في الأصل .

جَدَع : غلام . مصرية . اصلها بالذال . وفي الرجز القديم :

ياليتني فيها جذع اخب فيها واقع

يتمنى لو انه كان غلاماً يوم قامت الحرب .

وهي في المصرية من باب الابدال .

---

(١) الأراء التي سنسجلها بصدد المعجمة هنا تستند كما قلنا على قرار مجمع اللغة في القاهرة ، ومنطلقات الاستاذين محمود تيمور وابراهيم أنيس في كتبهما التي المعنا اليها في المفاصل السابقة . وآمل ان يأخذها القارىء على هذا الأساس ، اي بوصفها حصيلة جهود مشتركة قد لا يكون لي فيها غير تعيين وتحديد اطارها العملي ـ التطبيقي .

والرأي في هذه المفردات ان تضاف الى القاموس في موضعها مقيدة بنفس معانيها مع الاشارة الى طبيعتها . مقلوب او مبدل . ويعتبر ورودها في القاموس من قبيل المرادف او اللهجة على النحو الذي قيدت به القواميس القديمة امثالها . مع ملاحظة ان بعض هذه المفردات قد تلتبس بغيرها نتيجة القلب او الابدال مثل شلة اذا جمعت التبس جمعها مع لفظ المرض المعروف (شلل) . وعلى الكتاب اختيار انسب الصيغ منها .

٣ ـ وجود صيغ مشتقة حسب اصول الصرف في معاني مرادفة للفصيح . مثالها :

وجعان : مريض في العامية العراقية . اشتقاقها من الوجع على زنة فعلان

مرْضان : مريض في العامية السورية . اشتقاقها من المرض على نفس الوزن السابق .

عاجف : هزيل . مغربية . أصلها الفصيح : عجيف واعجف والاشتقاق المغربي على زنة اسم الفاعل .

وهذه الاشتقاقات فصيحة كلها فتضاف الى القاموس كمرادفات للمشتقات القديمة .

٤ ـ وجود صيغ مشتقة حسب اصول الصرف في معاني مولدة . ومن هذا القبيل :

باهي : جيد . ليبية . اشتقاقها من البهاء . وقرينة التوليد واضحة . زنة اسم الفاعل .

ولدنة : في العامية السورية بمعنى الخفة والطيش . اشتقاقها من الولد . زنة فعلنة

رهاوة : اشتقاق عراقي من الرهو والراهي اي الواسع . وتعني هنا السعة والتمكن . زنة فعالة .

وتضاف هذه المفردات الى القاموس في معانيها المولدة كمفردات جديدة ذات دلالات مستقلة او مرادفة بحسب معانيها .

٥ ـ وجود مفردات محرفة عن لفظها تحريفاً يجعلها اسوغ من الفصيح او يعطيها دلالة متميزة عن لفظ اخر مشارك في البناء او يولد منها معنى جديداً . ومن امثلة هذه :

الضَّنْء : النسل والاولاد . شائع في العاميات المعاصرة بالصيغ التالية : الضَنا : في المصرية والسورية والعراقية .
اصله بفتح اوله وكسره ويغلب الفتح على العاميات لانه اغلب في القاموس .

الضنايا : في لهجة زغير والشاوية (البربرية) في المغرب . ويقال للذرية .
ان بناء ضنا وضنايا اسوغ لفظاً من ضنء لانها عسيرة النطق . لكن لفظة ضنا ملتبسة لانها تتجانس مع الضنى وهو المرض . واذكر اني حين كنت في صباي اسمع الام المصرية في الافلام تنادي ولدها ياضناي احسبها تقول : يا عذابي ! ومن المفضل مع خوف الالتباس ان يقتصر على صيغة الجمع المغربية كمرادف للذرية والنسل لانها أكثر تميزاً .

مصران ومصارين :
هي الامعاء . في الفصيح : مصير للمفرد ومصران ومصارين للجمع . لكن العامة جعلت مصران للمفرد وجمعته على مصارين فتخلصت من تجانس المفرد والفصيح مع كلمة المصير المعروفة . وصارت للاصطلاح دلالة متميزة على معناه . وينبغي عندئذ استبعاد المفرد الفصيح حتى يستغل ويتخصص بدلالته المعروفة ، ويثبت التوليد العامي بدلاً منه .

موسى وموس :
لشفرة الحلاقة . لفظه الفصيح موسى فحوره العامة الى موس وجمعوه على امواس . ويرجع هذا التحوير الى العصور الاسلامية اذ ورد في

عامية الاندلس وذكره الزبيدي في «لحن العامة» واستشهد عليه بمثال من الشعر :[1]

برئـت من نجـمٍ ومـن فلوسه وحلقـه لحيتـه بموسه

والتحوير هنا ابداعي لانه اعطى المفردة دلالة مستقلة عن اسم العلم الشائع . ويجب اثباته في المعجم بلفظه العامي دون الفصيح .

العِقْي والعُق :

هو ما يخرج من بطن الوليد . حوّر في العامية اليمنية الى عُق وهو اسهل لفظاً من عقي وينبغي اثباته في المعجم بدلاً او مع الاصل .

كُلْوة وكُلْية :

اوردهما الخيروز ابادي . وهي في العامية بالواو ، منذ الاندلس ، ويردها بعض اللغويين الى لهجة يمنية قديمة . والكلوة افضل من الكلية التي تلتبس باصطلاح جديد شائع في لغتي الكتابة والكلام هو الكُلْية للمدرسة العليا .

لحاف ومَلْحف : في القاموس يوجد لحاف فقط للغطاء المعروف ثم اشتق منه العراقيون : ملحف وجعلوه لاغطية الاطفال . واختصوا اللحاف باغطية الكبار . وهذا الاشتقاق ادى الى خلق كلمة جديدة فيجب اضافتها الى القاموس .

السِلْف والسليف : السلف هو اخ الزوج وزوج اخت الزوجة المعروف ايضا بالعديل . في لهجة سوريا بمعناه القاموسي وأحد لفظية الفاموسين (سِلْف) وفي المغربية سليف باشباع كسرة اللام في لفظه القاموسي الآخر (سَلِف) . والتحوير المغربي افضل لانه اعطى المفردة دلالة مستقلة تجنبها الاشتراك في الخط مع السَلَف . وفي مثل هذه الحالة ارى ان تثبت المفردة في لفظها الفصيح والمغربي لترك الخيار فيها للكتاب .

---

(١) ص ٨٧

٦ ـ الحالات التي مرت تصلح كلها للقاموس ، وبالتالي للغة الكتابة . وهي تشكل القطاع الذي يجب دمجه من قاموس العامي بقاموس الفصيح على أساس الانتقاء الواعي للمفردات الصالحة في القاموسين . وسنعمل في المعجم على استبعاد جملة من مفردات القاموسين لعدم صلاحها . ومادمنا في صدد القاموس العامي فاني ذاكر هذه الامثلة من المفردات العامية الغير صالحة لاعطاء فكرة عن معيارنا لعدم الصلاح في هذا الصدد :

القش : له معنى معروف في الفصيح والدارج على السواء . لكن المصريين استعملوه للدلالة على الكوثل ـ مؤخر السفنية . وهو اصطلاح مرفوض ؛ لاختلاطه اولاً بمفهوم القشّ الشائع ولعدم دلالته الدقيقة على الشيء الموصوف به ثانياً ولوجود مرادفات علمية دقيقة له ثالثاً .

سايح : بمعنى ذائب في العراقية والمصرية . وهو ملتبس بمفهوم السياحة الكثير الشيوع حالياً فيجب إهماله، ولو أنه فصيح الاصل . ويمكن مع ذلك الاستفادة من مصدره المشتق تسييح الدال على عملية الاذابة لانه مستقل في الدلالة ويضيف مفردة جديدة الى قاموس الكيمياء الذي تتسع الحاجة اليه من يوم ليوم .

جاهل : بمعنى طفل في عامية العراق والخليج ويجمع على جَهال . وهو لفظ ملتبس وسخيف يعكس تخلف البيئة التي نشأت فيها العاميات ، هذا فضلاً عن تجانسه مع المفهوم المضاد للعقل ، مع عدم دلالته الضرورية على الطفولة التي توصف عادة بالبراءة وليس بالجهل .

سبع : بمعنى الاسد في المصرية والعراقية . وهو في الفصيح كل حيوان مفترس ، مقابل Beast الانكليزية . وتخصيصه بالاسد في العامية افقار للغة الاصطلاح ، مع ما للاسد من اسماء تغنيه عن هذه الاضافة ! وقد ادى جهل الكتاب المعاصرين بهذا الاصطلاح الى استعمال «حيوان مفترس» في معناه مع وجود المفردة الدالة عليه حصراً . والاصطلاح في موسوعة ادورد غالب مقابل اللفظة الانكليزية .

يلحق بهذا النمط بعض المفردات المقلوبة بشكل مثير للالتباس والتجانس مثل **جواز** مقلوب زواج . وقد مرت بنا . أو لفظة مستكرهة مثل **مجعوز** عكس مزعوج عند الدمشقيين أو بعضهم .

يشمل المرفوض من العامي الى جانب النمط الآنف تلك المفردات والكتابات التي تتعدد داخل البلد الواحد لان معجمتها تزيد من حالة البلبلة اللغوية التي نستهدف ضبطها في عملنا المعجمي . وقد حدث الكثير من هذا التعدد في آونات التحلل الحضاري حيث انكمشت المعاشر عن بعضها وانعزلت بتأثير الركود الشامل وتخلف وسائل الاتصال والمواصلات . ويكفي النظر في هذا المثال من اليمن حتى نعرف مدى التشويش الحاصل هنا حيث نقرأ الصيغ التالية للسؤال عن السبب (لماذا) .

لِه : في صنعاء
ليش : في عدن
لامِه : في بعض نواحي الشمال
لاه : في يريم
لييش : في ذمار
لَهُ : في إب
لِوَه : في تعز والحجرية .

وتعتبر هذه المترادفات الزائدة عن الحد لهجات محلية صرفة تترك للغة الكلام التي ستصقلها وتوحدها بمرور الزمن ، ومع التقدم نحو التفصيح .

٧ ـ تخضع المفردات الدخيلة في العامية لنفس الغربلة فيستفاد من الصالح ويهمل غيره . وهذه بعض الأمثلة .

روزنامة : بمعنى تقويم في معظم العاميات . اصلها فارسي . والحاجة اليها ماسة جدا لأننا لانملك في العربية الا **تقويم** . وقد ورد في الماضي اصطلاح زيج في معنى الجدول الفلكي ولكنه مهمل الآن .

واصطلاح تقـويم يرد وحـده حالياً في مقابـل كلمتـين انكليزيتـين هما : ALMANAC و CALENDAR والأول من العربية مناخ[1] التي كانت في العصور الاسلامية تعني التقويم الفلكي وهي اليوم مختصة بمعنى الأحوال الجوية . ولا يمكن الرجوع الى معناها القديم لأنـه يتجـانس مع اللفظـة بمعناها الحاضر ، الا اذا اجرينا عليها بعض التحوير فقلنا مثلاً **مناخة** . وهكذا فالأفضل معجمة روزنامة لا سيا وأن تقويم تتجانس مع مفهـوم التعديل والتصويب .

خردة ـ خردوات : فارسية متداولة في معظم العاميات بمعاني مختلفة تفيد التنوع وعدم الانتظام والاتساق . كالحديد الخردة لغـير الخـالص ، ودكان الخردوات لبيع ادوات وحاجات مختلفة لا يجمعها جامع . ويجب قبول هذه المفردة في المعاجم بمعانيها العامة والاصطلاحية ، مع استثنـاء واحد من هذه المعاني هو اطلاقها في العراق على النقود الصغيرة الفئات ، فهي لا تصلح لتمثيل هذا المعنى ، وهناك مفردات ادق منها يمكن تعميمها مثل : **فراطة** في سوريا **فكة** في السودان ، **وصرافـة** التـي ترد احيانـاً في العراق مرادفاً للخردة بهذا المعنى[2] .

الكرباج : السوط . لم اتوصل الى تأثيله . ولعلـه تركي بدلالـة لفظه بالقاف في العراق وقد اثبته المعجم الوسيط . وهو يضيف الى السوط مرادفاً آخر يغني عن مرادف فصيح ولكن غير صالح هو **المحدْرَج** . ونحن اذ نستضيف هذه المفردة لا نبغي التوسـع فيهـا فقـد اكلنـا من السياط ما يَكفـي .

---

(١) ان وجود مناخ في الانكليزية وبعض شقيقاتها الاوربيات بالميم المفتوحة MA يدل على ان الاسلاميين كانوا يلفظونها كما نلفظها الآن بالفتح ، وليس بالضم الذي يصر عليه اللغويون .

(٢) قاموسيها هو البَتَك ولا يصلح للتعميم

اداة النسب تشي او جي : تركية شائعة في سوريا ومصر والعراق والى حد ما في المغرب ، وتغلب على اسماء ذوي المهن مثل توتونجي وبلطجي . ويلفظها السوريون والمصريون بالجيم لانعدام الكشكشة عندهم ، بينما يحولها القاهريون الى الكاف على طريقتهم في نطق الجيم . وهو ابتعاد كثير عن الأصل . وتخدم هذهِ النسبة حاجات معينة الى تمييز الاصطلاح لأن ورودها في اسم يدل دلالة حاصرة على المختص تميزه عن النسبة العادية بالياء المشددة .

زنگين : غني . من الفارسية . في عامية العراق . ولا ضرورة لمعجمته بالنظر لكثرة المفردات الأصيلة الدالة على معناه .

روتي : صنف من الخبز يقارب الصمون (العراقي الفصيح) ، هندية ، في لهجة عدن وصنعاء اليمنيتين . ولا حاجة لمعجمة مثل هذه المفردة لأن كلمة خبز معروفة ومتداولة في العامي والفصيح . واضافتها الى القاموس يزيد من نسبة الكلمات الدخيلة دون حاجة ماسة اليها .

نصل من هنا الى تصور خطة لمعجم عربي موسع يضم المنطوق في كل البلدان العربية الى جانب المحتوى الراهن للقاموس الفصيح ؛ كلاً بعد الغربلة والانتقاء ، بما يضمن اثراء اللغة وتحريرها من البلبلة في آن واحد . وهو نفس العمل الذي قام به اللغويون القدماء حين جمعوا اللغة من جميع القبائل وألفوا معاجمهم على اساس انتقائي .

وربما اثارت هذه الخطة اشكالا يتمثل في احتواء المعجم ، وبالتالي لغة الكتابة ، على مفردات مألوفة في بلد غير مألوفة في بلد آخر . لكن هذا هو ما فعله الأقدمون الذين الفوا معاجمهم من جميع اللهجات . وقد اشرت للتو الى طبيعة العلاقة بين محتوى القاموس وبين كل من لغة الكتابة و الكلام . على ان هذا الاشكال قد يكون الصق باللغة العامة منه بلغة الاصطلاح . وسنتحدث عن ذلك في مفصل قادم ، كما سنتناول مفهوم «الغريب» في اللغة . ونريد ان نشير هنا الى تجربة خاضها القرآن الذي احتوى على مفردات من شتى اللهجات اثارت بعض الصعوبات في الفهم

بين المسلمين الأوائل . واذا استثنينا الآيات المتشابهة ، فالقرآن لم يكن يتقصد الغموض في استخدامه لمفردات معروفة في لهجة دون اخرى وانما

خضع في ذلك لاعتبارين ، احدهما ينظر الى توحيد اللغة وعدم حصرها في لهجة معينة ، وثانيهما الى مستلزمات التعبير اللغوي السليم . وعلى هذا الاساس تجاوز القرآن قيود «الغريب» حيثما تعارضت مع اهدافه . وقد اورد السيوطي في «الدر المنثور» ان عبد الله بن العباس - احد كبار مفسري القرآن ، وهو من قريش - قال : كنت لا ادري ما «فاطر السماوات» حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما : انا فطرتها . .»[1] يقصد انشأتها . والاشارة هنا الى الآية : «الحمد لله فاطر السماوات والأرض» وقد اشكلت على قريش مفردات قرآنية من هذا القبيل كانوا احياناً يستغلونها في اعلامهم المضاد . من ذلك كلمة «الزقوم» في الآية : «ان شجرة الزقوم طعام الاثيم» لأن الزقوم عند قريش اسم طعام يعمل من التمر والزبد . واورد السيوطي في «الاتقان» عن الحسن البصري[2] : كنا لا ندري ما الارائك حتى لقينا رجل من اهل اليمن فاخبرنا ان الأريكة عندهم هي الحَجَلة فيها السرير .» والاشارة هنا الى الآية : «متكئين فيها على الارائك» . وقد حدد علماء القرآن مفردات خمسين لهجة مختلفة وردت فيه[3] . والقرآن مع ذلك خَضع لقيد التشذيب والانتقاء وهو المستفاد من قول بعضهم انه نزل بلغة قريش ، ولكن على اساس التغليب دون الحصر . وقد علله بعضهم بأن «كلام قريش سهل لين وكلام العرب وحشي غريب .[1]» .

---

(١) الدر المنثور تفسير كلام الله المأثور ج ٥/ ٢٤٤ .

(٢) الاتقان في علوم القرآن ص ٢٩٧ .

(٣) نفسه ص ١٣٥ .

(١) نفسه ص ١٣٥ .

هذه اشارة الى تقدم قريش حضاريا على سائر العرب . وهي حقيقة تاريخية ، لأنهم كانوا تجارا واغلب العرب بين بدو رحل او في طور تحلل حضاري كأهل اليمن . وقد اورد السيوطي عن ابن فراس (المزهر ١/ ٢١٠) ما يفيد ان لغة قريش كانت بدورها مجموعة من لهجات متعددة وفسرها بكونهم كانوا ملتقى العرب في المواسم ، أي أنهم لم يعيشوا في عزلة خلافا لبقية القبائل . ويبدو أن قريش كانت تتمتع بوعي لغوي انتقائي ←

يبقى لدينا بصدد المعجم الموسع مسألة النطق بالمفردات العامية المضافة اليه . ونحن نعلم ان نطقها يختلف بحسب اللهجات فبأي لهجة يثبت نطقها في المعجم ؟ الرأي الأصلح عندي هو أن تدون بحروفها الفصيحة اذا كانت من اصل فصيح وبالحروف المستعادة اذا كانت من الدخيل . وسيرد في فصل الحروف كيفية كتابة الحروف العربية المستعادة . وفي كل الأحوال يترك للناطقين باللهجات المختلفة ان ينطقوها حسب لهجتهم ، استئناساً بما حصل في قراءة القرآن حسب اللهجات ومشياً على سنن متبع في اللغات الأخرى؛ حيث يتغير نطق بعض الحروف من لهجة لأخرى مع بقاء الكلمة بحروفها الأصلية . ومثال ذلك في الاسبانية ، تلفظ حرف (C) اذا كان مكسوراً بأحد الحروف الثلاثة I, Y, E ثاء في لهجة مدريد ، الغالبة في اسبانية ، وسيناً في معظم لهجات امريكا اللاتينية . فالمدريدي حين يقرأ نشرة الاخبار وتمر به مثل كلمة ACEITUNA (الزيتون) ينطقها (اثيتونا) اما اللاتيني - امريكي فينطقها ، «اسيتونا» . والكلمة واحدة في الحالتين خطاً ومعنى . وعندي انه لا ضير في ان ينطق القاهري كلمة «جَذَع» بالكاف والدال وينطقها غيره بلفظها الأصلي . او ينطق السوري المديني «شقفه» بالهمزة وينطقها سوري الريف او العراقي الموصلي بالقاف ، وان كان الأصلح توحيد النطق حيثما امكن . وانا افترض بالنسبة للحروف المستعادة امكان نطقها كما هي نظراً الى ان الفرد العربي ، لا سيما المتعلم ، صار اليوم قادراً على تلفظ الأسماء الأجنبية التي تحتوي على هذه الحروف بحكم التكرار والالفة ، فمعظمنا يقول : اوربا ، وهيغل (بالكاف) وتشودري . . . الخ دون ان يضطر الى ابدالها بالحرف القريب منها في لغة الكتاب الحالية .

وهو ما يستدل عليه من ارسال اولادهم الى البادية طلبا للفصاحة . ومع ذلك فهم لم يستوعبوا كل اللهجات . مما يفسر الصعوبات التي نشأت عندهم في فهم بعض المفردات القرآنية .



قضايا الاصطلاح ومستلزمات لغة العلم

واجه العرب هذه المشكلة لأول مرة عند ظهور الاسلام الذي استوعب تحركا تاريخيا مختلف الأبعاد . وكانت الحاجة الى الاصطلاح في تلك البداية تشمل مضماري الدين والسياسة ، بما فيها العمل المسلح ، في المقام الأول ، والمضمارين الثقافي والاجتماعي - او الاقتصادي بالأدق - في المقام الثاني . وقد احتوى القرآن ، الرمز الأول للحضارة الاسلامية ، ثم الحديث وادبيات الصحابة ، على جملة وافرة من المفردات الجديدة صيغت وفق ثلاث قواعد هي الاشتقاق والمجاز (التوليد المعنوي) والتعريب . ومن امثلة الاشتقاق : المترفون ، اطلقت على الفئات الغنية المتنفذة في المجتمع المكي ، وهي تقابل الارستقراطي في معناه العام . ومنها المؤمنون والمسلمون والصديقون والمسجد والمحصنات والمشركين . . . . ومن المجاز الصلاة والزكاة اخذتا عن معنى اصلي يفيد الدعاء - في الأولى والنماء في الثانية . ومن امثلة التعريب : الصراط والقسطاس وهما لاتينيتان ، وجهنم وهي عبرية[1] .

وقد استمرت الأدوات الثلاثة لايجاد الاصطلاح هي المعتمدة في العصور الاسلامية ، واضيف اليها المركب بالاضافة مثل بيت المال واستاذ الدار ودار الكتب . ولم يتوسع في النحت والتركيب المزجي لأن الحاجة لم تكن ماسة اليهما مع كفاءة ادوات الاشتقاق الأخرى . على ان تعقد المجتمع من جهة ، والتأكيد الذي تضمنه علم البلاغة على الايجاز وعدم الاطناب من جهة ثانية ، والميل السليقي في لغة الكلام الى الادغام

---

(١) مع التنبيه الى ان ما قد يعتبر معرباً عن لغة سامية قد يكون اصلاً مشتركاً لأن اللغات السامية ترجع كلها الى لغة ام واحدة . وقد اعتبرت الصلاة احياناً من الأصل العبري «صلوتا» غير أن المعاجم نصت على ورودها في الجاهلية بمعنى الدعاء . وورود صلوتا وصلاة في اللغتين يرتهن بالأصل المشترك على غرار عولام وعالم ، ايلو واله آسو وآسي (الطبيب) . . . . وغيرها من المشترك بين الساميات او بعضها

والاختزال من جهة ثالثة اوجدت بعض التوجه نحو النحت ، فظهرت اصطلاحات منحوتة بعضها في النسبة وبعضها في المصطلح . ومثال النسبة : **الدارقطني** نسبة الى محلة دار القطن في بغداد الاسلامية ، **والرسْعَني** نسبة الى رأس العين في مصر . ومن امثلة المصطلح : **الماورد** من ماء الورد . **والاستدار** من استاذ الدار وهو المشرف على دار الخلافة .

واستعملت الصفة والموصوف في هذه الأغراض ايضاً كقولهم في المنطق : عَرَض لازم وعَرَض مفارق وهي صيغة تلجأ اليها اللغات للتفريق بين حالات مختلفة لمصطلح واحد عندما يتعذر ايجاد مصطلح مستقل لكل حالة ، وهو الخيار الأمثل .

في العصر الحديث ، عادت مشكلة الاصطلاح الى الظهور ولكن في ظروف مختلفة تماماً . فقد واجه العرب هذه المشكلة في الاسلام وهم يشرعون ببناء حضارة تهيأت لها عوامل تاريخية واعدت لها البناة . اما هنا فقد واجهوها وهم متحللون حضارياً ، فكان من الطبيعي ان تكون استجابتهم لها ادنى كفاءة من استجابة عرب الاسلام لها .

لكن الضغط المتعدد الأشكال ، الذي تفرضه الحضارة الحديثة ، - وهي عالمية الأفق امية الامتداد - على العالم العربي انتج بعض معادلاته المنطقية . ومع أن المؤثر الارأس في مثل هذا الشأن هو العامل الذاتي - الجوّاني ، فاننا نلمس تحركاً مدفوعاً بقوة الضغط البراني بتوخّي الاستجابة لمطالبه بمستوى يكفي لتوكيد الخضوع المحتوم لناموس الحضارة الحديثة - العالمية . ومن المشهود اليوم ان الشعوب العربية تتقدم ، ولو ببّطء شديد ، نحو انشاء وسائلها العلمية ، وتعمل في اثناء ذلك ، وبحكم الضرورة ، على تذليل مشكلة الاصطلاح ؛ وصولاً الى تكوين لغة علم تتمتع بنفس الاستيعاب الخلاق للغة العلم التي انشأها عرب الاسلام . وقد تحدثت في مقدمات هذا الكتاب عن معالم التقدم في هذا السبيل ، وهي من الشموخ بما لا يسمح باهمالها والقفز عليها ، لكن فيها من العيوب ما يسمح بنقدها ؛ وسيتم ذلك من خلال استعراض مفصل لأدوات الاصطلاح ينعقد عليه مجمل هذا الباب .

***

الاشتقاق

يبلغ المستعمل من الأبنية العربية حسب احصائية أوردهاالسيوطي عن الزَبيدي في مختصر كتاب العين خمسة آلاف وستمئة وعشرين[1] . وهي جزء صغير من مجموع الأبنية الممكنة التي تبلغ اثني عشر مليون وثلاثمئة وخمسة آلاف . وتحسب الأبنية على اساس ترتيب الحروف ، ومثاله :

بحر ، حرب ، رحب ، برح ، ربح ، حبر .

ويجري الاشتقاق من الجذر الواحد حسب الأوزان المختلفة للمفردة . ومثاله في بحر :

أبحَر ، إبحار ، مُبحر ، بحّار ، مبحار ، بحري ، بحرية (مصدر صناعي) بحار (جمع كثرة) أبحر (جمع قلة) ، بحيرة ، بحرة (للغديرة وما في حكمه) ومن مجازاته :

البحر لوزن الشعر ، بحور (جمع البحر الشعري) ، تبحر (تعمق) متبحر (متعمق في العلم) ، استبحر الشيء : اتسع وانبسط .

ويقبل الجذر اشتقاقات غير محدودة تبعاً للحاجة الممكنة من قبيل : بِحارة (وزن فعالة للحرفة) ، بحريات (لعلوم البحر) ، تبحير (لجعل الشيء بحراً او بحرياً) ، مَبحر (اسم مكان من البحر قد يفيد مكان الابحار) مبحرة (اسم آلة من بحر) ، إبحارة (اسم مرة) ، تبحيرة (اسم مرة من تبحير) . . . . . الخ من أوزان لا يمكن تحديدها سلفا وانما هي ترتهن بالمستجد من الأمور المتعلقة بهذا الجذر .

ندرس فيما يلي جملة من الاشتقاقات المستعملة او المطلوب استعمالها لاثراء اللغة والمساهمة في حل مشكلة الاصطلاح .

---

(١)المزهر ١/ ٧٥ .

تفعيل وفعلنة :

يفيد الجعل من حالة الى حالة . ومنه :

تصنيع : جعل الشيء صناعياً او مصنوعاً .
تعريب : جعل الشيء عربياً .
تشريك : جعل الشيء اشتراكياً .
شرعنة : جعله شرعياً .
عقلنة : جعلـه عقلياً او عقلانياً .

ويشتق منها افعال فيقال : يصنّع ، يعرّب ، يشرّك ، يشرعن ، يعقلن .

تقابل هذه الأوزان ما ينتهي في الانكليزية ونحوها بـ IZE أوIFY وهي من الأوزان الهامة في ميداني العلم والفكر الحديثين . وقد انتشرت في لغةالكتابة الحديثة رغم انها لم تحظ حتى الآن بموافقة اللغـويين ممّـا خلق بعض التردد لدى الكتاب والمفكرين بشأنها . وهي فصيحـة ودقيقـة ولا سبيل للاستغناء عنها مراعاة للاجتهادات او الأذواق الشخصية .

وزن المطاوع المقابل لما ينتهي في اللغات الأوربية بـ ABLE :

له عدة صيغ اهمها : منفعل ويؤخذ من الثلاثـي . ومـن امثلتـه القديمة :

منقسم : بمعنى قابل للقسمة . وقد فهمه الفلاسفة بهذه الدلالة اي قابلية القسمة وليس وقوعها الفعلي .

وهذه الصيغـة تنطبـق (اي تقبـل الانطبـاق) على كل فعـل ثلاثـي فيقـال : منـأكل ، منشرب ، منســلك ، منقــريء ، منحــرق ، منشعل . . . في حالة اسم ا لفاعل ، و .

ينأكل ، ينشرب ، ينسلك ، ينقرىء ، ينحرق ، ينشعل . . في حالة الفعل .

والمطاوعة في العاميات اشيع منها في لغة الكتابة ويعوض هنا بماضيها عن المبني للمجهول فيقال : انكسر الزجاج بمعنى كُسر ، ويرد مضارعها في معنى القابلية فيقال : ينأكل ، ينطبخ ، ينخبز ، ينشرب .... ويعوض باسم فاعلها احياناً عن المفعول به فيقال : منطبخ ، منخبز ، منكسر ... اي مطبوخ ومخبوز ومكسور ، وهو هنا خروج على الدلالة الدقيقة للمطاوع الذي تحتاج اليه لغة العلم والفكر لأداء مفهوم القابلية . وينبغي لذلك :

١ ـ مجاراة العامة في استعمالها الفصيح لصيغة المطاوعة في المضارع بعد ان تجنبها الكتاب لشيوعها في العامية ، وظنهم بالتالي انها غير فصيحة ومخلة ببلاغة لغة الكتابة ..

٢ ـ اللجوء حيثما امكن الى المطاوع الماضي للتعبير عن الفعل المبني للمجهول كما تفعل العامة للخلاص من اشكالات الخط ، التي يحدث خلط كثير بنتيجتها بين المعلوم والمجهول من الأفعال .

٣ ـ استعمال اسم الفاعل المطاوع لما يفيد القابلية ورفض التوليد العامي لأنه متضمن في اسم المفعول الشائع في اللهجتين مما يغني عن اضافة هذه الصيغة اليه . فاذا قلنا : **منطبخ** وجب ان نعني به القابل للطبخ ، واذا اردنا اسم المفعول قلنا : **مطبوخ** .

متفلل ومتفعّل :

ان نون المطاوعة مختصة بالثلاثي ولا تصلح للرباعي وما فوقه . وقد نص مجمع القاهرة على وزني **يتفلل ويتفعل** للتعويض عن المطاوع في هذه المفردات . ومثال الأول **متدحرج** اي يقبل الدحرجة **ومتدهور** اي يقبل الدهورة . ومثال الثاني : **متنوع** اي يقبل التنويع **ومتعلم** اي يقبل التعليم . لكن هذه الأوزان ليست دقيقة الدلالة على القابلية لأنها تفيد وقوع الفعل وليس مجرد قابلية الوقوع وتتميز بالدلالة على التدرج في الوقوع او الاستمرار فيه . فعندما نقول «وضع الدولة الفلانية يتدهور» نفهم منه انها في حالة تردي تدريجي ومستمر واذا قلنا فلان يتعلم او متعلم نفهم منه انه يواصل تحصيل العلم وليس مجرد أنه قابل لتحصيله ، وهذه

الدلالة واضحة في تقسيم لنهج البلاغة نص فيه على ان الناس ثلاثة عالم رباني **ومتعلم على سبيل نجاة** ، وهمج رعاع اتباع كل ناعق . . . هذان البناءان اذن لا يصلحان لهذا الغرض ولا مفر في مثل هذه الأحوال من ان يصار الى تكوين الاصطلاح من كلمتين ، تكون الأولى احدى بادئتين هما : قابل وممكن والثانية هي المفردة المطلوب وضع الاصطلاح لهما ، فيقال :

ممكن التدهور وممكن التدحرج
قابل التدهور وقابل التدحرج .
قابل ـ تدهور وقابل ـ تدحرج .

واذا واتت الكاتب الجرأة الكافية امكنه دمج الكلمتين بتسكين البادئة فقال : القابل ـ تدهور . وهذا من باب النحت والتركيب الذي سنتحدث عنه في مفصل قادم .

المضارع المبني للمجهول في معنى المطاوعة :

اجازه مجمع القاهرة . وقد يكون اصلح من السابق لوضوح دلالته . ومثال : يُصارَع ، يُقاوَم ، اي يمكن مصارعته ويمكن مقاومته . وتقبل هذه الصيغة دخولها الى التعريف عليها فتكتسب حالة المصطلح ـ الإسم . وقد وردت امثلة لها في النصوص القديمة ، منها هذا البيت المشهور للفرزدق :

ما انت بالحكم التُرضى حكومته
ولا الاصيل ولا ذي الرأي والجدل

وقد اختلف اللغويون بين اعتبار ال هنا اداة تعريف او اختزالاً لاسم الموصول، والنتيجة واحدة وهي تكوين اصطلاح يفيد القابلية من الفعل ومعاملته معاملة الاسم .

ويشبه قول الفرزدق بيت ورد في مختار الصحاح :

يقولَ الخنا وابغض العُجم ناطقاً الى ربنا صوت الحمار اليُجدعُ

ويمكن للكتاب ان ينسجوا على هذه السابقة ما يحتاجون اليه .

ومن ابنية المطاوعة وزن **فعّال** المختص اصلاً بالمبالغة لكنه قد يفيد المطاوعة والقابلية . ومن المصطلحات القديمة : **جسم صعّاد** اي قابل للصعود ، ورد في مجادلات المتكلمين . ويقال في العراق للألعاب النارية «صعّادات» لأنها تصعد بسرعة وخفة لحظة اطلاقها . ورأيت في اعلان على ظهر مجلة خليجية يتعلق بمذياع ـ مسجل كلمة : نقال اشارة الى انه يحمل باليد ، ترجمة للمصطلح الانكليزي : Portable وهو اصلح من مقابله المبني للمجهول (يُحمل) الذي تضمنه «معجم المضطلحات الفنية» .

وزن فِعالة للحرفة وما في حكمها :

وكان كثيرا عند الأقدمين ، ومنه تجارة ، وسياسة ، زراعة ، صناعة . وقد أقرت مجامع اللغة استعماله لاشتقاقات جديدة في هذا المجال ، فاستحدثت مصطلحات من قبيل : **حراجة** لما يتعلق بالغابات انتاجا ودراسة . وسياقة او **سواقة** لقيادة المركبات . لكن القديم فيها لا يزال اكثر من المحدث .

وزن فعّال للمختص والمحترف :

منه ، بحار ، حداد ، فلاح ، عطار ، . . . . وقد جعله الزمخشري في باب النسبة فقال [1] قد يبنى على فعال وفاعل ما فيه معنى النسبة من غير الحاق الياءين كقولك : بتات وعواج وثواب وجمال ولابن وتامر ودارع ونابل . والفرق بينهما ـ اي بين فعال وفاعل ـ أن فعالاً لذي صنعة يزاولها ويدعيها ، وعليه اسماء المحترفين ، وفاعل لمن يلابس الشيء في الجملة» .

ولهذه الأبنية حيز واسع في لغة الكلام والكتابة ولغة العلم والفكر في الوقت الحاضر ، وتشتق من الثلاثي ومزيداته ، ولها ميزة وهي انها تتضمن دلالة مستقلة على من يمارس الحرفة او الاختصاص في مقابل النسبة العادية

---

(١) المفصل ٢١٢ .

باليائين ، والتي تلتبس بوصف الشيء مثل : تاجر وتجاري ، صانع وصناعي ، خشاب وخشبي ، فلاح وفلاحي ، حراج وحراجي . . . الخ .

ويلحق بهذا البناء وزن نادر هو فيعال ومنه بيطار وبيزار . ولعله يصلح لاسماء المختصين والمحترفين في الحالات التي يكون فيها اسم الحرفة او الاختصاص محتوياً على حرف ياء يلي حرفه الأول الصحيح ومنها : بيولوجي يمكن ان تشتق منها : بيلاج فنحصل على اسم لصاحب الاختصاص يميزه عن المنسوب . ومن هذا النسق : فيلولوجي صاحبه : فيلاج . وقد يمكن التوسع في الصياغة فنشتق من هذه العلوم التي تنتهي باللاحقة اليونانية لوجي اسماء مماثلة لا تحتوي بالضرورة على الياء فنقول : فسلاج ببدل فسلجي او فيزيولوجي ، ومرفاج من مورفولوجي الخ . . .

اسم الآلة :

يصاغ على ثلاثة ابنية مكسورة الميم :

مفعل : مبرد ، مبضع ، مخرز .
مفعلة : ملعقة ومغرفة .
مفعال : مفتاح ومنشار .

ويصاغ ايضاً على اسم فاعل او مبالغة مؤ نث (فعالة) ومبالغة مذكر (فعال) :

نابض ، هاتف ، سيارة ، غسالة ، جرار ، رفاس . .

ويصوغ العامة من الثلاثي المعتل او المهموز الآخر اسماء آلة على وزن فعّاية :

دفاية ، غلاية ، شواية . . .

وكل هذه الأوزان صالحة لأغراضها وينبغي التوسع فيها مع مراعاة ما يلي :

١ ـ ان لغة الكلام لا تستسيغ وزن مفعل ومفعلة مكسوراً فتحته في الغالب . فالعامة تقول : مَقبض ومَقشة بفتح الميم لا بكسرها . ويمكن مجاراة ذلك في لغة الالقاء ما لم يخش التباسه مع اسم المكان وهي حالات نادرة نظراً للتباعد بين الوضعين .

٢ ـ ان وزن اسم الفاعل والمبالغة المؤنث يلتبس احيانا باسم المحترف ، فكلمة غسالة قد تنصرف الى الكادحة التي تغسل الملابس بأجور ، وكلمة طيارة الى من تقود هذه الواسطة اذا كانت انثى . وينبغي في هذه الأمور ان ينتخب الوزن ذو الدلالة المستقلة فيقال : طائرة بدل طيارة ، اذا كان للآلة اسم متداول من هذا القبيل ، لا سيما وأن المرأة اخذت اليوم تشغل موقعاً يكافىء موقع الرجل في الحياة العامة .

بناء فاعل على وزن قالب

شاع هذا البناء على الألسنة في لفظ حاتم وقالب وغيرهما . وميزته انه يعطي المفردة دلالة متميزة عن اسم الفاعل اذا اشترك معه ، او يبعده عن اصله الاشتقاقي اذا كان منفرداً . وابتعاد الاصطلاح عن اصله الاشتقاقي يفيده استقلالاً ابعد في الدلالة . وامثلة هذا البناء قليلة حتى الآن ، منها طابع اذا اخذ على وزن قالب كان مرادفاً لجوهر أو كنه او ماهية الشيء كقولنا : طابع الدولة الفلانية وطابع الحركة الفلانية . . . وهو بهذه الصيغة لا يجمع . واذا اخذ على وزن اسم الفاعل اختص بالاصطلاح البريدي المعروف ويجمع عندئذ على طوابع . مع العلم ان وزن قالب اصيل في العربية . يمكن تطبيق هذا البناء كذلك على المفردات المعربة من غرار ساذج الفارسية ، وكادر الانكليزية .

اشتقاقات اضافية محدثة لمشتقات قديمة :

ظهرت في الوقت الحاضر مشتقات جديدة لمفردات قديمة عبر بها الناس عن حاجتهم الى تجاوز المفردات المتجانسة وتمييزها بالدلالة اللفظية المستقلة . ولعل ابلغ مثال على هذا التجاوز كلمة خطوبة ، اصلها في الفصيح خطبة المشتركة مع مفهوم الخطابة ، فاشتق العامة هذا الاصطلاح

لتخصيصها بالدلالة وهو على وزن : برودة وسهولة وسيولة . . . وينطوي مثل هذا الاشتقاق على ابدال لغوي يجب الاخذ به .

ومن هذا القبيل :

معدّاوي : لصاحب المعبر الذي يتولى نقل الناس من ضفة لأخرى اذا انعدم الجسر . وهو اصطلاح مصري املاه وجود نهر النيل ، واصل قياسه في الفصيح مُعدّي من عَدّاه يعدّيه فأضاف اليه العامة الألف والواو لتمييزه في التلفظ ، لكنهم اخفقوا في تمييز اسم الآلة فقالوا : معدّية ، وهو ملتبس وصعب التلفظ ، ولو جعلوها : عدّاية مثل دفاية لكانت صالحة . وعدّاي اسم علم في ارياف العراق يفيد الجرأة على الاقتحام واجتياز الموانع والعقبات . .

اخذ الاصطلاح من الفعل

اتخذ القدماء من بعض الأفعال اسماء علم واخضعوها لتصريف واعراب الاسم العادي . فقالوا : يَعرُب ، يَشجُب ، تَغلِب ، يَزيد ، يَنبُع ، أبان . . . ونسبوا اليها فقوال يعربي ويزيدي واباني . . . .

ورأيت في مسرد تاريخ الصحابة في «انساب الأشراف» للبلاذري قول احدهم عن آخر انه كُنتي نسبة الى «كنت» لمن يتحدث عن ماضيه ويباهي به .

وفي ارجوزة لاعرابي شحاذ يندد فيها بالأغنياء :

رب عجوز عِرْمسٍ زبون
سريعة الرد على المسكين
تحسب ان بوركاً تكفيني
اذا غدوت باسطاً يميني

يشير الى قول الأغنياء له «بورك فيك» ليطردوه عنهم . ويبدو لي هذا الاعرابي الجائع اصح ذهناً واجرأ قياساً من لغويينا وكتابنا المعاصرين حين اتخذ من الفعل اصطلاحاً وعامله معاملة الاسم حتى اخضعه للتنوين .

ويقال في عامية بغداد على غرار قول الاعرابي «فلان من اهل العشت» يقصدون انه لقام وطماع اذا اعطاه احد شيئاً اسرع الى اخذه وقال له عشت تعبيراً عن الامتنان . . . .

ولنتذكر اخيراً سابقة اصطلاحية هامة هي اللا ادرية التي ركبت من لا ـ ادري وجعلت دليلاً على مذهب الشكاك في الفلسفة .

التوليد

يقصد به اخذ مفردة قاموسية واستخدامها في موضوع جديد بقرينة تجعله صالحاً للتعبير عن هذا الموضوع . وهذا هو التوليد المعنوي ، ويدخل في باب المجاز ، او التجوز كما يسميه مجمع القاهرة . واللفظ المولد ظهر في العصور الاسلامية وكافحه اللغويون دون جدوى . وقد عرفوه بأنه اللفظ ، او المعنى ، الذي لم تعرفه العرب حتى نهاية عصر الاحتجاج اللغوي . وما يعنينا الآن هو التوليد المعنوي لأن اللفظي داخل في الأبواب الأخرى كالاشتقاق والنحت .

ومن التوليد المعنوي :

الهاتف : اصله من يتكلم ولا يُرى . نسمي به التلفون بقرينة قريبة جداً .

البرق : مقابل TELEGRAPH بقرينة بعيدة هي السرعة الخاطفة في وصول الكلام الى السامع .

الإذاعة : أصلها بث الكلام وإعلانه . أطلقت على الاختراع المعروف بقرينة قريبة .

وافضل حالات المولد عندي ان يؤ خذ من الفاظ قاموسية مهجورة لأن ذلك سيعطيه دلالة حاصرة على المسميات الجديدة ما دام معناه الأصلي غير متداول . مثال هذا :

قطار : معناه القاموسي رتل الابل . وهو من المهجور اليوم . فلما سميت به وسيلة النقل الحديثة صار علماً عليها .

CAMERA : اصلهـا غرفـة معقـودة . وهـو شبـه مهجـور في الانكليزية ومتداول في الايطالية . اطلقه الانكليز على آلة التصوير فصار علماً عليها بينما ركب له الطليان هذا ا لاصطلاح الطويل-MACCHINA FOTOGRAFICA لأن كلمة CAMERA ستثير عندهم التباساً شديداً لو اعطيت هذا المعنى .

وتعارض هذه الأمثلة ما قاله الاستاذ حسن فهمي في كتاب «المرجع في تعريب المصطلحات . . من ان تشبيه آلة او ماكنة او جهاز بما كان عند العرب منها امر لا يقره المنطق ، فكيف مثلاً نطبق محاولة تشبيه وسيلة من وسائل الانتقال والسفر الحديثة بما كان عند العرب في حياتهم الأولية البدوية . »

ومن الغريب ان يسأل هذا السؤال وعنده القطار وهو عربي والكامرة وهو يعرف الانكليزية ! فهلا تساءل عن الشبه بين الغرفة المعقودة وآلة التصوير ؟ بل وعن العلاقة بين فاتح قوارير الخمر وسمسار البورصة وقد حللهما في كتابه فلم يجد بينهما اية علاقة ؟

ان مثال الكامرة دليل قاطع على صلاحية المهجور للاصطلاح . فالانكليزي العادي لا يعرف من هذه الكلمة غير المدلول ، ولو أن احداً قصد مكتب عقار في لندن وطلب منه تأجير كامرة لاحاله فوراً الى بائع آلات التصوير . وهذه تجربة ثمينة تفتح لنا باباً واسعاً في استرداد الألفاظ المنسية للاستفادة منها في حل مشكلات التعبير اللغوي . وينبغي الاعتراف ، فضلاً عن ذلك ، بأن ضغط العصر الحديث يتزايد على اللغات ويعرضها لامتحانات صعبة ، حين تجدها وقد انتقلت من ظروف النشأة ذات الضغط الخفيف نسبياً الى عالم متزايد التعقيد حثيث التطور . ولا احسبنا نملك حق التبطر على القاموس في مثل هذه الظروف .

---

(١) ص ١٩٦ ط القاهرة ١٩٦١ .

التعريب

يقصد بالتعريب نقل اللفظة الأجنبية كما هي ، اي دون ترجمتها الى مفردة عربية تؤدي معناها . وينقل السيوطي عن ابو حيان في «الارتشاف» «ان الاسماء الأعجمية في العربية على ثلاثة اقسام قسم غيرته العرب والحقته بكلامها فحكم ابنيته حكم ابنية الاسماء العربية الوضع نحو درهم وبهرج . وقسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها نحو آجر وسفسير ، وقسم تركوه غير مغير[1] .» وقد ذكر للأخير مثال خراسان واحسبه لم يوفق لأن اسماء العلم لا يصدق عليها مفهوم ا لتعريب ـ ومن الواضح على اي حال ان امثلة هذا القسم نادرة فاللفظ قلما ينجو من التغيير اذا دخل في لغة اجنبية .

اللغويون على اتفاق ، الا بعض الشواذ من رجال الدين ، على وجود المفردات المعرّبة في اللغة العربية ، بما في ذلك القرآن . وهذا هو ناموس اللغات ، فليس في الدنيا لغة نقية الدم . فقد اخذت العربية من اللاتينية واليونانية والفهلوية ، ثم اخذت الفارسية الحديثة من العربية التي قدمت ايضاً مقادير وافرة من المفردات للغات الشعوب الاسلامية والشرقية ، كما سربت من الأندلس ما يزيد على اربعة آلاف مفردة للغة الاسبانية ، التي امدت لغات اوربية اخرى ببعض ما اخذته من لغة العرب .

وتأتي الحاجة الى التعريب أحياناً من واقع ان اللغات لا تتطابق في مفرداتها تماماً ؛ ففي قاموس كل لغة مفردات خاصة به لا يوجد ما يقابلها في قاموس اللغة الأخرى مما يلجىء الى اخذ المفردة الأجنبية وأقلمتها في

---

(١) المزهر ١/ ٢٦٩ .

اللغة الآخذة . وهذا بالطبع مع احتساب عنصر الوعي في التعريب. وفيما عدا ه ، يخضع الأخذ للنواميس المعقدة التي تحكم العلاقات بين اللغات . ومن المعتاد أن تأخذ اللغة الأدنى حضارة من اللغة الأرقى او لغة الشعب المسود من لغة الشعب السائد ، كما اخذت الاسبانية من ا لعربية قديماً ، وأخذت العربية من اللغات الأوربية حديثاً .

مرت تجربة التعريب في عربية الجاهلية والاسلام مروراً طبيعياً ـ بلا افراطولا تفريط . ونأمل ان تتم اليوم بنفس الوتيرة . وان كنا اليوم في حاجة أمسّ الى ممارسة الصراع في هذه الحلبة ؛ فنحن نجابه من جهة تزمت اللغويين ومزايدات اولياء نعمتهم، ومن جهة اخرى تدفق المفردات الأجنبية بلا حساب على اللغة في قطاعها المحكي ـ الذي يعيش كما قلنا حالة انقراض لغوي تجعله مكشوفاً للاكتساح . ولا مناص لنا من سلوك السبيل الأوسط ، فنعرب ضمن الحاجة الى التعريب متبعين ما اقره مجمع القاهرة بمرونة يحمد عليها ، مع اتخاذ ما يسعنا لمنع الاكتساح في لغة الحياة اليومية ، آخذين في الحسبان ان العامة لا تملك سلاحا واقياً يحميها من الانصهار في اتون اللغات الأوربية . واني لآمل ان يجرب اللغويون قوتهم في هذا الميدان ا لفسيح ، ويتركوا لنا ميدان ا لتعريب نتصرف فيه حسب الحاجة وضمن ا لمعقول .

النحت والتركيب

ذكر ياقوت ان عالماً اسمه الحسن بن خطير ولقبه الظهير توفي بمصر عام ٥٩٨ وضع رسالة من عشرين ورقة (اربعين صفحة) عنوانها «تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب»[١] ومما اورد فيها كلمة **شَقَحْطَب** فقل انها مركبة من كلمتين : شق وحطب . والشقحطب في القاموس المحيط هو الكبش له قرنان او اربعة كل منها يشبه شق الحطب . وشرح القاموس لها يدل على انها مركبة فعلاً من هاتين الكلمتين كما يقول

---

(١) معجم الأدباء ٧/١٠٣ .

الظهير . ومن الجدير بالذكر ان الظهير لم يكن لغوياً محترفاً بل هو عالم شبه موسوعي جمع بين اللغة والطب والمنطق ، ولا شك في انه مدين لهذا الأفق المعرفي الواسع في اثارته لمسألة وجود النحت في العربية .

ومن اشار الى النحت هو الخليل الفراهيدي ، المعروف هو الآخر بثقافة واسعة تتجاوز مجرد المعرفة بالنحو الصرف . جاء في كتاب «العين» :

«ان العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجهما إلا ان يشتق فعل من جمع بين كلمتين مثل «حي على» كقول الشاعر :

الا رب طيف بات منك معانقي
الى ان دعا داعي الفلاح فحيعلا

يريد قال «حي على الفلاح» اوكما قال الآخر :

فبات خيال طيفك لي عنيقاً الى ان حيعل الداعي الفلاحا

اوكما قال الثالث :

اقول لها ودمع العين جار الم تحزنْك حيعلة المنادي

فهذه كلمة جمعت من «حي» ومن «على» . وتقول منه : حيعل يحيعل حيعلة وقد اكثرت من الحيعلة اي من قولك «حي على» . وهذا يشبه قولهم تعبشم الرجل وتعبقس ورجل عبشمي اذا كان من عبد شمس او من عبد قيس فاخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة واشتقوا فعلاً . قال :

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترى قبلي اسيراً يمانيا

نسبها الى عبد شمس فأخذ العين والباء من عبد واخذ الشين والميم من شمس واسقط الدال والسين فبنى من الكلمتين كلمة . فهذا من النحت[1]» .

---

(١) العين ١/ ٦٠ - ٦١ .

وذكر الثعالبي في «فقه اللغة» من المنحوت كلمة أيّان مركبة من أي اوان . ورجح الخليل نحوتا اخرى مثل ليس قال انها مركبة من لا - اداة النفي - وايس بمعنى الوجود .

لكن معظم اللغويين لم يستسيغوا مثل هذه التركيبات فضيقوا مجالها فزعم ابو حيان في «شرح التسهيل» «ان هذا الحكم لا يطّرد انما يقال منه ما قالته العرب ، والمحفوظ عبشمي من عبد شمس وعبدري من عبد الدار ومرقسي من امرىء القيس وعبقسي من عبد القيس وتيملي من تيم الله .[1]» .

يقصد ابو حيان - وهو ليس التوحيدي فالتوحيدي اصح عقلاً من هؤلاء - ان المنحوت يجب ان لايتجاوز هذه المفردات التي عدّدها فهو يرفض ان يجعل منها قاعدة يقاس عليها نظراً لتمسكه بوهم السماعي . ومع هذا فقد قاس عليها الأقدمون . فالى جانب هذه المفردات المعدودة نجد مما اثبته اللغويون ومما ورد في المصادر الاسلامية فضلاً عما قرأناه للتو من كتاب العين :

البسملة من بسم الله الرحمن ا لرحيم . الحولقة والحوقلة (لاحول ولا قوة الا بالله) الهيللة (لا اله الا الله) الحمدلة (الحمد لله) الجعفدة (جعلت فداك) السبحلة (سبحان الله) الطلبقة (اطال الله بقاءك) الدمعزة (ادام الله عزك) ومن شواهدها قول الشاعر :

«لا زلت في سعد يدوم ودمعزة»

الحسبلة (حسبي الله) الحيهلة (حي هلا بك) السمعلة (السلام عليكم) . الماورد (ماء الورد) ومنه قول ابن المعتز :

يا هلالاً يدور في فلك الماورد رفقاً بأعين النظّاره

---

(١) المزهر ١/ ٤٨٥ .

وكل هذه النحوت قابلة للتصريف وقد اشتقت منها افعال من غرار ما ذكره الخليل آنفاً .

والنحت والتركيب موزع على الغرارات التالية :

نحت : وقد وصفه الخليل في المقتبس الذي مر بنا وهو أن تؤخذ حروف معلومة من كلمتين او اكثر ويؤلف منها كلمة واحدة تدل على المعاني المجموعة في المفردات التي تألفت منها . وفي حالة النحت من مفردتين قال ابن مالك انه يتم على «فعلل» بفاء كل منهما وعينه فان اعتلت عين الثاني كمل البناء بلامه او لام الأول[1] .

ولنطبق القاعدة على نحت ايان :

أ (فاء اي وأوان) + ي (عين أي) + و (عين أوان) + ن (لام أوان) = أيوان وبادغام الواو في الياء تكون : ايان .

وهذه القاعدة قد لا تطرد تماماً لكنها توفر اساساً رياضياً للنحت وسترد عليها بعض التطبيقات المقترحة .

المركب المزجي هو أن تجمع المفردتان بكل حروفهما في كلمة واحدة ومثاله : حضرموت وبعلبك ومعدي كرب . . وبعلبك تركيب سامي - قبعربي - يدل على وجود هذه القاعدة في شقيقات العربية .

المركب الاضافي ويتألف من المضاف والمضاف اليه . وهو كثير لا يدخل في باب النحت الا اذا ادمج طرفاه بازالة أل التعريف من المضاف اليه . ومثاله في ماء الورد حذفت اداة التعريف من الورد والهمزة من الماء فصار : ماورد ويمكن ان يطبق ذلك في معظم هذه المركبات . ومنه في القديم : الدارقطني نسبة الى دار القطن من محلات بغداد الاسلامية وهو لقب احد ائمة الحديث في القرن الرابع . والخبز أرزي لقب شاعر غنائي من نفس القرن كان يعيش من عمل وبيع الخبز المعمول من الأرز .

---

(١) المزهر ١/ ٤٨٥ .

والتمرهندي اي تمر الهند وقد ورد هكذا في كتاب الأذكياء لابن الجوزي[1] . وعامة العراق يسمونه : **تمرهند** وهو مقارب للفظه في الاسبانية «TAMARINDO» **تمرندو** بحذف الهاء التي لا توجد في اللغة الاسبانية واضافة واو المذكر . ومن المستحدث : **العرقسوس** في سوريا من عرق السوس .

المركب الاسنادي : وهو المؤلف من عبارة ومثاله : **تأبط شراً** مركب من فعل وفاعل مضمر ومفعول به . ويدل هذا المثال على امكان تركيب اصطلاح من جملة .

ومن ابواب النحت الادغام والاختزال وقد مر بنا شرحهما وايراد الامثلة عليهما من الفصيح والعامي .

وثمة تركيبات تقوم على الصفة والموصوف وهي مطردة في اللغات الأوروبية ويراعى فيها سبق الصفة للموصوف مهما يكن ترتيبهما في اللغة . وتلجأ هذه اللغات اليها لأنها تعطي الاصطلاح وحدة تركيبية افضل مما لو سبق الموصوف الصفة . ومنها في الفرنسية HYDROFUGE ـ صامد ماء ـ وفي الاسبانية : NEOLITICO ـ الحجري الجديد ـ وترتيب الصفة والموصوف في هاتين اللغتين كترتيبهما في اللغة العربية لكنه خولف هنا لاجل الاصطلاح . وقد حدثت هذه المخالفة عند قدماء العرب فذكر الزمخشري صفات ومضافات من قبيل : **مذهب خاتم** ، **مذهب سوار** ، **مذهب باب** و **مسجد الجامع ودار الاخرة**[2] وهي في القرآن . والمثالان الأخيران من باب تحويل الصفة والموصوف الى مضاف ومضاف اليه مما يكثر في عامية اليوم . ومن شواهده القديمة هذا البيت لجرير :

يا ضبُّ ان هوى القيون اضلكم
كضلال شيعة **اعور الدجال**

أي الأعور الدجال .

---

(١) ص ٦٥

(١) المفصل ٩١ ـ ٩٢ .

وتوجد بعض الشواهد العامية على سبق المضاف اليه للمضاف مأخوذة من اصل فارسي او تركي . منها **سفرطاس** عراقية للأوعية المتراكبة التي يحمل فيها الزاد من مكان لآخر . والأصل : طاس السفر . ومع قلة هذه الأمثلة فهي تصلح كسابقة .

سخر بعض الأدباء من هذه الصياغات لانها لاتتلاءم مع الأذن الأدبية التي تعودت على انغام لغوية معينة . واللغة كما قلنا من قبل ليست مملوكاً ادبياً ، رغم كثرة الأدباء والشعراء عندنا ، وينبغي اخضاعها لحاجات العقل اولاً .

وقدسجل اللغويون المعاصرون هنابعض التراجعات حين اضطروا الى الاعتراف ببعض النحوت والتركيبات التي سادت وشاعت طوال القرن الفائت مثل : **برمائي ورأسمالي** ، اللتين ثبتتهما المعاجم الحديثة . وفي هاذين الاصطلاحين سابقة خطيرة لم يستفد منها الكتاب لوقوعهم تحت الارهاب النحوي . فقد جمع فيهما بين لفظين بشكل اقتضى تسكين الأول منهما خلافاً لحكمه في النحو . وهذا ضرب من الكفر جعل البعلبكي ـ حامل اللقب المنحوت ـ يتحرج فيضطر وقد تجرأ على النحت الى اجتزاء البوادىء حتى يتجنب تسكينها فقال : تحذ بدل تحت ، وفو بدل فوق . وكان بوسعه الاستناد الى سابقة برمائي ورأسمالي فيأخذ البادئة بكامل حروفها ويسكن آخرها ثم يلحقها بما يليها . ومع استثقال التقاء الساكنين يمكن تحريك عين البادنة تبعاً للأصول اللغوية التي مرت بنا . اما الاجتزاء فيكون مع عدم اللبس وصلاحية التركيب . ومنه : قب اجتزاء قبل . واذكر أني قرأته لأول مرة عام ١٩٦١ في كتاب ترجمة الاستاذ عبد الحق فاضل . وقد اخذ به المورد في تركيبات موفقة .

ولا تخلو بعض المعاجم من إقدامات جريئة على النحت والتركيب تبدو وكأنها اختلاس لغفلة اللغويين . واشير هنا الى معجم صغير انكليزي عربي صدر عن المجلس الأعلى للعلوم في القاهرة عام ١٩٦١ بعنوان «المصطلحات الفنية» وجاء فيه :

بطنمثاني بطنتناسلي ، بطنصفني . . .

وكما بينت قبل قليل فالأمثل في هذه التركيبات تحريك عين البادئة وتسكين آخرها لأن اعرابها سيعرض لفظ المنحوتة للتغير بحسب موقع البادئة من الاعراب . ومن المعتاد ان تكون حركة العين هي الكسر اذا كان فاء الكلمة مفتوحاً او مكسوراً (مع وجود حالات يفتح فيها عينه مع فائه) والضمة اذا كان مضموماً . ان التركيبات التي وردت في المعجم المشار اليه هي مما يعتمد على البوادىء . وقد سبق اليها اسماعيل مظهر في «قاموس النهضة» لكنه لم يجرأ على التسكين ففصل بين الجزئين بحرف الياء فقال :

ارضي مائي مقابل : Terrazuevous

وهو اصطلاح انكليزي مأخوذ من كلمتين لاتينيتين تعني الأولى ارض والثانية ماء . وقد جاراه البعلبكي فجعل الياء حاجزاً بين جزئي المصطلح يخلصه من مغبة التسكين .

ان البوادىء هي اليوم من اركان اللغة العلمية، وينبغي التوسع فيها لصياغة مصطلحات موحدة تقابل نظائرها في اللغات الأوربية ، سواء باجتزائها ام بأخذها كاملة ودمجها مع ا للفظ المطلوب . ويجد القارىء ملحقاً بهذا الفصل يتضمن البوادىء التي استعملت حتى الآن ، وما اقترحه منها مع بعض الكواسع الشائعة في لغة العلم حالياً .

من النحوت الجريئة التي تستحق التنويه ما تضمنته ترجمة كتاب «الاستشراق» للعالم الفلسطيني المغترب ادورد سعيد . وقد عربه كمال ابو ديب وصدّره بقائمة مصطلحات منحوتة او مركبة وفق في اكثرها . من هذه النحوت :

اجتصادي : نحت من اجتماعي واقتصادي يقابل Socio-Economic

اجتياسي : نحت من اجتماعي وسياسي يقابل Socio -politic .

زا : بادئة تقابل EXTRA مختزلة من زائد كاختزال الدال والقاف من قاعد والباء من باقي في الجمل الاستمرارية .

رأينا من النحوت القديمة التي مرت بنا نحت العبارة كالبسملة والحوقلة ، وهو ممكن في المصطلحات التي تترجمها المعاجم الى عبارة . وقد شاعت مؤخراً لفظة **مجوقلة** بمعنى القوات المنقولة جواً نحتت وفقاً لهذه المعادلة :

ج (جو) + واو (جو) + ق (منقولة) + ل (منقولة) = جوقل

وهي تطبيق حرفي للقاعدة التي نص عليها ابن مالك ، وبنيت على الترتيب العكسي للعبارة جو ـ نقل .

ويمكن الاستفادة من هذه السابقة لصياغة مصطلحات مماثلة . فمثلاً : قياس السوائل ، قياس الحرارة ، قياس الرطوبة . . . عبارات مثل هذه يمكن ان تختزل في مفردة واحدة على النحو الآتي

ق (قياس) + ياء (قياس) + س (سوائل) + ل (سوائل) = قيسلة

ق (قياس) + س (قياس) + ح (حرارة) +ر (حرارة) = قسحرة

ق (قياس) + س (قياس) + ر (رطوبة) + ط (رطوبة) = قسرطة

وتبدو النتيجة الأولى والثانية معبرة بوضوح عن معناها، لكن الثالثة بعيدة نوعاً ما . ولا بد هنا من الانتقاء بعد تطبيق القاعدة في ضوء اعتبارات الوضوح والصلاحية . والانتقاءمبدأ عام في عمليات النحت نجد من آثاره في اللغات الأوربية تفاوت تركيباتها بين النحت والمركب المزجي والمركب الاضافي تبعاً لهذه الاعتبارت .

هناك تركيبات غالباً ما تخص اسماء الاعلام تعتمد على رؤوس الكلمات التي يتألف منها ا لاسم . وقد شاعت في اللغات الأوبية كاليونسكو والاوبك ، ورأيت منها في اللغة الصينية اختزالهم لجامعة بكين واسمها الكامل : بَيْ جينغ ـ داشْبوي وفقاً لهذه المعادلة :

الباء (فاء بي) + (الياء (عين بي) + الدال (فاء دا) + الالف (عين دا) = بَيْ دا

وهكذا اختصرت الجامعة الى بيْدا الذي صار علماً يعوض عن لفظها الكامل في لغة الكلام .

ولدينا في العربية تركيبات مماثلة منها : **فتح** المؤلفة من الحروف الأولى لـ «حركة التحرير الوطني الفلسطينية» على الترتيب المعكوس . وقد انتشر الاسم كما نعلم واصبح علماً قابلاً للتصريف فيقال : فتحاوي للمنتسب الى فتح . ومنها : **أشيد** مرتب من الحروف الأولى لـ «اتحاد شبيبة اليمن الديمقراطية» . ومنها أيضاً **حدَك** ركبه الشيوعيون العراقيون من الحروف الأولى لـ «الحزب الديمقراطي الكردستاني» وصار يقال في تصريفه : حدكي وحدكيون . . . .

وهكذا بالتوسع في وسائل النحت والتركيب نستطيع أن نقدم حلولاً هامة لمشاكل الاصطلاح ونضفي على اللغة العربية مزايا اللغات الاشتقاقية والتركيبية على السواء .

اود في ختام هذا الفصل ان انوه بدراسة قيمة عن النحت كتبها الاستاذ كيفورك ميناجيان في «اللسان العربي» ـ م ٩ ج ١ ـ وهي اوفى دراسة عن هذا الموضوع آمل ان يتدارسها الكتاب والمفكرون ويستفيدوا منها .

ملحق ببعض البوادىء والكواسع

أُحا : بادئة اقترحها للدلالة على الواحد : فيقال .

احا ـ خلوي : لما هو من خلية واحدة من الأحياء .
احا ـ عشري : للمضلع ذو الأحد عشر وجه .

أحادي : الأصل الكامل لـ **أحا** . تصلح للحالات التي لا يستساغ فيها الاختصار .

الكترو : بادئة تفيد معنى الالكترون يمكن الاستفادة منها في المصطلحات المحتوية على مفهوم الالكترون متصلاً بمفهوم آخر .

اورو : بادئة تفيد اوربا . مثالها :

اورو ـ مركزية : للقول بأن اوربا ام العالم ومركز الحضارات . .

انسو : اقترحها لما يتعلق بالانسان . كأن يقال :

انسو ـ مركزية : للقول بمركزية الانسان وكونه غاية الوجود .

بيو : بادئة تفيد الحي والحياة . مثالها :

بيولوجي : لعلم الاحياء .

بيوكيمياء : الكيمياء الحيوية .

بعد : بادئة تفيد الزمان التالي . وضعها ملحم قربان ـ الجامعة اللبنانية ـ في كتاب مطبوع بالاستنسل لطلابه في السياسيات . مثالها عنده :

العصور البَعْد ـ نابليونية .

وامثلتها الممكنة كثيرة :

بعد ـ طوفاني ، بعد ـ مغولي
بعد ـ حياتي ، بعد ـ فكتوري .
بعد ـ صليبي ، بعد ـ ماوي . . .

تحت : مثالها :

تحت جلدي ، تحت ارضي ،
تحت ـ مركزي ، تحت ـ قمري . . .

ثُنا : بادئة اقترحها لما يدل على الازدواج والاثنينية . مثل

ثنا ـ شهري : للدوريات التي تصدر كل شهرين .
ثنا ـ فِلْقي : للبذور ذات الفلقتين .

وعلى قياس احاوثنا يمكن المضي الى العاشر :

ثلا ، ربا ، خما ، سدا ، سبا ، ثما ، تسا ، عشا

جيو : بادئة تدل على الأرض والجغرافية . مثالها :

جيو فيزياء ، جيولوجيا ، جيو سياسة

دون : بادئة تفيد المستوى الأدنى . مثالها :

دون ـ بشري ، دون ـ علمي ، دون ـ بلاغي ، . . . .

زاي الازالة (البعلبكي) مثالها :

زملحة : ازالة الملوحة من الشيء .

زموهة : ازالة الماء .

زكربة : ازالة الكربون . . .

ويمكن ان تشتق منها افعال : يزملح ، يزموه ، يزكرب . . .

زا : (كمال ابو ديب) : بادئة تفيد التجاوز والمبالغة . مثل :

زا ـ بلاغي : للاسراف في البلاغة .
زا ـ حراري : للحرارة المفرطة في شيء ما .

سوء : معروف . ومثاله :

سوء هضم ، سوء فهم ، سوء ادارة
السوء هضم ، السوء فهم ، السوء ـ ادارة .

والتركيبات الأخيرة مألوفة في كلام المثقفين .

سيكو : بادئة تفيد النفس . مثالها :

سيكوسياسي : لعلم النفس السياسي .
سيكواجتماعي : لعلم النفس الاجتماعي .

شبه : معروف ومثاله :

شبه قلوي ، شبه جامد . . .
الشبه قلوي ، الشبه جامد . . .

ضمن : (البعلبكي) بادئة تقابل INTRO ومثالها كما ينبغي ان يكون :

ضِمِنْعضلي ، ضِمِنْخلوي . . .

ضد : بادئة تفيد المعارضة والتضاد . وردت بهذا المعنى في نص للمعري في «الصاهل والشاحج» تحدث فيه عن ظلم الانسان للحيوان :

«كم اشكل ابن آدم الثائجة على غرير فبانت عينها ضد قريرة من غير جريرة» .

وللضد استعمالات عديدة سبق اليها ملحم قربان في اصطلاحات من قبيل : ضّدْ ـ ملكي ، ضد ـ مسيحي . . . ومما تمكن فيه :

ضدْ حيوي : للعقار المضاد للجراثيم .
ضد سمي او ضد سمومي : للعقار المضاد للتسمم وهو الترياق .
ضد حشراتي : للمبيدات . وهي المحاليل المبيدة للحشرات .

غير : بادئة قديمة للسلب منها :

الغيْرعادي ، الغيْرمتناهي ، الغيْرمحدود ، الغيْردائم .

فوق : بادئة تفيد التجاوز والافراط . منها :

فـوق ـ طبيعـي ، فوقْ ـ عـادي ، فوق ـ سمعـي ، فوق ـ بنفسجي . . . .

فيزيو : بادئة تفيد الطبيعة والفيزياء . مثالها الممكن :

فيزيو ـ ذري ، فيزيو ـ نووي . . .

قب : بادئة مجتزأة من قبل ومنها :

قبميلادي ، قبهجـري ، قبتـاريخ ، قبفلسفـي ، قبماركسي ، قبمسيحي . . . .

كهرو ، وكهر : دال على الكهرباء . ومنه :

كهـرطيسي ، كهروجـوفي ، كهروحـراري ، كهروضوئـي ، كهرمائي . . .

لا : بادئة قديمة تفيد السلب مثل :

لا متناهي ، لا مسموع ، لا محدود ، لا متوازن ، لا متغير . . .

نص ونصف : للدلالة على التنصيف . ويمكن استعمال الصيغتين المختصرة والكاملة . مثل :

نص دائري ، نِصِفْ دائري ، نص شهري ونصف شهري .

عـدة : بادئـة اقترحهـا مقابـل POLY و MULTI في اللغـات الأوربية . يقال : عدة ـ اصول ، عدة ـ تقنيات ، عدة ـ جنسيات . وفي التطبيق نظرية العدة ـ اصول (في اصل الانسان) .

الشركات او القوات العدة ـ جنسيات .
المدرسة العدة ـ تقنيات .
بلد العدة ـ قوميات . . . الخ .

ويمكن المبادلـة بـين هذه البادئـة و**عـديد** ، لاختيار الاسـوغ كأن نقـول : «الصـين دولـة **عديدة** القـوميات» بدلاً من «الصـين دولـة **عدة** القوميات» لأن الأخيرة ملتبسة .

وتستعمـل حالياً بدل عديدة ، **متعـددة** والأولى أخف لأنهـا اربـع مقاطع والثانية ستة .

رد ـ بادئة استخدمت احياناً مقابل البادئة اللاتينية RE . ومثالها رد **فعل** مقابل RE-ACTION وقد مشى هذا الاصطلاح على اساس انه مركب من مضـاف ومضـاف اليه . ويمـكن ان نطبـق عليه قاعـدة **الدارقطنـي** فنقول : **الرد ـ فعل** وننسب اليه فنقول : **الردفعلي** . وعندئذ تأخـذ رد وضع البادئة الملتحمة بالاسم . ومن الجدير بالذكر ان هذه البادئة ترد في عامية بغداد مع الفعل ؛ حيث يقال : **ردْ يكتب** ، **ردْ يلعب** اي عاد يلعب وعاد يكتب ، مما يضع اساساً لاستخدامها في لغـة الكتابـة لا سيما وانهـا تحتوي على عنصر اختزال . فبدلاً من ان يقال كما هو حالياً : «عـاد الى الكتابة» نقول : **ردْيكتـب** ، وبـدلاً من : اعـادة الانتـاج نقـول : **ردْ ـ انتاج** . . .

الكواسـع

الالف والنون : كاسعة وردت في دلالتين

١ ـ للمبالغة في الوصف ، وهي قديمة مثل :

روحاني مبالغة من روحي

جسماني مبالغة من جسمي

وربما أفادتنا تمييزاً في الاصطلاح لأُ نناقد نذكر روحي ونقصد به الامور الدينوية الغير مادية ، ونذكر روحاني فنقصد به الديني حصراً .

ومن المستحدث منها : تاريخاني للمبالغ في حتمية التاريخ .

٢ ـ للتشبيه . وهي دلالة حديثة . ومنها

بشراني : للكائن الشبيه بالبشر ، اي النسناس . وضعه اسماعيل مظهر .

واو النسبة : كاسعة مستحدثة تفيد مايلي :

١ ـ غير الكامل من الظواهر . مثل :

رأسمالوي : لوصف مجتمع تتكون فيه بعض خصائص الرأسمالية دون ان يتحول الى مجتمع رأسمالي تام ، كالمجتمع الاسلامي في ذروة ازدهاره . وضعه نزيه الحكيم .

٢ ـ للدلالة على الافتعال أو الزيف أو الادعاء . ومنها

علوي : لمدعي العلم والفكر العلمي . وضعه نزيه الحكيم وينسج عليه :

انسانوي : لمن يدعي الانسانية وليس من أهلها

اشتراكوي : للاشتراكي المزيف

ديمقراطوي : للديمقراطي المزيف . . .

ا ت : رمز استخدمه كمال ابو ديب الى جانب رقم السنة ليفيد العقد الواحد من القرن . مثل

١٨٣٠ ـ ا ت : ثلاثينات القرن التاسع عشر

١٩٧٠ ـ ا ت : سبعينات القرن العشرين

الاصطلاح من العامية

يمكن للعامية ان تزودنا بجملة من الاصطلاحات الصالحة في بعض المناحي ، حيث تتوفر مفردات قاموسية أو مولدة أو معربة لا مقابل لها أو اصلح من مقابلها في لغة الكتابة . وقد ثبت مجمع القاهرة هذا المبدأ في قراره الذي اقتبسناه من قبل ، واكده المهندس حسن فهمي في «المرجع» داعياً الى «الاهتمام بالعامة ولغتهم وضرورة تسهيل المصطلحات عليهم وتبادلها معهم ومراعاة ذوقهم عند اختيار المصطلح في القضايا الصناعية التي تهم الصناع دون العلمية والفلسفية . . . .

وهذه امثلة على الممكن في هذا الباب :

القد : يستعمله الصناع المصريون مقابل gauge ، الذي يستعمله الصناع العراقيون بنفس اسمه الانكليزي . وقد حققه الاستاذ فهمي واكد دقته ودعا الى اقراره كاصطلاح رسمي . والقد فصيح ، وموجود في العامية العراقية الى جانب المصرية ، ولكن في معنى عادي . يقال هذا على قدك» اي انه مقيوس عليك وصالح لك .

الفرملة

للكابح في المركبات . معربة ، في مصر وسوريا مقابل BRAKE الانكليزية . وبناؤها : مفعلة . تقبل التصريف فيقال : فرمل يفرمل ، مفرمل .

المونة

في سوريا والعراق ومصر . اصلها ما يتمون به الناس من المواد اللازمة للحياة . لفظها الاصلي بالهمز ، كما في هذا الرجز الذي اورده الزمخشري في «اساس البلاغة» .

«اميرنا مؤنته خفيفة»

وقد مر بنا ان الهمز وعدمه يتساوقان في المفردة العربية .

هـذه المفـردة يمـكن ان تعطـي مقابـلاً للاصطـلاح الانـكليزي SUBSTANCE في احد معانيه الدالة على قوام الشيء ومحتواه الاساسي ، وهو ما يرادف الهيولى احياناً .

وقد نبهني الى هذا المعنى الصديق الدكتور محمد عبد اللطيف من اساتذة الفيزياء والفلسفة في جامعة بغداد .

الحنطور :

مصرية معربة . تسمى بها عربة الركاب التي تجرها الخيل . يجري لفظها على وزن (فعلول) . ويسد هذا الاصطلاح فراغاً في لغة الكتابة الفقيرة في المفردات الدالة على وسائط النقل ذات العجلات .

الشِلِب : عند الـزراع العـراقيين ، للـرز الخـام قبـل ان يجـرش ويقشر . وهي مقابل مضبوط للكلمة الانكليزية PADDY المأخوذة من لغة الملايو . تضع المعاجم مقابلها : ارز غير مقشور بينما توجد هذه المفردة الدالة عليها حصراً .

تقدم العامية ايضاً بعض الاوزان الملائمة لاصطلاحات معينة . فقد توسع العامة في وزن المطاوعة (منفعل) كما بينا من قبل وتفوقـوا فيه على الكتـاب المعـاصرين. وينبغـي مضاهاتهـم فيه لتـوسيع دائـرة الاشتقاق للمفردات الدالة على المعنى المقابل للاحقة الاجنبية ABLE . وهناك ايضاً الوزن الخاص بالآلة ، وقد نوهنا به ، وهو يصاغ من احد فعلين مهموز الآخر مثل : يدفىء فيقال دفاية ومعتل الآخر مثل : يغلي فيقال غلاية .

على ان ما تقدمه العامية هنا محدود ، بحكم الانقراض اللغوي ، ويغلب على مجالات الصناعة والتقنية مصطلحاتها الاجنبية الخالصة ، لان العامة لا تملك أدوات تكوين المصطلح وانما تملك حسها اللغوي السليقي فتعـرب المصطلحـات وتخضعهـا في الغالـب للبنـاء العربـي مثـال : وابور، بكبـاشي ، صوجـر ، تريل ، حَفيز . . . وعلى غرارهـا معظـم

المفردات العامية الحديثة : ماخوذة عن اصلها الاجنبي ومحورة بحسب الابنية العربية . ولا تقدر العامة على غير هذا . ولعلها لو تركت دون تدخل ثقافي لصنعت لنا الخميا دو اخرى[1] .

الاستفادة من المترادف لتنويع الاصطلاحات

الالفاظ المترادفة من مصادر الغنى في اللغات وفيها مزايا عديدة للغة الكتابة ولغة العلم . فالمترادف يمنح الكاتب حرية اوسع في صوغ عباراته تبعاً لمقتضيات الشكل والمضمون ويمكنه من تنويع تعابيره تبعاً لتنوع احاسيسه ، كما يتيح للمفكر والعالم قدراً اعلى من الدقة في تحديد قضاياهما بالاستفادة من الفروق الدقيقة بين المترادفات . ويعتمد ذلك على مدى تعمقهم في اللغة واستيعابهم لقاموسها ، فهو لا يتأتى لكاتب متسكع يستمد مفرداته من الصحف وأفكاره من ثرثرة المقاهي والجلسات الليلية ، ولا لمفكر أو عالم يضع حاجزاً بينه وبين اللغة باعتبارها من خصوصيات الادباء .

وللمترادف في العلم والصناعة دور اكبر مما في اللغة العامة أو لغة الادب ، فهو مصدر هام لتشقيق الاصطلاحات وفقاً للمعاني الدقيقة لموضوعات العلم والصناعة . ولنأخذ بعض الامثلة من اللغتين العربية والانكليزية . .

المترادفات الدالة على الجسم :

١ ـ في العربية

جسم ، جسد ، بدن ، جِرم ، جثمان ، جثة .

وقد تخصصت في الاستعمال خلال الاطوار المختلفة فصارت على النحو التالي :

---

(١) انسحبت معظم هذه المفردات من التداول امام المقابلات الفصيحة التي وضعت لها وكانت غالبة على لهجات الجيل الماضي . الكلمات اعلاه هي بحسب ترتيبها : VAPOR (للقطار) بكباشي (تركية للرائد في الجيش)SOLDIER ’ RAIL ’ OFFICE

الجسم : لعموم الشيء الذي يشغل حيزاً في الفراغ ويعم الجمادات والاحياء

الجسد : اختص بالانسان في اللغة المعاصرة .

البدن : يعم الانسان والحيوان . ثم اطلق على هيكل المركبة .

الجِرم : اختص بالفلكيات

الجثمان : لجسم الانسان الميت

الجثة : مشتركة بين الانسان الميت والحيوان الميت

وصرنا نقول : أجسام الحيوانات وأجساد البشر وجسد المرأة وبدن الانسان والاجرام السماوية والصفات الجسدية للرجل والمرأة والصورة الجسمية (في الفلسفة) والتربية البدنية وجثمان الفقيد وجثث القتلى . ومع عدم الاقتران يمكن ان نقرأ الجسم فنعرف انه المعنى العام للمتحيز والجسد فينصرف ذهننا الى المرأة والأجرام فنعرف ان المقصود هي النجوم وما اليها والجثمان فنعرف ان ثمة فقيداً عزيزاً على المتكلم أو هاماً عند الناس . . . .

٢ - في الانكليزية :

CORPUS, BODY

ويستعمل الاول في جميع المعاني التي تؤديها مترادفات الجسم العربية أما الثاني فهو لاتيني يستفاد من تصريفاته للدلالة على الموضوعات المادية والجسمية . والانكليزية هنا شحيحة لا يجد فيها الكاتب أو المفكر أو العالم ما يجده نظائرهم العرب من الحرية والدقة التي يوفرها تعدد مرادفات الجسم .

المترادفات الدالة على العربية

١ - في الانكليزية :

CAR, CAB, VEHI CLE, WAGON, CART, CHARIOT, COACH, CARRIAGE, PRAM,

وقد تخصصت في الاستعمال قديماً ، واعيد توزيعها حديثاً لحل مشكلة تسمية وسائط النقل الحديثة . فصارت على الوجه التالي :

CAR ، يضاف اليها MTOR فتعني سيارة . ثم استقلت وحدها بالدلالة عليها مع مرور الوقت .

CAB اختصت بسيارة الاجرة ومقصورة سائق القطار
VEHICLE لعموم المركبات
WAGON لعربات القطار
CART للعربة العادية
CHARIOT للعربة الحربية ، وهو معناها القديم .
COACH تستعمل في بريطانيا للباصات الكبيرة المستخدمة في النقل بين المدن .
CARRIAGE للعربة العادية
PRAM لعربة الطفل
٢ - في العربية : عربة .

وقد حاول المعاصرون تعويض هذا النقص عند معالجتهم للتسمية في وسائط النقل الحديثة . فوضعوا :

سيارة =MOTORCAR
مركبة =VEHICLE
حافلة : COACH
حنطور : CART

ووقفوا عند هذا الحد . وصار عليهم ان يقولوا : عربة قطار ، سيارة اجرة ، عربة الطفل ، عربة حربية . . مما يخلّ بلغة الاصطلاح الذي يفضل تركيبه من مفردة واحدة .

وكان يجب للوصول الى حل معقول لهذه التسميات التوسع في الاشتقاق على غرار حافلة ومركبة أو احياء مرادفات قديمة كما في قطار وسكة . .

تأصيل تاء التأنيث

ورد من بين اسماء الفرق الاسلامية فرقة تسمى الاباحية نسبة الى الاباحة تأصل فيها تأء التأنيث فصار جزءاً من بنية الكلمة اذ النسبة في مثل هذه الكلمات تكون عادة بحذف التاء : اباحي .

تأصيل تاء التأنيث نسب الى حمير . وورد عن بعض الاسلاميين وقوفهم على التاء في مثل سورة البقرة ولفظها : البقرتْ . ولم تكن لديهم حاجة الى الاكثار من هذه الصورة فظلت نادرة ، حتى ظهرت على نطاق اوسع ولكن خارج اللغة العربية . وكان ذلك في المفردات المؤ نثة التي دخلت اللغة التركية . فقد أصلت الاخيرة أواخر هذه المفردات واخذت تلفظها كاملة مع تائها . ومنها : سياست ، دولت ، حريت ، جمهوريت . . وفي اسماء الاعلام : حكمت ، فكرت ، نشأت ، عصمت . . . .

وفي تأصيل تاء جمهوريت سابقة هامة في اكساب الاصطلاح دلالة على المذهب تقابل اللاحقة الأوربية ISM . وتتشكل اللاحقة هنا من الياء المشددة مع التاء : ييت ولو أن اوائلنا الذين ترجموا المصطلحات الدالة على هذه المعاني قبل قرن مضى التفتوا الى هذا التأصيل لجنبونا اشكالات جليلة في حقل يزدحم اليوم بهذه المصطلحات . وتأتي هذه الاشكالات من التباس المصادر الصناعية ببعضها ، نظراً لاتخاذها صورة واحدة مع اختلاف موضوعاتها ، ومع الاسماء المنسوبة التي تتخذ نفس الصورة فلو اخذنا مثلاً كلمة امة وتابعنا تصريفاتها في اللغة الانكليزية ومقابلاتها في العربية لوجدنا :

في الانكليزية

1 - NATION 2 - NATION AL 3 - NATIONALIST 4 - NATIONALITY 5 - NATIONALISM

في العربية :

١ ـ امة ٢ ـ قومي ٣ ـ قومي ٤ ـ قومية ٥ ـ جنسية وقومية وتجد هنا تلابساً بين ٢ و٣ ، وبين ٤ و٥ . وفي حالة تأنيث ٢ و ٣ يكون التلابس شاملاً لكل هذه الفئة من المفردات عدا الاولى . ومنشأ **هذه الحالة فقر** اللغة العربية في أدوات النسبة لاننا نعبر باداة واحدة هي الياء المشددة عن الكلمات الاوربية التي تنتهي بـ IST, AL, IC ، ISM , ITY (على اختلاف نطقها ورسمها في هذه اللغات) وبعض الالتباس يزول في سياق العبارة وبتوفر الخيار لدى الكاتب بين التذكير والتأنيث في الاسماء المنسوبة . ولكن كان في الوسع اجتناب المزيد من الاشكالات لو اخذنا بقاعدة تأصيل التاء ، لاننا عندئذ سنقول :

قومي NATIONAL

قومية NATONALITY

قوميت NATIONALISM

قوميتي NATIONALIST

وربما استشنع البعض هذه الصيغة واتهم الكاتب أو المتكلم بالعجمة ، لكننا في الحقيقة ننطقها اليوم دون أن نشعر بغرابتها وذلك في اسماء الاعلام التي انتقلت بوضعيتها التركية المؤصلة ، مثل حكمت ونشأت وعصمت ونزهت وغيرها . وكان يمكننا أن نألف : **جمهوريت ، واشتراكيت ، وديمقراطيت** لو أخذنا بها منذ البداية . والامر متروك على اي حال لاختيارات الكتاب والمفكرين التي يجب ان تلين لضغط الحاجة وضرورات العصر .

قضايا معجمية

نقد المعاجم الحديثة

حين صدر المعجم الوسيط عام ١٩٦٠ عن مجمع القاهرة قال الدكتور ابراهيم مدكور ، الأمين العام للمجمع ، في تصدير المعجم : «ان اصحاب المعاجم القديمة وقفوا باللغة عند حدود زمانية ومكانية ضيقة ففقدت كثيراً من معالم الحياة والتطور . وحين حاول بعض اللغويين منذ اخريات القرن الماضي تدارك هذا النقص لم يستطيعوا التخلص من قيود الماضي ولم يجرؤ وا على ان يسجلوا شيئاً من لغة القرن العشرين . .»

ان الوسيط هو احدث معجم عربي ، وقد بين الاستاذ مدكور في تصديره الآنف انه ضم الفاظاً حديثة ومصطلحات علمية لم يرض المعجم الفرنسي ان يدخلها في معجمه الا بعد مضي مئة سنة تقريباً من نشره وفي الطبعة الرابعة .

اشتمل هذا المعجم على جملة مزايا اراد منها ان يفي بوعد الأمين العام نعددها فيمايلي :

١ ـ تضمين بعض الألفاظ المولدة والمحدثة والمصطلحات الحديثة التي ظهرت خلال القرن الماضي .

٢ ـ قبول المعرب على نطاق واسع .

٣ ـ ادخال بعض المفردات العامية .

ويكون المعجم الوسيط بذلك قد الجم المتزمتين الذين تخصصوا في صنع العثرات ووضعها في طريق تطور اللغة .

لكن الوسيط لم يذهب في نهجه التطويري الى المدى المطلوب من معجم حديث . وانا اسجل عليه :

١ ـ اغفاله الكثير من المحدث الذي استقر في لغة الكتابة منذ بداية
نهضة المصرية . وقد بلغ به الأمر حد اهمال مفردات اوردها القاموس
حيط وشاعت في العصور الاسلامية والعصور الحديثة . من ذلك :
لاء التي اكتفى بذكر مرادفها المهمل : إملال .

٢ ـ تمسكه بالمعاني القديمة لبعض المفردات واهمال معانيها
الحديثة . ومن هذا القبيل تفسيره لاصطلاح الباعث بأنه اسم من اسماء
الله تعالى . والباعث في اللغة الحديثة هو السبب و الحافز وهو بهذا المعنى
من المصطلحات الأساسية في علم النفس ومن المفردات الرائجة في لغة
السياسة والصحافة والحياة اليومية . ولا ادري ما سيقول القارىء الذي
يقرأ عبارة مثل : «ان الباعث على الغزو الامريكي للشعوب هو نهب
خيراتها » ثم يرجع الى احدث معجم عربي ليعرف معنى هذه الكلمة
فيجد انها اسم من اسماء الله تعالى ؟

٣ ـ يستعرض المعجم الوسيط كل معاني المفردة التي تعاقبت عليها
خلال التاريخ دون ان ينبه الى المعاني المتروكة . وقد سبب بذلك ازدحاماً
في معاني المفردة الواحدة يضيع على القارىء فهم المراد منها في الوقت
الحاضر . وقد يُرد علينا ان هذا هو شأن المعاجم العربية القديمة بل
والمعاجم الانكليزية الحديثة التي يتيه القارىء في ادغال معانيها المتعددة
والمتضاربة . والفرق هنا ان المعاجم العربية القديمة كانت تهدف الى جمع
اللغة ، فهي معاجم تاريخية في المقام الأول ، اما المعاجم الانكليزية فان
الحديث منها والمخصص للقراء يقتصر على المعاني المتداولة ويهمل
المتروكة . وهي مع ذلك لا تصلح قدوة لنا لأن الانكليزية تكابد كما قلنا
من قبل تفاقماً في ظاهرة الجناس توجب الدعوة الى الاصلاح لا الى
الاقتداء .

٤ ـ اتبع الوسيط لغة في شرح المفردات موغلة في القدم . ويكفي ان
نقرأ هذا المثال :

الرسوب : السيف الماضي في الضريبة .

وقد عرضت هذه الجملة على طالب جامعي وطلبت منه تفسيرها فأجابني بما يلي :

الرسوب : هو المادة القابلة للترسب . الماضي : ضد الحاضر .

الضريبة : هي ما تأخذه الدولة من الاغنياء والتجار وفق نسب معينة .

وعلى اي حال : هل يحتاج معجم حديث الى اثبات اسم ميت وملتبس للسيف مع كثرة اسمائه في العربية ، وشرحه بهذه اللغة الممسوخة ؟

٥ ـ تمسك الوسيط بالقياسات القديمة في الجموع دون النظر الى صلاحها ومعقوليتها . مثال ذلك جميع **السائق** على **ساقة** . قياساً على **قادة** لقائد **وسادة** لسيد . والساقة هي مؤخرة الجيش . أما الجمع سائق فهو **سُواق** ـ كقُواد ـ عند العراقيين **وسائقون** عند غيرهم من العرب . وكلا الجمعين فصيح ومعقول .

٦ ـ المفردات العامية التي اخذ بها المعجم هي عدد محدود يقتصر على العامية المصرية ولا يتناسب مع الوعد الكبير الذي قطعه على نفسه في لم شتات الالفاظ المولدة والمحدثة لمواكبة تطور اللغة .

ان المعجم الوسيط ليس في الحق من المعاجم الحديثة وهو لا يفيد القارىء المعاصر في شيء ولا يصلح الا مرجعاً لمن يريد ان يعرف معنى كلمة ترد في نص قديم او من يريد ان يؤلف معجماً فيضعه ضمن مراجعه . هذا فضلاً عن أنه اقتصر من المفردات على ثلاثين الفاً . وكأنه يريد ان يكرس ظاهرة الانقراض اللغوي عند العرب . ان من المستحيل على لغة قوامها ثلاثون الف مفردة ان تعيش في هذا العصر الجبار !

المنجد :

من المعاجم الحديثة الهامة هو المنجد الذي اصدره الاب لويس معلوف عام ١٩٠٨ واستمر يصدر موسعاً حتى اليوم باشراف المطبعة الكاثوليكية في بيروت . وهو أعرق معجم عربي حديث ، ويعطينا انتظام صدوره طيلة هذه المدة بدأب مؤلفه وآباء المطبعة الكاثوليكية من بعده مثالاً على شرف الفكر الذي طالما اعيا اهله عن المثابرة . ويتميز المنجد بلغة في

الشرح احدث قليلاً من لغة المعجم الوسيط ، ومادته اوسع ، وهو بوجه عام أكثر تداولاً وشعبية من الوسيط . وقد أقدم ناشروه مؤخراً على خطوة هامة جداً حين اصدروا «المنجد الابجدي» . مرتبـاً على حروف المفـردة دون اعتبار لجذرها . وتجيب هذه الخطوة على اشكال كبير في اسـتعمال القاموس ، لان القارىء الحديث غالباً ما يعجز عن إيجاد الكلمـة التـي يريدها حين يتعـذر عليه ارجاعهـا الى جذرهـا ، مع ما في البحـث عن الجذور وارجاع الكلمات اليها من الصعوبات والاهدار في الوقت .

لكن المنجد لا يفي بمطالب الاصلاح ولا يستوفي احتياجات اللغة الحديثة وفيه ما في الوسيط من عيوب الجناس وعدم الوقوف عنـد المعانـي المتداولة للكلمات . وهو موصد امام المفردات العامية الا ما قل منها وان كان فيه الكثير من المصطلحات الحديثة التي احتوى الوسيط عليها كذلك ، ويعيب الابجدي من المنجد ان مفرداته غالباً ما ترد مقترنة بال التعريف مما يشوش على القارىء التقاطه للمفردة المطلوبة وينبغي في المعاجم الابجدية ان ترد الكلمة عارية من لواحقها الا في اسماء العلم وما في حكمهـا من المصطلحات .

نظرة في المعاجم الانكليزية ـ العربية :

لهذه المعاجم من الاهمية ماللمعاجـم العـربية ـ العـربية ، لكون اللغة الانكليزية تصبح بالتدريج متداولة على نطاق عالمي . ولدينا من هذه المعاجم ثلاثة هي الا رأس والاكثر انتشاراً : قاموس النهضـة لاسماعيل مظهر ، العصري لالياس انطون الياس ، والمورد للبعلبكي . ولكل من هذه المعاجم الثلاثة خصوصيات تتعلق بمفرداتها واصطلاحاتها العربية . فالنهضة واسع ودقيق في عربيته القاموسية بمستوى يعكس افق مؤلفـه ، وهو كاتب كبير من جيل طه حسين ومن المعنيين بالفكر العلمي ، مما يجعل لهذا القاموس مكانة في لغة الكتابة ستبقى الى امد بعيد . أمـا القامـوس العصري فقد امتاز بادخاله المفردات العامية على نطاق واسع ، الى جانب عربية قاموسية صالحة للحياة . وبهذه الميزة يستحق هذا القامـوس صفـة

القاموس الحي التي اسبغها عليه الاب انستاس الكرملي عند صدوره . على ان عامية القاموس العصري تشكو من عيبين : اولهما ان معظمها من العامية المصرية . ورغم ان المؤلف سعى باخلاص الى توظيف عاميات اخرى كالسورية والعراقية فإن خبرته بلهجته الخاصة جعلتها تطغى على مفردات القاموس . الثاني انه اخذ المفردات العامية على علاتها ، وقد مر بنا الكلام عن ضرورة التهذيب والانتقاء عند اخذنا من العاميات حتى نستبعد غير الصالح منها ونتجنب ما فيها من اسباب التخلف والقصور .

المورد هو اوسع قاموس انكليزي عربي حتى الآن . وقد انفرد بميزة النحت والتركيب فسجل خطوة متقدمة تشكل بحد ذاتها تمرداً على حالة الموت اللغوي التي يفرضها علينا علماء اللغة . وكأي تجربة فردية بديئة ، وقع البعلبكي في بعض الاختيارت المرفوضة . وقد اشرت الى بعضها في مواضع متفرقة من هذا الكتاب . فضلاً عن هذا فالمورد فقير في عربيته القاموسية اذا قيس بالنهضة ، وتعوزه حيوية العصري في خلوه من المفردات العامية والكثير من المفردات الحية في لغة الكتابة .

وتكثر في المورد حالات الترجمة بدلاً من وضع المفردة المقابلة للمصطلح ا لانكليزي ، وهو عجز ناشيء من عدم استيفاء قاموس الفصيح من جهة وتجنب العامي من جهة اخرى ، كما انه يعكس الجانب السلبي في ثقافة المؤلف بوصفه اديباً ليست له مساهمات في الثقافة العلمية .

لقد اعتبر المورد وكأنه ناسخ لما سبقه من المعاجم . وهذا تهويل اذا جاز في قطاعه الانكليزي فلا يجوز في العربي . وفي اعتقادي انه ينبغي على المترجمين الرجوع الى قاموسي النهضة والعصري ، فضلاً عن المورد ، لاكمال بعض ما يجدونه من النقص فيه ، ولأن الجمع بين هذه المعاجم الثلاثة بمزاياها المتنوعة سيوفر لهم مزيدا من الدقة والثراء .

تغيرات لفظية ودلالية

تعرضت طائفة من المفردات للتغيير في مدلولاتها او الفاظها من خلال تداولها في لغة الكلام او الكتابة . وينبغي اخذ هذه التغيرات في المعاجم الحديثة بعد ان استقرت بمعانيها والفاظها المحرفة . ولاعطاء فكرة عن هذا ا لنمط من المفردات نستعرض بعض الأمثلة .

الصبي والطفل

ورد الصبي في صدر الاسلام بمعنيين : الرضيع ، والصغير دون الغلام . وهما المعنيان اللذان نص عليهما المعجم الوسيط . لكن ابن سيدة قيده بالمعنى الأول . ثم كثر اطلاقه في العصر العباسي على المعنى الثاني ويوضحه قول الشاعر العباسي :

اسأل الله سكرة قبل موتي وصياح الصبيان يا سكران

وبالطبع فان الذين يركضون وراء السكران ويصيحون يا سكران ليسوا هم الرضع . وقد سمي به حينذاك تلاميذ المراحل التعليمية الأولى فقالوا : معلم الصبيان وصبيان المكتب . وهذا المعنى هو المتداول اليوم ، ففي لبنان يسمون المدارس الابدتائية «مدارس الصبيان» وفي عامية العراق يقال للصغير اذا تخطى الطفولة : صبي . وكان قد اشتق من الصبي قديماً لفظ : الصبا لما يسبق الشباب او للشباب نفسه .

وهكذا يكون المعنى المعاصر للصبي مقابلاً للمفردة الانكليزية CHILD بينما يختص الطفل بكلمة BABY او INFANT ذات الأصل العربي كما يرى بعض الاشتقاقيين . والطفل بهذا المعنى من الفاظ القرآن كما في قوله : «ويخرجكم طفلاً» يشير الى طور الولادة .

ويجب ان يثبت ذلك في المعاجم الحديثة ويهمل المعنى الدال في الصبي على الطفولة لأنه لم يعد متداولاً .

الاعتبار

معناه الأصلي هو الاتعاظ . ومنه في نهج البلاغة : «ما اكثر الصبر واقل الاعتبار» .

واستعمل في غضون العصر العباسي بمعنى الجرد ، كقولهم : «اعتبار خزانة الكتب» اي جردها وتدقيقها .

ثم استعمل في معنى الاحترام ، وقد رد الدكتور مصطفى جواد هذا المعنى الى القرن السابع الهجري[1] . وهو في العامية العراقية بهذا المعنى فيقال فلان معتبر اي محترم ذو وجاهة . ومنه الاصطلاح القضائي : رد الاعتبار .

وفي الوقت الحاضر : يعتبر بمعنى يعد ويحسب ومنه **الأخذ بالاعتبار** . وقد زال الاعتبار بمعنى الجرد ومعنى الاتعاظ وبقيت **العبرة** اسماً مفرداً لا يقبل التصريف ، سوى ورود الفعل في كناية تتضمنها وهي : «صار فلان عبرة لمن اعتبر» والفعل بهذا المعنى لا يفهم خارج هذه الكناية .

وبقي الاعتبار والمعتبر بمعنى الاحترام والمحترم دون أن يتضمن فعله هذه الدلالة فلا يقال : «اعتبر فلاناً» اي احترمه لأن هذا الفعل في الوقت الحاضر ينصب مفعولين «اعتبر فلاناً محقاً» .

وهكذا يكون الوضع المعقول لهذه المادة في معجم حديث على الوجه التالي :

اعتبار : حسبان . و- احترام (اصطلاح قضائي) .
اعتبره : حسبه وظنه .
عبرة : درس وموعظة .
معتبر : محترم وهام .

---

(١) دراسات في اللغة . بغداد ١٩٦٩ ص ١٠ .

دان وادان :

معناهما الأصلي اقرض . وتولد للثاني في الوقت الحاضر معنى اثبات التهمة . ثم توسع هذا المعنى الى الاستنكار والشجب يقال : «ادان فلان فعل فلان» اي استنكره . واسم المفعول مدان . اما دان فقد اهملت بهذا المعنى وشاع بدلها اقرض وهناك كلمة قاموسية اخرى لهذا الفعل على زنة يفاعل هي يداين التي ترد في بعض العاميات . وبقي دان في لغة الكتابة بمعنى آخر من معانيه القاموسية وهو اعتنق . يقال دان بالاسلام ، ودان بالبوذية . . . . الخ .

وبذلك تأخذ المفردة في المعجم الحديث الوضع التالي :

ادان : اتهم وندد .
الادانة : تثبيت التهمة (قضاء) و ـ الاستنكار والتنديد .
دان : اعتنق (متعدية بالباء)
داين : اقرض .

الرضوخ

له في القاموس عدة معاني مهجورة كلها الآن . وقد استعمل في معنى جديد لا علاقة له بأي من تلك المعاني وهو : الخضوع والاستسلام . فيقال : رضخ للأمر اي خضع وانقاد له . ويجب ان لا تتجاوز المفردة في المعجم الحديث هذا المعنى وترك المعاني الأخرى للقواميس القديمة او التاريخية الحديثة باعتبارها مراجع لأهل الاختصاص .

تغيرات في قوام اللفظة

وطرأت على صعيدي لغة الكلام والكتابة بتأثير عوامل متباينة تغيرات في لفظ بعض المفردات ينبغي احتسابها في العمل المعجمي مع شرط الصلاح . ويتم ذلك بالنظر في هذه التغيرات فما كان منها محلياً صرفاً او يحمل بصمات عصر الانحطاط ترك للهجات المحلية لتستعمله في حدودها

المعلومة . وما كان منه جارياً على سنن الفصيح اخذ في الحساب . وينشعب هذا الغرار الى شعبتين : لفظ محرف عن لفظ قاموسي او مشتق منه ، ولكي نحدد اللفظ المقبول ننظر في المحرف أو المشتق فما كان مؤدياً لمعنى جديد اثبتناه ، وما كان مرادفاً للفظ فصيح نظرنا فيهما فان كان الفصيح صالحاً ومأنوساً دون المحرف او المشتق اثبتنا الفصيح . وان كان العكس اثبتنا المحرف أو المشتق . وان تساويا في الصلاح والشيوع اثبتنا الفصيح اولاً ثم اردفناه بهما بوصفهما من مرادفاته . وقد مرت بنا امثلة في باب «قاموس العامي» ، ونأخذ الآن امثلة من لغة الكتابة .

فوهة : بضم الفاء وتشديد الواو في الفصيح . وفتح الفاء وتسكين الواو في المحدث . والمحدث اخف فينبغي الأخذ به وترك الفصيح . ومن هذا الغرار : **عبوة** يلفظها المحدثون بالفتح والتسكين ويصر اللغويون على الضم والتشديد . ويجب ان تعامل معاملة فوهة .

كري وكروي وبيضي وبيضوي : نسبة الى كرة وبيضة . المحدثون ينسبونهما على كروي وبيضوي وهو افصح اذا اخذنا بمقاييس الوضوح والسهولة ، وينبغي اهمال الصيغة الأولى .

بييضة وبويضة : تصغير بيضة . قياسها بالياء ويلفظها المحدثون بالواو وهو اصلح واسوغ ، كما انه اكثر استقلالاً بالدلالة لأن بييضة يتضح فيها افتعال التصغير ، مع التقعر والحذلقة .

وزن فُعَلة

غيره المحدثون والعامة الى **فُعْلة** بتسكين العين . فقالوا : **تهْمة** بدل تُهَمة ، **لُقْطة** بدل لُقَطة ، **رُطْبة** بدل رطَبة . وبقي منه قليل على وزنه الأصلي مثل **تُؤَدة** .

والمحدث العامي أسهل وأبعد عن الحذلقة .

وزن فعلى :

اسقطته العامة فصارت تقول : عطشانة بدل عطشى . جوعانة بدل جوعى ، سكرانة بدل سكرى . وهي لهجة قديمة ترجع الى بني اسد[1] . والوزن الأسدي ـ العامي اقرب الى الذوق المعاصر ويمكن ترك الصيغة الأخرى للغة الشعر والأدب .

وزن مُفعل لاسم المكان

تجاوزته لغتا الكلام والتلاوة الى الفتح فصار يقال : مَتحف بدل مُتحف ، مَدخل بدل مُدخل . وهو افصح لأن حالة الضم تلتبس باسم المفعول .

زنة فُعُل للجمع

اهملته العامة في معتل الوسط فقالت : غيارى واهل غيرة . بدل غُيُر . وفي بعض الصحيح فقالت : عجائز بدل عُجُز . وابقت سائر الصحيح على فُعْل فقالت : حمر وصفر وسود وبيض . لأنه سائغ وخفيف وغير مشتبه .

---

(١) اورد له الزبيدي في «لحن العامة» بيتاً لعمارة بين عقيل :

ومن ليلة قد بتُّهاغير آثم
بساجية الحجلين ريانة القُلْب

واعتبره مخالفة ونقل عن ابو حاتم السجستاني انه لا يثق بعربية عمارة . رغم انه كان من الفصحاء الذين اخذ عنهم النحاة في البصرة .

المتجانس

يسميه الأقدمون «المشترك» واخترت له «المتجانس» اخذاً من الجناس - الاصطلاح البلاغي الذي يفيد نفس المعنى . والمشترك في لغة العصر الحاضر من مصطلحات علم الاشتراكية فآثرنا عدم المساس بدلالته المستقلة . المتجانس هو اللفظ الدال على اكثر من معنى . وقد اختلف اللغويون حوله وعقد له العلامة ابراهيم انيس فصلاً في «اللهجات العربية» تناوله من وجوهه المختلفة وانتهى الى الاقرار بوجوده ، مع عدم المبالغة فيه . واستعرض السيوطي في المزهر آراء اللغويين القدماء في هذا الشأن فذكر عن ابن فارس جواز وقوعه ، وهو قول الأكثرية ، وقد رده الى مناشيء متعددة احدها ان يقع اللفظ المتجانس من واضعين بأن يضع احدهما لفظاً لمعنى ثم يضعه الآخر لمعنى آخر ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في افادته المعنيين . الثاني ان يوضع لغرض الابهام على السامع حيث يكون التصريح سبباً للمفسدة كما روي عن ابي بكر وقد سأله رجل عن النبي وقت ذهابهما الى الغار : من هذا ؟ فقال : هذا رجل يهديني السبيل . الثالث ان المتجانس من الضروريات لأن المعاني غير متناهية فاذا وزعت الألفاظ لزم الاشتراك فيها[1] .

ويخلط ابن فارس في القسم الثاني بين الحقيقة والمجاز فالهداية في الحقيقي هي الدلالة على الطريق وفي المجاز هي الخروج من الضلال . والحقيقي والمجازي اصلان في اللغة لأنها تبدأ بالحقيقي - المحسوس ثم تتطور منه الى التجريد باستخدام المجاز . ولذلك لا يصدق وصف المتجانس على المفردة بمعنييها الحقيقي والمجازي . أما اشارته الى الوضع من واضعين فمرده لهجات ا لقبائل التي يتألف منها القاموس العربي . وهي

---

(١) المزهر - النوع الخامس والعشرون من الجزء الثاني .

من عوامل وجود المترادف والمتجانس وبعض الأضداد في العربية . وسنجد أنها تتكرر في قاموس حديث يقوم على الجمع بين لهجات البلدان المختلفة على غرار ما فعل الأقدمون. وتعدد اللهجات في اللغات الكبرى يثير بعض المفارقات في هذا المجال كما نجدهم اليوم في مصر وسوريا بقولون **مبسوط** للفرحان وفي بغداد لمن يتعرض للضرب . ومثلها في اللغة الصينية : **خايْزة** في ا للهجة المشتركة تعني طفل وفي لهجة كانتون تعني حذاء . .

هناك رأي آخر بشأن المتجانس يحيله الى الألفاظ الدخيلة قال به ابراهيم انيس ومحمد مبارك . وذكر الأخير من هذا النمط **اقليد** يونانية عربت و**الملائكة** وقال ان اصلها مشتبه اي انه يرجح كونها معربة . والاقليد هو المفتاح ويرد في العربية مجموعاً (مقاليد) ويشتق منه الفعل : **قلد** اي سلم المفاتيح ويستعار للتولية والتعيين . يقال : تقلد السلطة وقلده السلطة وتقليده السلطة ، فيتجانس مع **التقليد** بمعنى المحاكاة . اما الملائكة فجناسها مع **المليك** لأن مفردها يختلف عنه في الحركة فقط . ومثاله هنا غير دقيق لأن الجناس في هذه اللفظة غير كامل وانما يتشابه في الخط اذا خلا من التشكيل . ووجود مفردات متماثلة في حروفها ا لصحيحة ومختلفة في حركاتها كثير في اللغات . ومنه في الانكليزية BUG, BEG, BIG وفي الصينية[٢] بِنْغ ، بَنْغ ، بُنْغ . وعليها معظم القاموس الصيني . وعلى اية حال يمكن العثور في العربية على متجانسات كاملة يرجع تجانسها الى هذا السبب . ومنها قرن التي تعني قرن الحيوان والمئة سنة . فكرت طويلاً في هذا الاقتران الغريب بين معنيين في غاية التباعد ثم تبين لي ان قرن الحيوان مأخوذ من اللاتينية CORNU والمقابل العربي له هو رَوْق . ولا ادري ما الذي اشاع اللفظ اللاتيني وأخفى اللفظ العربي مع كفاءته وحلاوة جرسه واحدث بالتالي مثل هذا الالتباس الكبير ؟

---

(١) انظر : «في اللهجات العربية» ص ٩٦ ، «فقه اللغة» لمحمد مبارك ص ٧٢ .

(٢) الكلمات الانكليزية حسب تسلسلها : كبير ، يتسول ، بق . الكلمات الصينية : مريض ، جليد ، يقفز .

انكر بعض اللغويين وجود المتجانس في اصل اللغة فقال ابن دَرَسْتَويه فيما نقل عنه السيوطي[1] . «ان اللغة موضوعة للابانة عن المعاني فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين لما كان ذلك ابانة بل تعمية وتغطية .» وعلل وجود ما يعتبر متجانساً بعلل تستهدف القول بحدوثه لاحقاً لا اصلاً .

وانكار ابن درستويه يستند الى اساس متين لأن دلالة لفظ واحد على معنيين ينافي الغرض من اللغة وهو مبعث التباسات جدية . ولنذكر هذه الواقعة الظريفة نقلاً عن ابن الفُوَطي[2] :

«دخل الفقيه شريك بن عبد الله على اسماعيل بن ابي اسماعيل وهو والي الكوفة وتحته مجمر وهو يتبخر . فقال : يا غلام هات عوداً . فمضى فجاء ببربط (يقصد العود الموسيقي) فخجل واستحيا وقال : إمض ويلك فاكسره . ثم قال لشريك : اخذنا هذا البربط البارحة من بعض الفساق في طوفتنا .[3]»

وقد تفاقمت هذه الظاهرة في اللغة الانكليزية بشكل يبدو أنه ساعدها على ان تكون اللغة المفضلة في المحافل الدبلوماسية . ولعلها اشد تفاقماً في الصينية ، التي تعتمد على النغمات الأربعة للفظ الواحد فتعطيه اربع معاني على الأقل . وان كانت الصينية قد استطاعت تلافي الاشتراك باللواحق التي تلحقها ببعض المفردات فتميزها ، او بالتركيب الذي يجمع بين لفظين او ثلاثة فيؤدي معنى مستقلاً عن معاني المفردات على حدة .

ويمكننا على اي حال ان نتفادى تفاقمها في العربية ، الى الحدود المعقولة . وسبيلنا الى ذلك :

---

(١) المزهر ب١/ ٣٨٤ .

(٢) معجم الألقاب ـ تحـ . مصطفى جواد . ط دمشق ١٩٦٥ ، ج ٤ ق ٤ ص ٧٧٩ .

(٣) الطوفة : الحارة . يقصد الوالى انهم صاد[illegible]

اولاً ـ الوقوف عند المعاني المستعملة للألفاظ وترك المعاني المهملة .

ثانياً ـ الاكتفاء من اللفظ المتجانس بمعناه الأصلي ، ثم المجازي والاستفادة من المترادفات لتسمية المعاني الأخرى للفظة ، او ايجاد لفظة جديدة اذا لم يف المترادف باحدى وسائل الاشتقاق .

ولنأخذ هذا المثال من المعجم الوسيط :

الخلية : ١ ـ بيت النحل الذي تعيش فيه .
٢ ـ المرأة التي لا زوج لها ولا اولاد .
٣ ـ الابل التي خليت للحلب .
٤ ـ الابل التي خلت عن ولدها بذبحه أو موته فتستدر بولد غيرها ولا ترضعه .
٥ ـ المطْلقة من عقال ترعى حيث شاءت .
٦ ـ السفينة التي تسير من غير ملاح .
٧ ـ السفينة العظيمة .
٨ ـ السفينة التي يتبعها زورق صغير .
٩ ـ كلمة من كنايات الطلاق . يقال للمرأة : «انت خلية» اذا نوى القائل بها الطلاق وقع .
١٠ ـ أ ـ الخلية الحيوانية وهي وحدة بنيان الحيوان .
ب ـ الخلية الدموية : المادة الحمراء في جسيمات الدم الأحمر .
ج ـ الخلية الجرثومية هي الخلية التي تنتج الجراثيم (الأبواغ) بعد انقسامات متتالية .

من بين هذه المعاني العشرة التي سطرها المعجم الوسيط للخلية لا يتداول الناس والكتاب غير الأول والعاشر بتفرعاته . والأول هو الأصل والعاشر هو المجاز . اما المعاني الأخرى فمهملة كلها وقد استنسخها مؤلفو المعجم الوسيط عن القاموس المحيط دون تمحيص او روية .

وما كان من المسميات التي قيدت بلفظ الخلية لا يزال ماثلا في حياتنا الراهنة فان له سبلا اخرى في التسمية تغني عن هذا التخبط . فالمرأة التي لا زوج لها ولا اولاد لا يدل عليها وصف الخلية وانما هي **الباهلة** التي وردت في المعجم الوسيط نفسه . ومعناها يدل دلالة قاطعة على حالة مثل هذه المرأة واليه يشير الكميت متحدثا عن حالة الناس تحت الأمويين :

فتلك امـور النـاس اضحـت كأنها
امـور مُضيعٍ آثـر النـوم بُهّلُ

والمطلقة من عقال هي **السائبة** و**السارحة** فلا حاجة لوصفها بالخلية . وهي كذلك السفينة التي تسير من غير ملاح ، ويمكن تخصيص **السارحة** للحيوان و**السائبة** للسفينة . فاذا اريد بها سفن حديثة يمكن أن تسير الى مقصدها بدون ملاح فهي **الذاتية السير** او **المسيَّرة** . والسفينة العظيمة هي **الماخرة** و**البارجة** . وربما وجد للسفينة التي يتبعها زورق صغير اسم لم يصل اليه علمي ، والبحث عن امور كهذه سيتم خلال العمل المعجمي الذي نطمح الى خوض عبابه . اما كناية الطلاق فهي غير معروفة في قاموس العلاقات الزوجية المعاصرة والشائع هو : انت طالق . وستكون القواميس الحديثة على اي حال في غنى عن هذه المصطلحات بعد أن تبوأت المرأة مرقعاً آخر في المجنمع . . .

وهكذا لا يتعدى لفظ الخلية الوضع التالي في معجم مضبوط :

خلية : بيت النحل الذي تعسل فيه .
ـ وحدة بنيان الكائن الحي .
ويضاف الى الثاني تفرعاته في العلوم المختلفة .

وقد يدخل اللفظ في مجازات اخرى تنتشر فتوجب اثباتها في القاموس . وقد دخل لفظ الخلية في تنظيمات الأحزاب الشيوعية ، ومع استقراره في الاستعمال لا بد من ادراجه في المعجم . على اننا نتوق الى أن تلتزم اجيالنا الجديدة في ايجادها للمصطلحات بمبدأ تجنب المتجانسات منعاً لتفاقمها في القاموس . وهو امر ميسور في عصر تخضع فيه اللغة للوعي وليس الوعي للغة .

مثال آخر على المتجانس وعلاجه :

مادة درس : ترد في معنيين متداولين اولهما يفيد التعلم والثاني دياسة الحبوب لفصلها عن قشورها والجذر مشترك مع دلالة ثالثة تفيد الأندثار والانقراض . وهكذا يقال : درست العلم ودرست القمح ودرس الأثر . ولدينا من المرادفات واحوال الاشتقاق المتنوعة ما يكفي لازالة هذا الالتباس فنقول :

الدرس والدراسة : تحصيل المعرفة .
درس يدرس : قام بتحصيل المعرفة .
الدارس : الباحث وطالب العلم .
المدرسة : محل الدراسة .
الدريس : الحبوب بعد دياستها .
المدراسة : آلة الدياسة .
الدياسة : فصل الحبوب عن قشورها .
اندرس الشيء : اندثر وانمحى اثره .
المندرس : المندثر .

الفقر في لغة الكتابة الحديثة

ان حالة الانقراض اللغوي التي مر بها العرب في حقبة الانحطاط قد هبطت بالمفردات الى حد الكفاف المساوق لحاجات مجتمع - أو معشر - صغير متخلف . وقد أخذت العاميات من قاموس الفصيح نسبة قليلة املتها ضرورات الحياة المحدودة في مثل تلك الظروف ، واضافت اليها نسبة قليلة اخرى من المفردات المخترعة أو الدخيلة . أما لغة الكتابة فقد تدنت الى مفردات طقوسية تؤدي بها العبادات أو يكتب بها الشعر . وحين نهضت مصر بالكتابة العربية بعد ثورة محمد علي بدأ القاموس العربي يسترجع عافيته واغتنت الكتابة بمواد مستعادة أو مولدة أو معربة جاءت مع السيل العرم من كتابات طه حسين وجيله ومن الصحافة اليومية المتطورة والمجلات الاسبوعية والشهرية التي اكتظت بها مصر .

لكن لغة الكتابة لم تسترجع كامل زخمها السابق ، ناهيك عن المنشود . ويمكن القول انها تدنت بعد جيل طه حسين ؛ حيث انتهى سقوط البرجوازية المصرية الناشئة تحت وطأة الحكم الانكليزي الى تحجيم النهضة المصرية وايقافها عن حد الاسراف ، من دون ان يعوض عن ذلك نهوض مقابل في بلد عربي آخر تقوده طبقة اجتماعية ناهضة .

ان لغة الكتابة المعاصرة تعاني اليوم فقراً في المفردات يعكس المستوى المحدود لمعظم الكتاب العرب . ومن المعروف ان الكاتب العربي المعاصر قليل القراءة اذا قيس بجيل طه حسين ، الذي كان يسمى جيلنا الحالي جيل القراء الخطافين ، اي الذين يطالعون الكتاب تصفحاً لا قراءة . ومازلنا أبعد ما نكون عن اعتناق الرهبنة العلمية التي دعا اليها كاتب سوري جدير بالاحترام . ومن يطلع على اسلوب معيشة الكتاب يعجب متى وكيف يقرأون ؟

ان فقر لغة الكتابة واضح بالقياس الى محتوى القاموس العربي من جهة ، ولغة الكتابة في لغة حديثة ، كالانكليزية ، في جهة اخرى . وهي كما قلنا حالة مشتركة مع العاميات . ولننظر في بعض المقارنات :

الكلمة الدالة على العاقل :

يعبر عنها في لغتي الكتابة والكلام بلفظ واحد هو عاقل . ولا يكتب الكتاب ، ومنهم المترجمون ، غير هذه المفردة في مقابل المفردات الانكليزية التالية WISE, WIT, SANE, INTELLIGENT وفي القاموس العربي :

عاقــل ، فطــين ، فطِــن ، كديس ، اريب ، لبيب ، مدرك فهيم ، فاهم ، نبيه ، زكن . . . .

الكلمة الدالة على المرض :

في معظم العاميات : مرض فقط . في العراق والخليج : وجع .

في لغة الكتابة والاصطلاح : مرض فقط

للصفــة : مريض في الكتابــة والاصطــلاح . عيان في مصر والغرب . مريض ومرضــان في سوريا . وجعــان وعليل في العـراق . وجعان في الخليج . . .

يرد ذلك مقابل المفردات التالية للمرض في الانكليزية :

DISEASE, SICKNESS, ILLNESS, MALADY, AILMENT :

وللصفة :

ILL, SILK, PATIENT,

وفي القاموس العربي

للمرض : مرض ، سقم ، وجع ، دائـر ، علـة ، اعتـلال ، ضنى دنف ، وصب . . .

وللصفة : مريض ، سقيم ، عليل ، مُوْنَف ، وقيذ . .

الكلمات الدالة على الارض :

في معظم العاميات : ارض . في العراق : قاع (قاف حمير) .

في لغة الكتابة : ارض

في الانكليزية : EARTH, LAND, GROUND, FLOOR .

في القاموس العربي :

ارض ، قاع ، صعيد ، ثرى ، جَدَد ، غبراء . . .

ولكل من هذه المفردات معنى محدد . فالارض EARTH دالة على الكوكب . والقاع هي الوجه الصلب للارض وتستعمل في العراق في المعنى الذي تعطيه كلمة LAND لكنهم يخلطونها بمفهوم الارض . والصعيد هي المقابل الدقيق لكلمة GROUND لكن الكتاب يستعملونها في المجاز فيقولون على الصعيد الفلاني اي على الوجه أو المستوى الفلاني ، ويترجمون الكلمة الانكليزية خطأ الى ارض . والثرى هو الصعيد كذلك ويقال : «اين الثرى من الثريا» للمفاضلة بين الاعلى والادنى . والجدد والغبراء هما وجه الارض . أما FLOOR فيقابلها لفظ مستحدث هو : الارضية .

الكلمات الدالة على «منطقة» :

في العاميات لا يوجد

في لغة الكتابة : منطقة ، أقليم

في الانـكليزية : TERRITORY, REGION, AREA, ZONE, DISTRICT, . . .

في القاموس : منطقة (محدثة) ، أقليم ناحية ، بقعة (بقاع) ، رحبة ، عرصة ، جيز وجيزة (ومنها جيزة مصر) ، وقد وردت في الشعر قديما بمعنى المنطقة والناحية :

* اذا مروا بجيزك لم يعوجوا*

علاوة على قلة الثروة اللغوية لدى الكتاب ، ضيقوا على أنفسهم تحت تأثير وهمين ؛ وهم التنجس من العامي والمبتذل ، ووهم «الغريب» في اللغة .

الوهم الاول جعلهم يهجرون الكثير من الالفاظ الفصيحة لانها متداولة على السنة العوام فاضافوا فقرا الى فقرهم تحت ذريعة التفاصح والنفور من الحوشي والمبتذل الذي تلقوه من مدرسي البلاغة . وقد تضخم هذا الهاجس لدى الكتاب حتى دفعهم عن الفصيح والمعقول من خلال بحثهم الحثيث عنه . فالكتاب مثلا يتحاشون كلمة طير الى طائر لان الاول شائع في العامية رغم انه افصح من طائر وادق في الدلالة لان طائر مشتق وطير اصيل . وفي كتيب للصبيان حول موسيقار شحاذ خاف

الكاتب من شحاذ لانها معروفة عند العوام فراح يكتب «الموسيقي السائل» ويضع شحاذ بين قوسين لايضاح معناها لئلا يتهمه اللغويين بمخالفة أصولهم . والسائل لا تدل حصراً على الشحاذ لانها تختلط بمعنى السؤال العادي ، ومعنى اصطلاحي محدث يرادف المائع ، (سائل وسوائل) والشحاذ هنا افصح لكن كتب البلاغة تفضل «السائل» لانه غير معروف لدى العوام . ويمتد التنجس من العامي الى المعَّرب والدخيل ، فالعامة كلهم يقولون بيانو للآلة الموسيقية المعروفة ، لكن الكتاب يجعلونها بيان لاشباع نزعتهم في التفاصح دون ان يلتفتوا الى ان الكلمة بهذه الصيغة تختلط بمعنى البلاغ والبيان . ويكلف الكتاب أنفسهم تمطيط العبارات واطالتها حتى يتجنبوا لغة العوام في أمور تكون اقرب الى الفصيح والمعقول . فالكاتب لا يقول : فلان يتعشى أو يتغذى كما يقول الناس تبعاً لاساليب البلاغة الحقة التي تتوخى الايجاز ، وانما يقول : يتناول غذاءه أو يتناول عشاءه ولا يقول : أكملت المؤسسة الفلانية المشروع الفلاني» بل يقول : «قامت المؤسسة الفلانية باكمال المشروع الفلاني» . فالفعل الكتابي يتحقق غالبا في مفردتين ، خلاف الفعل العامي الذي يستغني عن الركائز لانه مستند الى عفوية اللغة القبلية المتوارثة .

ويهمز الكتاب كل ما هو وزن فعايل لان العامة لا تهمزه ، فيقولون مصائب بدل مصايب ومكائد بل مكايد ، وفضائل بدل فضايل - والعامية أفصح لان حكم هذه الجموع هو عدم الهمز مالم تكن مأخوذة من مفرد مهموز مثل سائل اذا جمع بالتكسير يكون سوائل . وحتى هذه الصيغة أبدلت الى الياء في كتابات المتأخرين حيث نجد في المخطوطات : فوايد ومسايل وزوايد . وحكمها في الاصل هو الهمز .

وتحت وهم الخوف من الغريب «وهو أيضاً من اوهام البلاغيين ، وسع الكتاب دائرة المحرمات حتى استغرقت نسبة عالية من القاموس . والغريب في اللغة مسألة نسبية ، وغالباً ما يتعلق اعتباره بحدود معرفة اللغوي ؛ فقد جعل ابو عبيدة كلمة . تواً من الغريب وهي الآن لفظة شائعة في لغة الكتابة ومشهورة في عامية العراق مضافة الى ضمير متصل ، ومنفردة بالمغرب . وجعل من النادر كلمة شواية للشيء القليل من الكثير

وهي اليوم في معظم العاميات . ووجود مثل هذه المفردات في التداول يعني كما بينا من قبل انها كانت متداولة في لغة الكلام واستمرّت بالتوارث . واللغويون على خلاف بشأن معيار الغريب وقدرده اكثرهم[1] . وهم على حق . فليس هناك غريب على اطلاقه ؛ فقد تبدأ المفردة غريبة ثم تتكرر في الاستعمال ، كتابة أو كلاماً ، حتى تصبح مألوفة . وهذا هو شأن جميع المصطلحات والاسماء الحديثة التي بدأت مجهولة المعنى ثم استؤنست وشاعت . ان كلمات مثل : باخرة ، سيارة ، طيارة ، هاتف ، برقية ، راديو ، لاسلكي ، إذاعة ، كانت كلها غريبة على السمع والبصر ثم صارت جزءاً من المنطوق والمكتوب على السواء . وقد يبقى بعض المفردات محصور التداول بحكم خصوصيته فيعرفه المختصون ويجهله عامة الناس ، من مثقفين أو أميين ، لكن ذلك لايسلكه في عداد الغريب . ويصدق هذا الحال على المصطلحات وهي مفردات خاصة يتداولها المعنيون بفرع علمي أو تقنوي معين وقد لا يعرفها غيرهم ومثل هذه المفردات لا يصح اهمالها لان الادباء أو قراءهم قد لا يعرفونها ، اذ يكفي ان يعرفها اهلها ويستخدموها للتعبير عن اغراضهم .

ينبغي اذن التحللّ من وهمي العامي والغريب لان كل ما في المعجم ، وكل ما دار على السنة الناس حقيق بالاستعمال اذا استدعته . ضرورات الحياة وأدى المعنى المطلوب وفق المعايير اللغوية السليمة . وقد قال الشاعر نزار قباني ان كل ما في اللغة صالح للشعر ، وهذا من آرائه القليلة الصائبة وقد حاول اتباعه في شعره ونثره على السواء .

وللكاتب والمفكر اتقان التعبير عن الموضوع واستيفائه بما يناسبه ويقتضيه من المفردات ، مع افتراض قدرة القارىء على استيعاب المفردة الجديدة من خلال السياق ، أو الاستعانة بالقاموس اذا تطلب الامر . ان الكاتب الانكليزي مثلاً يرجع الى قواميس المعاني اذا اراد كتابة بحث أو مقال لانتقاء مفرداته منها . وهذا النمط من المعاجم كثير الانتشار في المكتبة

---

(١) المزهر ١/ ١٨٥

الانكليزية . ولا يجد القارىء الانكليزي ، من جانبه ، حرجاً في الرجوع الى القاموس لمعرفة ما يشق عليه من المفردات .

وقد تحدثت في هذه الشئون مع قطاعات عديدة من الناس من مختلف المستويات واوضحت لهم التجربة الانكليزية فجوبهت باعتراض مشروع هو انعدام القواميس العربية الصالحة للاستعمال . ويبغو لي ان هذه هي العقبة الوحيدة أمام الكتاب والمفكرين لاغناء لغتهم ، وامام القراء لاستيعاب ما يكتب لهم . وقد مر الحديث عن هذه الكلمة عند نقد المعاجم الحديثة .

تحريمات وتيسيرات



مشاكل التأنيث

التأنيث في اللغة مبدأ ضروري بفرضه واقع انقسام الكائن الحي - نباتاً أم حيواناً أم انساناً - الى جنسين . ويحتاج المتكلم أو الكاتب الى تعيين جنس الموضوع تبعاً لمقتضيات هذا لواقع . وقد تفاوتت اللغات في مستوى التمييز بين الجنسين فتوسع بعضها فيه كالعربية والاسبانية وضاق مداه في البعض الآخر كالانكليزية والصينية . ويعوض عنه الصينيون في الكتابة باضافة الرمز الدال على الانثى الى بعض المفردات فيعرفه القارىء دون السامع . أما في الانكليزية فيلجأون الى إضافة WOMAN أو GIRL أو FEMAL الى الاسم لتعيين الجنس ، كأن يقولوا GIRL STUDENT للطالبة ، أو WOMAN WRITER للكاتبة . ويدل لجوؤ هم الى هذه التراكيب على الحاجة الماسة للتأنيث في اللغة .

فضلاً عن هذا ، تواجه اللغات مهمة التعبير عن واقع حضور المرأة في مناحي الحياة المختلفة في العصر الحديث ، مع الكفاح في نفس الوقت ضد الجنسوية . ولعلها ليست بالمهمة اليسيرة لان اللغات الحديثة نشأت في مجتمعات ابوية فكانت الجنسوية مقوماً اساسياً فيها . واذا اخذنا الانكليزية مثالاً وجدنا المرأة دائماً في مقام التابع للرجل ؛ فاللفظة الدالة على الانسان في الانكليزية MAN مشتركة بين الرجل والانسان . أما المرأة فتستمد اسمها من الرجل فهي WOMAN واصلها في الانكليزية القديمة WIFMAN اي : زوجة الرجل . ونجد الجنسوية في الخط الصيني حيث تكتب المرأة هكذا تعبيراً عن القيود التي تخضع لها والرجل هكذا رمزاً لتفوقه وقدرته على تحمل الاعباء . وفي العربية نجد الجنسوية في لفظ المرأة الذي هو تأنيث مرء لكن هذا الاثر يتلاشى في حالة الجمع : نساء لانه مستقل تماماً عن لفظ الرجال . كما يزول التمايز في لفظ الانسان

وهو مستقل الدلالة على الكائن البشري بجنسيه ولذلك لا يجوز التأنيث فيه لانه مشترك فيقال الرجل انسان ، والمرأة انسان ولا يقال : انسانة الا في بعض الضرورات الشعرية .

يضاف الى هذا ان التذكير والتأنيث يتقاسمان المفردات العربية بمستوى يمنع من ظهور الجنسوية في اللغة . وبالطبع فان هذا التعادل لا يرجع الى وعي ديمقراطي لدى واضعي اللغة العربية وانما هو نشوء تاريخي يعكس نوع البيئات التي تكونت فيها هذه اللغة ، وهي بيئات واسعة جغرافياً ، متفاوتة اجتماعياً تداخلت فيها مواقع الحضارة ـ المجتمع الابوي ـ مع مواقع البداوة الصرفة ـ بقايا المجتمع الامومي ـ فترك كل منها تأثيره على اللغة . ومن هنا نجد اكبر جرم سماوي ـ الشمس ـ يحمل اسماً مؤنثاً ، والاصغر منه وهو القمر مذكراً . كما تؤنث الارض والسماء وتؤنث جموع التكسير مهما كان جنس مفردها واليه يشير قول مشهور لنحوي يستخف به من جماعة هددوه :

لا ابالي بجمعكم كل جمع مؤنث

والنحاة كما نعلم نشأوا في مجتمع ابوي خالص .

ونجد في مقابلها : تذكير البحر والنجم والفضاء والهواء والماء ، وغيرها من المقومات الاساسية الكبرى في الوجود . وهكذا نشأ عن هذا التوازن البيئي الذي تحكم في تصير العربية حالة من التوزيع الدقيق المتوازن للمذكر والمؤنث تعكس الوضع الطبيعي للكائن الحي وتمسح آثار الجنسوية من قاموس اللغة .

وقد زعم مؤلفو PEOPLE'SAL MANAC الامريكان أن التفريق الحاد بين المؤنث والمذكر في اللغة العربية مرده الى الوظيفة المتمايزة لكل من الرجل والمرأة في المجتمع العربي[1] . وهو من الشتائم العلمية التي اعتادها الكتاب الغربيون في معالجتهم لقضايا الشرق . ويفترض لصدق هذا التخريج ان تكون اللغة قد نشأت في العصر العثماني ! وبالطبع فان قراء

---

(١) انظر ، THE PEOPLE'S ALMANAC BYDAVID WALLEC HINSKY. AND IRVING WALLACE. NEWYORK 1975 P. 748

«المناخة الشعبية» هذه لا يصعب عليهم قبول مثل هذا الافتراض . أما واقع الحال فهو أن هذا التفريق الحاد بين المؤنث والمذكر هو انعكاس واقعي لوضع طبيعي حدث في اللغة العربية بحكم ظروف النشأة التي تسبق بداية العصر العثماني بأكثر من اربعة عشر قرناً ، وبداية العصور الاسلامية - عصور المجتمع الابوي - بأكثر من اربعة قرون !

وبقدر ما يمس التعبير اللغوي ، توفر هذه الظاهرة ميزتين ، احداهما الوضوح والتمييز في مقاصد المتكلم أو الكاتب . وثانيتهما الاقتصاد في الكلام ، فالعربي لا يحتاج الى عبارة مطولة حتى يبين للمتلقي عنه انه يتكلم عن انثى وانما يكفيه ذكر الاسم المؤنث أو ما يتعلق به من فعل أو صفة أو ضمير للوفاء بهذا الغرض . ولا هو يواجه اي اشكال ناجم عن اختلاط الضمائر أو الاسماء أو حين . . يخوض في مسألة تخص احد جنسي الانسان . والمتلقي في العربية لا يصعب عليه البت ان كانت العبارة تتكلم عن انسان أم رجل ولا يضطر الى الانتظار وقتاً طويلاً قبل ان يتبين ان كان موضوع الكلام رجلاً أم امرأة .

على ان للتأنيث في العربية عيوباً تتعلق ، رئيسياً ، بمسألة النطق - لغة الكلام والتلاوة . وتنط هنا صعوبتان ؛ الاولى في نون النسوة وهي ضربان خفيفة وثقيلة ، الخفيفة هي نون الفاعل والثقيلة نون المفعول به والمضاف اليه . ومثالها :

الخفيفة : النساء يشتغلنَ مثل الرجال

الثقيلة : تحصل النساء على حقوقهنَّ بنضالهنَّ ضد الذين يظلمونهنَّ .

وهناك نون ثقيلة في ضمير المخاطبات : انتن ، والغائبات : هن .

ان النون الخفيفة ليس فيها أشكال في التلفظ لكن الاشكال في الثقيلة لاسيما اذا اقتضى التعبير عن فكرة معينة تكرار الضمير . وهي تبقى على وضع واحد من الاستثقال حتى في كتب البلاغة العالية . ولنقرأ هذه الآية :

«قل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين

زينتهن الا لبعولهن أو آبائهن أو أباء بعولتهن أو ابنائهن أو ابناء بعولتهن أو اخوانهـن أو بنـي اخواتهـنّ أو بنـي اخوانهـن أو نسائهـن أو ما ملـكت ايمانهن» . وفي كتـاب كالقـرآن ما كان مقبـولاً مثـل هذا التتابـع الثقيل المتعارض مع اسلوبه الغني الرفيع لولا قيود اللغة .

لم نجد فيما بين ايدينا من المصادر ما يُشعـر بالاتجـاه الى حل هذا الاشكال في لغة الكتابة . لكن هذا ما تحقق في العامية التي الغت النون الثقيلة والحقتها بالخفيفة ، وسهلت بذلك سبيل الكلام من غير أن تضحى بالمبدأ الجوهري الذي هو تعيين الجنس المقصود بالكلام . وعلى هذا الغرار يمكن أن نكتب عبارة مفصحة تؤدي الغرض من التأنيث :

تناضل النساء من أجل حريتهنْ وحقوقهـنْ المشروعـة ويجـب على الرجال ان يساعدوهنْ لاداء ما عليهن من مهام النضال .

ففي هذه الحالة تأخذ نون النسوة نفس وضع ميم الجمـع وتصبـح ميسورة النطق : عليهمْ وعليهنْ ، حريتهم وحريتهنْ . .

ويختص هذا التيسير بلغة الكتابة العادية . لكن النون الثقيلة يمكن ان تؤدي في الشعر وظيفة موسيقية خاصة . ولنقـرأ الأبيات لابـنَ قيس الرُقيّات :

بكر العواذل في الصباح يلمنني والومهنَّ
ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انهْ
لا بد من شيب فدعن ولا تطلن ملامكنّ

فلنتركها للشعراء .

الثانية هي صعوبة معرفة المؤنث غير اللفظي . وتثقل بوجه خاص على الاجانب الذين يتعلمون العربية حين يريدون ملاءمة الفعل أو الضمير أو الصفة مع الاسم المؤنث . وقد عقّد اللغويون هذه المشكلة بإصرارهم على اشكال التأنيث الموروثة ، ليس انتصاراً للانثـى ، فهـم في الغالـب جنسيون ، بل بسبب جمودهم العقلي . ان التأنيث في الاسماء المؤنثة غير المشتهرة بالتأنيث هو مسألة جوازية مالم يكن تأنيثاً حقيقياً والشهـرة هنـا قاعدة فالكاتب أو المتكلم يمكن ان يحاسبا على الالتـزام بتـأنيث الشـمس والسماء والارض لانها مؤنثـات مشهـورة لا يخطـىء فيهـا احـد ، لكن

الحساب يجب ان لا يطال كلمات مثل : سوق ، ورأس ، وبئر . ويجب ربط الشهرة بمألوف لغة الكلام حيث حدثت تغيرات في تأنيث وتذكير بعض المفردات . ولا يصح إشغال الطلاب بتمييز المذكر والمؤ نث فيما يتعارض مع مألوف كلامهم . ان الناس يقولون مثلاً :

راسي دايخ ، والشمس طالعة والسوق مزدحم والارض واسعة .... ويجب ان لا نتجاوز هذه التحديدات في لغة الكتابة والتعليم .

الاعداد

العدد المركب

يشترط النحاة بناء العدد المركب على الفتح في جزئيه :

أَحَدَ عَشَرَ ، ثلاثَةَ عَشَرَ ، اربعَةَ عَشَرَ ....

والحاديَ عَشَرَ ، والثالثَ عَشَرَ ، والرابعَ عَشَرَ

وفيه تطويل ينافي الذوق العربي . وقد ذكر المعري في «الصاهل والشاحج» ان اعدل الكلام عندهم متحركان بعدهما ساكن أو ساكن بين متحركين .. ويبدو انهم التزموه في لغة الكلام . ويقول الزمخشري في المفصل فيما يختص بالاعداد ان بعض العرب يسكنون العين من عشر فيقولون أَحَدَ عْشَرَ احتراساً من توالي الحركات . وعلى هذا الغرار جرى تلفظ العامة لهذه الاعداد بالتخلص من توالي الحركات سواء بتسكين بعض الحركات أو بادغامها في كلمة واحدة . ولعل قربها اليوم الى الفصيح هو اللفظ المصري الذي يسكن فيه العين على النحو الذي ذكره الزمخشري أَحَدَ عْشَرْ ، ثلاثْ عْشَرْ ، أربَعَةَ عْشَرْ ...

وارى ان يصار اليه في لغة القراءة بمصر وان يلفظ في غيرها بتسكين جزئه الاول خلاصاً من التعثر الذي يلقاه المذيعون والخطباء عند تلفظ هذه الاعداد حسب الشروط النحوية الباهظة ، وانسجاماً مع الذوق العربي .

تأنيث وتذكير العدد

يصر النحاة على المخالفة بين العدد ومعدوده في التذكير والتأنيث فيزيدون من تعثر المتكلمين من مذيعين أو خطباء وما اشبه . ويتعقد الحال اكثر في الاعداد المركبة حيث يشترط ان يكون الجزء الاول مخالفاً للمعدود في التذكير والتأنيث والثاني موافقاً . وقد تجاوز الشافعي هذا القيد فقال في «الرسالة»

«ان صوم الثلاثة في الحج والسبع في المرجع عشرة ايام كاملة . .» فذكر السبع وحقها التأنيث لأن اليوم مذكر . وقال محقق الرسالة احمد محمد شاكر ان له وجهاً في العربية . وما يتساهل فيه الشافعي فأولى بالمعاصرين ان لا يتقيدوا به . وليس هناك في الحقيقة اي خوف من الالتباس في قولك :

خمس كتب او خمسة كتب وخمسة عشر كتاب او خمس عشرة كتاب . . . فقلها كما يقتضيها سياق الكلام وما يقتضيها ذوقك واثمها على الشافعي . .

مضاعفات المئة :

يمتد التعقيد اللفظي الى مضاعفات المئة من ثلاثمئة الى تسعمئة اذ يشترط النحاة معاملتها مضافاً ومضافاً اليه فيقال : ثلاث مئة واربع مِئةٍ وخمسُ مئةٍ . . وتلفظها العامة كلمة واحدة : ثلاثْمية واربعْمية وخمسْمية ، ويحرك المصريون آخر الجزء الاول فيقولون : تلتُ ميّة ورُبْعُميّة وخمسُمية . . . وافضل الصيغ للغة الكتابة والالقاء هي : ثلاثْمئة او ثلاثْمية ، اربعْمئة او اربعمية ، خمسْمئة او خمسمية . . وابدال الهمزة ياء مشددة قديم ، ومن شواهده هذا البيت الذي رواه ياقوت[1] :

فقلت والمرء قد تخطيه مُنيته
ادنى عطيته اياي مِيّات

---

(١) معجم الادباء ٦/ ٨١

العدد والمعدود في حالة التعريف

قال اللغويون ان ال التعريف تدخل على الارقام من احد عشر الى تسعة وتسعين فيقال : الاحد عشر عام والتسعة والتسعين عام . وفيما عداها اضافوا العدد الى المعدود فقالوا : مئة الدرهم والف الدرهم . وفي الآحاد : ثلاث الاثافي واربعة القوائم وخمسة الكتب . وهذه التعابير ملتبسة وقد اصلحها المحدثون فقالوا : المئة درهم والالف درهم والمليون ليرة . . . والثلاث اثافي والاربع قوائم والخمس كتب .

اشكالات المثنى

التفريق بين المثنى والجمع يرجع الى اختلاف طبيعتهما ، فالتثنية ازدواج والازدواج علاقة مختلفة عن علاقة الجمع . ويشتمل الوجود على مزدوجات اساسية تفرض هذا التفريق في العلاقة . فهناك الانثى والذكر ، السالب والموجب ، الجسد والنفس ، الاصل والفرع ، والعقل والجهل ، وغيرها من المتضادات او المتقابلات التي يتألف منها ديالكتيك الكينونة وديالكتيك المجتمع . وللتثنية في العربية نظام مكتمل تمايز بشكل يستجيب لهذه العلاقات . وتوجد في اللغات الاخرى حالات تعويضية حملت عليها ضرورة التثنية ففي بعض اللغات الاوربية بادئة BI التي تفيد التثنية ، واشتقت الانكليزية Couple للدلالة على الزوجين وDouble للدلالة على المزدوج وPARENTS للدلالة على الوالدين . واشتملت الصينية على مفردتين للرقم ٢ هما إر وليانغ واستحدثت بادئة تفيد الازدواج هي تشوانغ .

وهكذا فالتثنية امر منطقي وليست ترفاً لغوياً . وهي بلاشك من مزايا العربية . لكن تطبيق هذه القاعدة في لغتي الكتابة والكلام اقترن بشيء من التعقيد ناشيء من اشتراط تثنية اللواحق تبعاً للاسم . وهذا الشرط ليس اساسياً مادام مفهوم التثنية متضمناً في الاسم والاصرار عليه يضيف عثرات الى لغة الكلام والالقاء ، كأن يقال :

الطرفان وقعا المعاهدة ، الوالدان رعيا الاولاد ، الزوجان هيآ الاثاث . . . . الخ .

وقد شعر القدماء بهذه العثرات فسعوا الى تجاوزها ، كما شعرت العامة بها فتخلصت منها . ولنقرأ هذا النص للفيلسوف الرازي[1] . .

« . . ومن مجيء المطر في غير إبانه ومجيء البرد والحر في غير اوقاتهما حتى يفسدان الشجر وسائر النبات» .

والشاهد مخالفته للاعراب في يفسدان لان حكمها حذف النون على النصب بحتى . وقد حمله على هذا استثقال «يفسدا الشجر» فابقى النون لتستقر العبارة وتخف على اللسان .

وعالجها القرآن باللجوء الى صيغة الجمع في الاسم والفعل المتعلقين بالمثنى . ومن شواهده هذه الآية من سورة الحج .

هذان خصمان **اختصموا** في ربهم

وهذه الآية من سورة الحجرات :

وان طائفتان من المؤ منين **اقتتلوا**

والاصل ان يقول **خصمان اختصما ، طائفتان اقتتلتا** ويحمل اللغويون هذه المخالفة على مراد الجمع في خصمان وطائفتان لانهما مما ثني لفظاً ومراده الجمع . واللغويون يفرضون احكامهم على القرآن الذي هو من مصادر اللغة اي انه حكم لا محكوم عليه وقد فاتتهم الضرورة النطقية في هذه المخالفة لان **اقتتلتا** مستثقل ومتعارض مع الذوق العربي ، الذي لا يستسيغ تتابع أربع حركات دون سكون يعترضها . ثم ان تأويلهم هذا لا يستقيم مع نصوص اخرى وقعت فيها نفس المخالفة ومنها قوله .

. . وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا **لحكمهم** شاهدين .

وداود وسليمان من المثنى اللفظي والمعنوي وليس فيهما اي دلالة على الجمع ! ولنتأمل بهذه المناسبة مدى حرية التعبير في القرآن ، فقد استعمل

---

(١) رسائل الرازي الفلسفية ـ مقالة في بعد الطبيعة . تحـ بول كراوس ، القاهرة ١٩٣٩ ص ١٢٣

الفعل يحكمان في صيغة المثنى لانه سلس ومتناغم مع نسق العبارة ، فلما جاء الى ختام الآية جمع ولم يثنِّ فقال لحكمهم توخياً لنفس الفرض الذي من اجله ثنى يحكمان ؛ لانه لو قال لحكمهما لفقدت الآية طعمها البلاغي .

ومن الشواهد المماثلة في القرآن ايضاً :

«ان تتوبا الى الله فقد صفت قلوبكما»

جمع قلوب وهما قلبان ، (المخاطب اثنتان من زوجات النبي) والباعث على هذه «المخالفة» غرض بلاغي بحت لاعلاقة له بالمعنى ، فالمعنى لايتغير مع التثنية ، ولا باللفظ لان لفظ التثنية في هذا السياق خفيف على اللسان . فلو أنه قال :

«ان تتوبا الى الله فقد صفا قلباكما»

لادى نفس المعنى ولما كانت هناك صعوبة في نطق الآية ، لكنها عندئذ ستكون ركيكة ، فتخطاها الى الجمع .

وقد مشت لغة الكلام على هذا الاعتبار فابقت المثنى لأنه اصل جوهري في العربية ، وتجاوزت التثنية في متعلقاته الى الجمع . وهكذا يقال في العامية :

الطرفين وقعوا المعاهدة ، الوالدين رعوا الاولاد ، الزوجين هيأوا الاثاث . . . الخ

وينبغي للغة الكتابة ، او لغة الالقاء على الاقل ، ان تأخذ بهذه الطريقة استناداً الى القرآن واستجابة للضرورات .

تلفظ الفعل المضارع

ثمة قاعدتان مطردتان في مضارع الماضي المكسور العين والماضي المضمومها . فكل ماضي مكسور مضارعه مفتوح مثل : قِبل يقبَل ، تِعب يتعَب لِعب يلعَب . . وهذه القاعدة منضبطة في لغتي الكتابة والكلام قلما يخطيء فيها الناس . اما الماضي المضموم العين فان مضارعه يكون مضموماً كذلك . ومثاله : عظُم يعظُم ، كرُم يكرُم ، ضعُف يضعُف . وهي نادرة في لغة الكلام وغير منضبطة في لغة الكتابة . لكن الاستغناء عنها غير

ميسور لان دقة المعنى في هذه الافعال مرهونة بلفظها الصحيح ، نظراً الى انها تفيد التحول الذاتي الى الشيء المتضمن في الفعل ، فقولنا : عظُم معناه صار عظيماً ، ضعف ، صار ضعيفاً ، كرم صار كريماً . وتنطوي هذه الافعال على عنصر اقتصادي لاسيما عند الترجمة من الانكليزية حيث يتم بها اختصار عبارة مؤلفة من كلمتين Becomeweak الى كلمة واحدة : ضعف . وينبغي على الكتاب اتقان هذه القاعدة لانها تتعدى محض الحذلقة الصرفية الى المعنى الجوهري المتضمن فيها ، مع الحاجة الى الاختصار في لغة العصر الحاضر . واتقانها ليس عسيراً

الاشكال في الفعل المضارع هو فيما كان ماضيه مفتوحاً ، مما اعتاد اللغويون على تقسيمه الى باب ضرب ونصر . الاول مضارعه مكسور والثاني مضموم . والتفريق بين البابين لا يستند الى اساس ملموس وانما هو في حكم السماعي . وقد سعى الاستاذ حسن فهمي صاحب «المرجع في تعريب المصطلحات» الى وضع قاعدة لحركة هذه الافعال تقوم على علاقة الكسر والضم بطبيعة المعنى الذي يؤديه الفعل . لكن هذه القاعدة مفيدة في الكشف عن العمق الفلسفي للغة فهي تهم المعنيين بفقه اللغة العربية وعلومها ولا تساعد على حل اشكالات التلفظ لانها تتطلب تفكيراً مسبقاً من القاريء قبل ان يؤدي اللفظ الصحيح .

وللمشكلة حل قديم يرجع الى ابو زيد البلخي احد اعلام الفكر في العصور الاسلامية وقد اوجزها بقوله : «اذا جاوزت المشاهير من الافعال التي يأتي ماضيها على فعل فانت في المضارع بالخيار ان شئت قلت يفعُل بضم العين وان شئت قلت يفعِل بكسرها[1] .» وقد تابعه عليها الفيروز آبادي ، بينما اهملها اللغويون المعاصرون ، ربما لانها تقطع عليهم احدى سبل المباراة في البراعة . وقاعدة البلخي واضحة وتتضمن حلاً نهائياً لاشكالات هذه الافعال ، فالمشاهير التي ذكرها معروفة ومحدودة حتى الآن في لغتي الكتابة والكلام ، فالمثقفون والعامة قلما يخطئون في ضم . ينصر

---

(١) القاموس المحيط ١/ ٤

ويعبر ويكفر ويغمر ويخرج ويقتل ويركض ويرقد .... الخ أو في كسر يعرف ويضرب ويجلد ويحمل ويقلب .... الخ والمشاهير في باب ضرب أقل منها في باب نصر . وما يتبقى مما يشكل تحديده يترك للقراء ان يكسروه او يضموه عملاً بقاعدة البلخي ووفقاً لما اعتادوا عليه في لهجتهم أو ما تقتضيه اذواقهم .

وهناك باب آخر من الماضي المفتوح يكون مضارعه مفتوحاً ويسميه اللغويون باب قطع . وهذا الباب شائع في لغة الكلام والكتابة وقلما يقع فيه خطأ . ومن امثلته : سبح يسبح ، قرأ يقرأ ، بحث يبحث ، طلع يطلع ، فتح يفتح ، سأل يسأل ، طرح يطرح ، مسح يمسح ، مزح يمزح ، نفع ينفع ..... الخ .

يبقى الفعل المضعف ، فر ، مر ، شد .... وقد ميز النحاة فيه بين اللازم والمتعدي فكسروا مضارع الاول وضموا مضارع الثاني . وهذه قاعدة مفيدة وسهلة الى حد ما ولا ارى صعوبة في التمسك بها مالم تتعارض مع عادات نظق متأصلة فيترك للقاريء مجاراة العادة فيها ، مثلاً : يفر كثير من الناس يلفظونه مضموماً فلا داعي لارغامهم على كسره ! والعادات النطقية اذا لم تسبب التباساً يجب ان تكون لها قوة القاعدة

اشكالات النسبة

كثرت الحاجة الى النسبة في الوقت الحاضر مع تشعب العلاقات وتعقدها ومع كثرة المذاهب والمدارس السياسية والفكرية ، ومع التوسع - تبعاً لهذا - في استخدامات المصدر الصناعي . وقد تكونت في غضونها ادوات تعالج تعدد الدلالات للاسم المنسوب او المصدر الصناعي قامت مقام الكواسع مثل (واو النسبة وان المبالغة) . ويضع اللغويون هنا ايضاً ماعندهم من عواثير ، فيشترطون اقتصار النسبة على المفرد دون الجمع ، وعلى الجذر ، والمصدر دون تصريفاته . ويضطر الكتاب تحت طائلة هذه

الاشتراطات ان يقولوا : طالبي بدل طلابي ، دَوْلي بدل دُوَلي عقيدي بدل عقائدي . والنسبة الى الجمع تقتضيها اوضاع معينة توجب التمييز في الدلالة كأن تقول : أثريّ ونقصد : موقع أو شيء قديم وأثاري ونقصد المشتغل بعلم الآثار . بحريّ ونقصد ما يتعلق بامور البحر من عموميات ، وبحاري للمشتغل في علوم البحار التي يسميها بعضهم خضامة . وغاباتي للمشتغل في الغابات . وغابي لما يختص بالغابة . مثلاً شجر غابي وموقع غابي ومنطقة غابية . وعلى هذا الغرار : دستوري ودساتيري ، رياضي ورياضياتي (لمنع الخلط بين المشتغل بالرياضيات والمشغول بالرياضة البدنية) وساعاتي بدل ساعي لان المفرد ملتبس ، وكتبي وكتابي ـ ولكل منها موضع ـ واثري وآثاري . . . واقتضى التنبيه ان النسبة الى الجمع دعا الى اباحتها الدكتور مصطفى جواد الذي مرّ ذكره ، وهو من كبار اللغويين المشهود لهم في اوساط الاكليروس بالتبحر وشدة التمسك بالتحريمات . وقد عالجها في كتابه : «المباحث اللغوية في العراق» المطبوع ببغداد عام ١٩٦٥[1] ، وكان المؤمل ان يحسم بهذه الفتوى الجدل في هذا الموضوع لولا أن الكتاب لا يقرأون .

النسبة الى الجذر والمصدر التي يشترطها اللغويون ايضاً تسبب بعض الالتباسات . . وقد نسب كاتب كبير معاصر الى مرآة فقال : مرآوي ! ولاشك في ان كثيراً من قرائه ، وهو كثير القراء ، قد احتاروا في قصده . ان النسبة الى مرآة هي مرآتي ، على اللفظ وليس على الجذر مادام غرض اللغة هو الابانة والتفهم وليس التعمية . وقد دعا اليها مصطفى جواد في كتابه المذكور آنفا ، ورد على البصريين اشتراطهم هذه النسبة[2] . وينبغي الخضوع في هذا على اي حال لمقتضيات الذوق والدقة الى جانب الابانة . فقولنا : صحراوي هو على قياس اللغويين ولا اشكال فيه لانه سائغ ولو قال احدهم صحرائي لكان يرتكب ، علاوة على المخالفة الصرفية ،

---

(١) انظر الصفحتين ١٥ ـ ١٦

(٢) انظر الصفحات ٢٨ـ٣٣

حذلقة المبتدع الباحث عن الجديد لاجل المخالفة واستعراض العضلات وقد ترد امور تفرض استعمال صيغتين في النسبة احداهما موافقة للقاعدة والاخرى مخالفة لكن لكل منهما دلالة ليست للاخرى ومنها مثال السماء ؛ نقول **سماوي** فيتبادر الى الذهن مفهوم السماء الديني والفلكي : الاديان السماوية الثلاثة ، والاجرام السماوية ، في الفلك .... فاذا اردنا الكلام عن ظاهرة جوية فان **سمائي** هي الادق . وقد تهيأ للانكليزية اضطلاحان منفصلان HEAVEN بالمفهوم الاول للماورائيات في الغالب ، و SKY للثاني وهو مفهوم مطابق لاصلها النرويجي القديم الذي يعني : الغيم . وقد وردت **سمائية** في عامية العراق للكوة التي تحدث في السقف لاجل الاضاءة والتهوية . ولفظها مطابق لمعناها ، وان كان هذا لايعني انهم ارادوا التخلص من دلالة **سماوية** لانهم لايملكون مثل هذا البعد المعرفي ، وانما مشوا على طريقتهم في النسبة الى اللفظ .

اعراب الفعل المعتل

يوجب النحاة حذف حرف العلة من المعتل الوسط والآخر في حالتي المضارع المجزوم والأمر المبني على السكون . وينشأ عن التقيد الحرفي بهذه القاعدة مشكلات في المعنى واللفظ . فقولنا : «لم يرق يلتبس في الخط باربعة افعال : يروق ويراق ويريق ويرقى . وقولنا لم يعد يلتبس بأربعة افعال ايضاً : يعود ويعاد ويعدّ ويعدو . وتنحل هذه الاشكالات اذا تخطينا القاعدة الى التعابير التالية :

لم يروق ، لم يريق ، لم يرقى ، لم يراق . .

لم يعود ، لم يعاد ، لم يعدو ، لم يعدّ . .

وقد مرت بنا امثلة من القرآن والشعر القديم على تجاوز هذا المحظور .

تتابع المضاف

يخطّىء اللغويون من يقول : عرض وجوهر الشيء ، طبع ونشر الكتاب . فالصحيح عندهم : عرض الشيء وجوهره وطبع الكتاب ونشره . . وقد قال الفرزدق :

يا من رأى عارضاً أُسرّ به بين ذراعي وجبهة الأسد

فلم يكتفي بوضع مضافين قبل المضاف اليه وانما جعل الأول في حالة تثنية وفصل بينه وبين المضاف اليه فارتكب ضرباً من الكفر النحوي يشبه ما تقوله عمرة الخثعمية :

هما اخوا في الحرب من لا أخا له اذا خاف يوماً نبوة فدعاهما

وعمرة الخثعمية اولى بالاتباع من اللغويين .

المفعول من الثلاثي المزيد

يصاغ اسم المفعول من الثلاثي المزيد على مُفعَل مثل مفعم ومرغم ، من أفعم وأرغم . لكن العامة تجعله غالباً على وزن مفعول فتقول : منتوج بدل منتَج ومزعوج بدل مزعَج . يفعلون ذلك في المزيد فقط ، دون المضعف الذي يجرون فيه على لغة الكتابة فيقولون : مرتب ومنظم وملون من رتب ونظم ولون . والسبب في هذا العدول عن القياس قد يرجع الى التباس المفعول بالفاعل لأن منتج بالفتح مثل منتج بالكسر الا اذا ميزت الحركة ، او استثقال زنة مُفعَل في المفعول . ويرجع هذا التحوير الى ازمنة سابقة تتصل بحقبة الشواهد ، كما يستفاد من قول شاعر متفاصح :

ولا اقول لقدر الحي قد غليت ولا اقول لباب الدار مغلوق

لأن الفصيح عنده غلت ومغلق .

لكن شاعراً سليقياً من ذلك الزمن قال :

بانت نعيمة والدنيا مفرقة وحال من دونها غيران مزعوج

فخطأه النحويون فقال يهجوهم :

ماذا لقينا من المستعربين ومن قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا

ان قلت قافية بكراً يكون بها بيت خلاف الذي قاسوه او ذرعوا

قالوا لحنت وهذا ليس منتصباً وذاك خفض وهذا ليس يرتفع[1]

(١) معجم البلدان ١٢/١٠٣ ـ ١٠٤ .

يلاحظ مع هذا ان بعض مشتقات **مفعل** تصلح في حالة الجمع مثل **منتجات ومنتوجات** كلاهما سائغ وغير ملتبس . وربما استدعى المعنى او السياق ايراد احدهما بدل الآخر . لكن هذه الميزة تختفي في مشتقات اخرى مثل **مزعوجات ومزعَجات** لأن الذهن ينصرف لدى رؤ ية الثانية الى صفة الفاعل ، مع ما فيها ايضاً من الحذلقة الواضحة .

حول اسم التفضيل

يشتق اسم التفضيل على زنة **افعل** مقترناً بحرف من . ويحظر اللغويون اجراء التفضيل في الأسماء والصفات على نفس الوزن مثل اسود وابيض واحمق . فلا يصح عندهم ان يقال : فلان ابيض من فلان او فلان احمق من فلان بل : فلان اشد بياضاً او اشد حماقة من فلان . . . وقد خرجت العامة على هذا الحظر فصارت تؤ دي التفضيل في كل هذه الحالات . ومطلب اللغويين يتنافى مع الحاجة الى الاختصار وهو - اي الاختصار - معيار اساسي في لغة العصر . ويبدو أن هذا التحريم شأن الكثير من قواعدهم مفروض على لغة الكتابة التي بالغوا كثيراً في ابعادها عن لغة الكلام لأن العرب قالوا قديماً في امثالهم : **احمق من هبنَّقة** ، والأمثال من لغة الكلام ، فهذا شاهد يدلنا على ان من قواعد لغة الكتابة ما افتعله اللغويون دون ان يكون له اساس في كلام العرب ، او انه كان في لهجة دون اخرى فاتخذوا من احداها قياساً للقاعدة وأهملوا الأخرى .

ثمة اشكال آخر يرد في تفضيل المؤ نث الذي يشترط له اللغويون وزن فعلى اذا كانت معرفة بال فيوجبون ان يقال : **اللجنة العليا** ولا يجيزون اللجنة الأعلى . وهم في ذلك يخلطون بين حالتين منفصلتين يترتب عن كل منهما معنى ليس للأخرى ، فقولنا اللجنة العليا يعني اللجنة التي ليس فوقها لجنة اخرى . فاذا كانت عدة لجان متراتبة واردنا الاشارة الى احداها قلنا **اللجنة الأعلى** ونفهم منها عندئذ لجنة اعلى من لجنة دونها لكنها في نفس الوقت ادنى من لجنة اخرى اعلى منها . والاشكال النحوي يقع في

كون اللجنة مؤنثة وأعلى مذكر فلا يصح ان يكون صفة لها . فاذا اردنا التعبير عن حالة كهذه وجب ان نقول : اللجنـة التـي هي اعلى . وهـو تطويل وحذلقة لا مسوغ لهما .

المنقوص النكرة

يوجب النحاة حذف الياء في المنقوص النكرة فلا يقال : هذا بنـاء عالي بل عال ، ويسبب هذا الحكم تخليطاً في القراءة كأن يقال : بال بدل بالي فيحتار القارىء ان كان المقصـود ماضي الفعـل يبـول ، ام الـذاكرة (البال) ام مفهوم البلى ؟ ولدينا سوابق تنـاهض هذا التحـريم منهـا قول الشافعي في «الرسالة» : «فرق النبي عمالاً على نواحي عرفنا اسماءهم .» وقد صوبها محقق الرسابة احمد محمد شاكر وقال ان لها وجهاً في اللغة[1] ومن الشواهـد الشعـرية قول الفـرزدق يهجـو لغـوياً من الموالي كان يلاحقـه بالتخطئة :

ولـو كان عبـد الله مولى هجوته ولـكن عبـد الله مولى مواليا

نفس الشيء والشيء نفسه

يمنع اللغويون ان يقال : نفس الشيء أو يمين الشيء او ذات الشيء ويوجبون ان يقال : الشيء نفسه ، والشيء عينه ، والشيء ذاته . ولكل من هاتين العبارتين معنى ليس للأخرى ، فاذا منعت احداهما تعذر على الكتاب ان يجدوا وسيلة للتعبير عما تدل عليه . وتتضح المفارقة اكثر عند الترجمة من الانكليزية حيث توجد عبارتان في هذا الخصوص :

THE THING ITSELF, SAME THING

فاذا ترجمنا الأولى الى الشيء نفسه لم يبق مقابـل للثـانية . فالأفصـح ان يقال : نفس الشيء للأولى ، والشيء نفسه للثانية .

---

(١) بند ١١٣٧ ص ٤١٥ .

البعض والكل

يحرم اللغويون اقترانهما بال التعريف لأنهما معرفتان في نية اضافة والمضاف لا يعرف بال . فاذا قلنا جاء بعض وذهب بعض كان قصدنا : جاء بعض القوم وذهب بعض القوم . . وهذا تحكم يصدر عن الغلو في التابو فيجب ان لا يتقيد به الكتاب .

التفريق بين الضاد والظاء

ينطق الظاء في العراق وشبه الجزيرة صافياً كما هو . ويحول في لهجات اخرى الى صوت شبيه بالزاي المفخمة او الصاد المجهورة في مثل : يصدر وقصدير . وهو نطق قديم للصاد في مثل هذه المفردات . اما الضاد فينطق في العراق والخليج صوتاً شبيهاً بالظاء . وهو المسمى قديماً بالضاد الضعيفة . وهذا الصوت هو كل ما تبقى من الضاد التي زالت من بقية اللهجات وصارت تلفظ صوتاً قريباً من الدال . وليست لدى الاصواتيين اليوم فكرة قاطعة عن الصوت الأصلي للضاد سوى لفظه العراقي الممتزج بالظاء . وعلى اية حال فان هذا التغير في صوت الضاد قد سبب الصعوبة التي نعانيها في التمييز بينه وبين الظاء في الخط . وفي تقديري ان التطور الذي اصاب الظاء في اللهجات العربية الأخرى كالسورية والمصرية مفيد للتمييز لأن المصري والسوري قلما يخلطان في كتابتهما اذا تركا في التعليم دون تعديل . لكن لجاجة مدرس اللغة تفرض تحوراً في النطق يؤدي الى التقارب في لغة القراءة بين الحرفين . والمتعلم السوري كما رأيته بلفظ الظاء ظاء في القراءة و «صاداً مجهورة» في الكلام ولو ترك لعفويته لما اختلط عليه الأمر في الخط .

على ان المشكلة تبقى مع الناطقين بالضاد والظاء مع العرب . ولا سبيل الى حلها الا بالتساهل واغماد سوط الارهاب المدرسي ضد الطلاب والمتعلمين . وقد ورد عن اللغوي القديم ابن الاعرابي ان العرب كانت لا تفرق بين الضاد والظاء فتضع احدهما في مكان الآخر[1] . ونحن في الوقت الحاضر احوج من القدماء الى هذه الرخصة . ويمكننا ان نبادل بين الحرفين في المفردات غير الملتبسة ، وهي معظم الظائيات والضاديات فنكتب : ظاهر وضاهر ، وضابط وظابط ، وناهض وناهظ . . . ولا نتقيد بالتفريق الا في مفردات متجانسة مثل : ضلال وظلال وهي قليلة يمكن حفظها دون عناء كبير .

---

(١) انظر ترجمته في الجزء الأول من وفيات الأعيان .

ملاحق



حول الحروف غير الفصيحة

قدر حمزة الاصفهاني حروف اللغات بمجموعها بأربعين وقال ان الأبجدية التي تجمع هذه اللغات يجب ان تكون اربعين[١] . ويستشرف حمزة بهذا القول حلم اللغة العالمية ، المفترض انها تضم جميع الأصوات التي يمكن للبشر أن يتلفظها ، رغم ان تقديره ادنى من الواقع .

وفي بحث الزمخشري للحروف قال ان عددها في العربية يرتقي الى ثلاثة واربعين[٢] ؛ الحروف الأصول ـ التسعة والعشرون ـ وتتفرع منها ستة مأخوذ بها في القرآن هي الهمزة بين بين[٣] والنون الساكنة التي هي غنة في الخيشوم نحو عنك وتسمى النون الخفيفة والخفية ، والفا الإمالة والتفخيم نحو عالم وصلاة والشين التي هي كالجيم نحو اشدق .

واعتبر الزمخشري هذه الأصوات مقبولة وفصيحة . ثم ذكر بقية الأصوات وقال انها مستهجنة وهي : الكاف التي كالجيم والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والصاد التي كالسين والطاء التي كالتاء والضاد الضعيفة والطاء التي كالثاء والباء التي كالفاء .

ان الأصوات الأساسية من بين هذه هي : الشين التي كالجيم ، الكاف التي كالجيم ، الجيم التي كالكاف ، والباء التي كالفاء . ولم يذكر الزمخشري القاف التي كالكاف ـ قاف حمير ـ ربما لأنه اعتبرها صوتاً واحداً مع الجيم التي كالكاف . وفيما يلي موجز عن كل منها دون أن نتقيد برأي الزمخشري فيما استحسنه واستهجنه منها لأنه مبني على البلاغة القرآنية ،

---

(١) «التنبيه على حدوث التصحيف» . تحـ . أسعد طلس . احياء عبد المعين الملوحي واسماء حمصي . دمشق ١٩٦٨ ص ٣٣ .

(٢) المفصل ص ٣٩٤ .

(٣) راجع تفصيلها في : «الأصوات اللغوية» لابراهيم انيس ص ٩١ وما بعدها .

ومع ان القرآن هو المعيار الأعلى للبلاغة العربية فان خلوه من حرف او صوت او مفردة لا يعني سقوطها من اللغة لأن القرآن ليس هو اللغة كلها .

الشين التي كالجيم : اي شين اشدق ، وقد ذكر الاستاذ ابراهيم انيس من امثلتها في اللهجة المصرية مشغول وهو نفس نطقها في اللهجة العراقية . ويشبه هذا الصوت الزاي الكردية التي تكتب زاياً مثلثة ژ ومنها ژين : حياة . ونجدها في الانكليزية في الفاظ كثيرة ملفوظة غير مكتوبة مثل : TREA SURE ويمكن لهذا الصوت ان يرسم في العربية على غراره في الكردية اي زاي مثلثة . الكاف التي كالجيم : هي كاف الكشكشة التي تقابل الحرف CH في الانكليزية والاسبانية وبعض اللغات الأوربية الأخرى . وهذا الصوت في معظم اللغات فينبغي ان لا نستغرب وجوده في العربية ويكتب رمزه حالياً جيم مثلثة چ او تاء بعدها شين : تش .

الجيم التي كالكاف: ويقابل حرف G في اللغات الأوربية اذا لم يعقبه حرف علة يائي . ويوجد هذا الحرف في معظم اللهجات[١] ربما باستثناء شمال العراق وسوريا الطبيعية ـ وان كانت منطوقة ايضاً في انحاء من فلسطين والأردن ـ ويكاد هذا الصوت ان يكون مشتركاً في كل لغات العالم التي قدر لنا ان نستمع اليها حتى الآن ، فمن الطبيعي بالتالي ان يكون في العربية قديمها[١] وحديثها . وهو يرسم في لغة الكتابة بعدة اشكال : گ ، غ ، ويرسمه المصريون ج وينطقونه قاهرياً .

(*) يحتمل انه كان كذلك في لهجات الاندلس ، وقد مر بنا ان بعض القافات العربية حورت في الاسبانية الى G وبعضها الى C او K والكثير من القسم الأول يلفظ اليوم بالقاف الحميرية في لغة الكلام ، مثل : ALGODON القطن ، ACELGA السلقي ، بينما حرفت قاف قايد الى alcaide: c وتلفظ هذه الكلمة حالياً بالقاف الصريحة في معظم اللهجات التي تلفظ القاف الحميرية .

(١) استنتج الاستاذ انيس ان هذا الصوت كان ملفوظا في الحجاز أيام النبي . انظر : «الأصوات اللغوية» ص ٨٦ ـ ٨٧ .

الباء التي كالفاء

هي الباء المثلثة التي تقابل حرف (p) اللاتيني . وكان يحول في لغة الكتابة احياناً الى فاء كما نجد في تغيير اصبهان الى اصفهان . وهذا الصوت نادر في اللهجات العربية المعاصرة ـ حسب علمي ـ ونجده في عامية الوسط العراقي ـ المدن غالباً ـ في تلفظ مفردات اغلبها دخيل من اصل فارسي او تركي . وقد نسب النطق به قديماً الى بني عقيل .

في رأينا ان هذه الحروف يجب ان تستعاد في لغة الكتابة . وقد مر بنا انها كانت تنطق لا في لغة الكلام فحسب بل وفي قراءة النصوص المكتوبة بما فيها القرآن . ويأتي استبعادها في العصر الحديث من كونها لم ترد مرسومة في الخطوط التي وصلتنا . وعدم رسمها لا يعني عدم نطقها . وقد مر بنا آنفاً لفظ الزاي الكردية في الانكليزية وهو غير مكتوب وفيها ايضاً كثير من حالات الكشكشة تلفظ ولا تكتب ، وفي الاسبانية حيث يلفظ حرف C اذا وليه حرف علة يائي ، وحرف Z ، على اطلاقه ، ثاء في اللهجة الغالبة باسبانيا ، وفي معظم امريكا اللاتينية سيناً وزاياً مع ان الخط واحد .

وانا ارى وجوب اخضاعها لحكمين ، الأول ان تكتب لها المفردات المعربة التي تحتوي عليها دونما حاجة الى ابدالها بالأصوات المألوفة في لغة الكتابة الحالية ، والتي قصرنا عليها وصف الفصاحة . مع العلم اننانفعل هذا في الغالب . فالمثقفون ينطقون هذه الأسماء مثلاً كما ترد في اصلها : هيغل ، امبريالية ، تشرتشل . . . ويمكن ان نكتب على هذا الاساس معربات من قبيل : دوغما وديماغوغي وتنغستن فنلفظها قافاً حميرية من غير ان نضطر الى الابدال .

الثاني ان لا نتشدد في الابدال عند التعليم في بلدان او اقاليم تنطق بمثل هذه الأصوات وان يترك ذلك لاختيارات المتعلمين بعد ان يتقدموا في الدراسة . ومن المعروف اننا الآن نسمع المصري يقول : **گامعة القاهرة** ونعرف ببساطة انه يعني جامعة القاهرة ونسمع اهل الكشكشة يقولون للمرأة ثيابتش ونعرف انهم يعنون ثيابك . هذا حين يصعب التعليم على الابدال .

ويبدو ان قولبة الأصوات ليست هينة ، كما انها ليست ضرورة لوحدة اللغة . والاصوات بطبيعتها عرضة للتغير المستمر والسريع[1] ففي الانكليزية مثلاً يكاد حرف الراء يختفي في بريطانيا بينما يتضخم نطقه في الولايات المتحدة ، وبعكسه التاء الذي يقترب لفظه اليوم في الولايات المتحدة من الراء بينما يحتفظ في بريطانيا بكامل جرسه .

ومن الخطأ تطبيق مقاييس الفصاحة على هذا الاساس ما دامت هذه الحروف (غير الفصيحة) قد نطق بها العرب قديماً وان الذين ينطقون بها حديثاً انما يواصلون في الغالب نطق آبائهم . مقياس الفصاحة هنا نسبي لأنه يعتمد على حروف وصلتنا مخطوطة لا منطوقة . فنحن قد نرى مثلاً ان لهجة الأرياف السورية ولهجة شمال العراق هي الأفصح بالقياس الى المكتوب حالياً لأنها خالية من هذه الحروف لكن الحقائق التي عرفناها للتو تدل على ان هذه المقاربة رهن بشكل معين من الكتابة . ولو أن هذه النصوص وصلت الينا مسجلة بآلات التسجيل لتغيرت مقاييس الفصاحة عندنا !

على اننا في الحقيقة لم نكن في حاجة حتى الى هذا الاجراء وعندنا القراءات العشرة للقرآن ، وهي بحد ذاتها دليل مضاد للقولبة وعلى ان وحدة اللغة كما استجليت في القرآن تختلف عن تصورنا الراهن لها . ويجب ان لا يغيب عن بالنا ان اللغة العربية هي من اللغات الكبرى من حيث : سعة قاموسها ، وكثرة المتكلمين بها ـ الذين يزيدون اليوم على مئة وخمسين مليون ـ وسعة المساحة التي تنتشر فيها وهي تزيد على مساحة قارة اوربا . وكانت تقف هذه الحقيقة وراء تعدد اللهجات قديماً ، وهي اليوم، وقد اتسعت المساحة وتضاعفت ملايين الناطقين باللغة، تفرض علينا تصوراً لوحدتها يستبعد هذا الشكل من القولبة ويعتبر الاختلاف عاملاً مساعداً على اثراء اللغة: مفردات ومصطلحات واصواتاً، وبالتالي

---

(١) استشرف العلامة ابراهيم انيس احتمال تطور القاف في مصر الى الكاف مستنداً الى دراستها اصواتياً . انظر : الأصوات اللغوية ص ٨٧ ـ ٨٨ .

قد لا يكون من الصواب ان نصر على طريقتنا في استبعاد الحروف «غير الفصيحة» بل بالأحرى ان نتجه الى تعميمها واعتبارها جزءاً اساسياً من الأبجدية العربية .

ومن المفيد بهذه المناسبة ان نذكر بأن الأبجدية الكاملة توجد حالياً في لهجة بغداد التي تنطق فيها حروف لغة الكتابة كلها مضافاًإليها الحروف «غير الفصيحة» كلها . وتقتصر هذه الظاهرة على لهجة بغداد دون اللهجات العراقية الأخرى ، ففي الشمال تنعدم الكشكشة والقاف الحميرية ، وفي بعض نواحي الجنوب تنعدم الكاف او الجيم او القاف .
اجتماع الأبجدية العربية الكاملة في بغداد له سبب تاريخي حيث كانت بغداد حاضرة العالم الاسلامي ومركز الحضارة السلامية وكانت بالتالي مقصداً للعرب من شتى الجهات والقبائل. وقد ناهز سكانها في عصرها الذهبي مليونين وهو رقم قياسي في حساب السكان قديماً . هذا فضلاً عن النسبةالعالية في عدد زوارها الذين كانوا يحجون اليها لمختلف الأغرا ض . ولا شك انها جذبت اطرافاً من شتى القبائل العربية فكان هذا الشمول الصوتي الذي تتميز به لهجتها الآن . ورغم ان لهجة بغداد تعرضت لتشويه كبير بعد انتهاءالعصور الاسلامية وخضوع المدينة لاحتلالات اجنبية متعاقبة فقد حافظت حتى الآن على هذا الشمول في ابجديتها . ومن الجدير بالذكر ان البغاددة يستطيعون تلفظ اصوات الأجنبية دون صعوبة لأن جهازهم الصوتي متمرس بعدد وافر من الأصوات قد يزيد على الأصوات المحدودة في اية لغة على انفراد .
ومجموعها حاليا اربعون بعد اسقاط الضاد الأصلية وحرف لا الذي هو حرف لا صوت ، واعتبار الضاد والظاء صوتاً واحداً .

الجموع ودلالاتها

تتشكل ظاهرة الجموع في العربية في قطاع لغوي منفصل عن قطاع المفرد يصل في احيان كثيرة الى مرتبة الاستقلال الدلالتي . وهـذا بدوره مؤشر على تطور ايجابي في اللغة حين يقارن بصيغ الجمع البسيطة في بعض اللغات كالانكليزية والفرنسية . فالجمع في هاتين اللغتـين يتـم باضافـة حرف S الى المفرد وهي صيغة كتابية في المقام الأول لأنها غـير ملفوظـة في الفرنسية بحكم القاعدة النحوية فيها ، وغالبا ما تدغم في الانكليزية عند الكلام فلا يعرف الجمع من المفرد . والتفريق بين المفرد والجمع ضرورة علمية وحياتية في آن واحـد ، ونجـده في صيغ متطـورة ببعض اللغـات كالألمانية التي تستعمل في بعض جموعها لاحقة من حرفين هما الياء والنون فيقال في جمع MENSLH انسان MENSCHEN . وفي الصينية لاحقة جمع متميزة هي مين تلحق بالمفرد عند جمعه . ومثالها : **تونجه** بمعنـى «رفيق» تجمع على : **تونْجَمِين** وتدخل هذه العلامة كذلك على الضمائر في حالـة الجمع لكنها قليلة فيما عداها .

ونجمل فيما يلي خصوصيات الجموع في العربية :

١ ـ اختلاف الدلالات باختلاف أبنية الجمع للمفرد الواحد . ومن امثلته : قوة : اذا جمعت على قوات افادت المفهوم العسكري واذا جمعت على قوى افادت الدلالة المعنوية . فيقـال : القـوات البـرية اي الجيش البري . والقوى السياسية أي الأطراف العاملة في مضمار السياسة .

رسالـة : تجمـع على رسائـل فتفيد خطابـات البـريد وتجمـع على رسالات فتفيد النبوات وما في حكمها من المهام التاريخية الكبرى . وقد ورد في القـرآن : «ابلغـكم رسـالات ربـي» ولـم يقـل «رسائـل ربـي» وللجواهري :

تأبـــى انحـــلالاً رســـالات مقدسة
جـــاءت تقـــوم هذا العالـــم الخرِبا

بيضة : اذا جمعت على بيض وبيضات افادت البيض المعروف فاذا جمعت على بيوض اختصت بالحشرات والديدان . ولهذا لا يقـال بيوض الدجاج بل بيض الدجاج ولا يصـح ان يقـال بيض الحشرات بل بيوض الحشرات . . .

٢ ـ هناك الفاظ متداولة في حالة الجمع دون المفرد اما لالتباس المفرد بغيره او لانه غير مألوف او مستثقل . ومن هذه : **شمائل** مفردها شمال وهو مختلط باسم الجهة فأهمل . ولجمعه دلالة مستقلة على معناه . **وفطاحـل** مفردها فِطحْل اهمل لأنه مستثقل في اللفظ .

٣ ـ والفاظ مفردها متجانس وجمعها مستقل ، ويصح هذا الوضع على شمائل التي مرت آنفاً ، ولكن مع فارق وهو أن مفرد شمائل لا يدل على المعنى الذي يؤديه الجمع ، اما هنا فالمفرد دال ومتداول فيه . مثـلاً ضرب بمعنى «نوع» يتجانس مع المعنى المعروف لكنه متداول بهذا المعنى ايضاً . ويتميز جمعه بدلالة مستقلة لأنه يجمـع على **ضروب** فيفيد معنـى الأنواع حصراً . ويستحسن لذلك اخذه دون مفرده . ومن هذا ايضاً : **خاصة** . مفردها متجانس مع اللفـظ المضـاد للعامـة وجمعهـا على **خواص** يعطيها في الوقت الحاضر معنى الخصائص والخصال .

٤ ـ هناك جموع تكسيرَ ومؤنث سالم ينسب اليها فتكتسب دلالـة حاصرة على المنسوب ، وقد شاعت في العصور الاسلامية مثل **الدوانيقي** لقب ابو جعفر المنصور وكتبي لبائع الكتب **وساعاتي** لصانع الساعات او المشتغل في امورها . وقد تحدثت عن هذه الجموع في باب الاصطلاح .

٥ ـ وتنقسم جموع التكسير الى جموع قلة وجموع كثرة . وينبغي على الكتاب ان يتقنوا التفريق بينها توخياً للدقة . والأوزان المعتـادة لجمـوع القلة هي : فِعلة ، أفْعِلة ، افعال ، وأفعُل . والأول غير موجود في اللغة المعاصرة منطوقها ومكتوبها . اما الثاني فمتداول في المكتوب دون المنطوق

- بقدر ما يتعلق بلغة الجيل السابق - ومن امثلته : اسورة جمع سوار والكثرة اساور والثالث معروف في اللهجتين ومثاله : اوراق جمع ورقة وكثرته : ورق والرابع معروف ايضاً فيهما ومثاله انفس جمع نفس وكثرته نفوس . مع التنويه بأن هذه الأبنية لا تدل دوماً على القلة لأن بعض الجموع تقتصر عليها ، مثل سبب يجمع على اسباب في كل الأحوال وهو بناؤه الوحيد ، واطعمة جمع طعام ..

يفيد القلة حصراً جمع المؤنث السالم للمصغر ، ومثاله : لقيمات وبويتات ووليدات .. وهي جموع قلة كثرتها : لقم وبيوت وولد .. وتكثر هذه الجموع في ارياف العراق من خلال تعابير عفوية ينعكس فيها بؤس الفلاحين وأوضاعهم المهينة .

وفي الجموع العربية مع هذا عيوب ومشاكل ، فبعض ابنيتها غير صالح!ة وفي بعضها الآخر تطويل كجمع المذكر السالم للمفردات التي يأتي وزنها على فعيل والمؤنث السالم للمفردات على وزن فعلى . وقد عالج الفصحاء قديماً والعامة حديثاً هذه الصعوبات باللجوء الى الخيارات التي يوفرها التصريف ؛ فكسر القدماء كثيراً من جموع فعلى على فُعُل ومنها الألوان فقالوا : حمر وسود وبيض بدلاً من احمرين وحمراوات وسوداوات وسودات وابيضين وبيضاوات . . . وهو الجمع السائد ايضاً في عامية اليوم . وجمعوا اوزان فعيل على صيغ تكسير خفيفة بدلاً من المذكر السالم او المؤنث السالم فقالوا : جريح وجرحى ومريض ومرضى ، كبير وكبار وصغير وصغار . واتجهوا الى حصر المذكر السالم في اوزان الفاعل من الرباعي كمؤمن ومصلح ومذنب لخفتها .

ومما يدخل في باب التسهيل جمع اسماء الشعوب ، التي تشغل مكاناً واسعاً في لغة اليوم ، لا سيما الصحافة ، فالكثير منها يجمع في اوزان تكسير خفيفة .. مثل : عربي عرب ، سوفييتي سوفييت ، روسي روس ، بلغاري بلغار ، افغاني افغان ، كردي اكراد ، تركي اتراك ، فارسي فرس ، اسباني اسبان ، هندي هنود ، اغريقي اغريق ، يوناني يونان ،

انكليزي انكليز ، امريكي امريكان ، لاتين امريكي لاتين امريكان . . . . ويمكن التوسع في هذه الحالات لتكسير اي اسم مماثل خلاصاً من المذكر السالم .

هناك ايضاً مفردات يمكن ان يتساوى مفردها وجمعها ولو على غير قياس . مثل احتياط يمكن ان يقال : العضو الاحتياط والأعضاء الاحتياط ولا داعي للاعضاء الاحتياطيين كما يتحذلق بعض الكتاب . وقد جاء في القرآن : «ويخرجكم طفلاً . . .» و«هؤلاء ضيفي» ويكتب بعض المصريين على هذا الغرار : عشرة كتاب ، خمسة درهم ، تسعة قلم . . . .

معضلة التشكيل

من المعروف ان الكلمة العربية تتضمن اصواتاً مضمرة هي الحركات الثلاثة : الفتحة ، والضمة والكسرة ، فهي تقرأ بكل حروفها مضافا اليها هذه الأصوات غير المكتوبة ويأتي هذا على النقيض من بعض اللغات ، كالانكليزية والفرنسية . . التي تحتوي الكلمة فيها على اكثر من المقروء ، اي حروف زائدة . وتوفر الكلمة العربية باضمار الحركات اختزالاً في المساحة التي يشغلها المكتوب يصل احياناً الى النصف ، كما في هذا المثال :

TELEVISION

تِلِفِزِن

لكن خلو الكلمة من الحركات يعرقل قراءتها مضبوطة . ويفترض ان العربي يتعلم لفظ الكلمة الصحيح من خلال التعليم ، وقد اثبتت هذه الوسيلة جدواها في شيوع التلفظ الصحيح لأغلب الكلمات المكتوبة دون حاجة الى تشكيلها . ولسنا نجد بين المتعلمين من يخطىء في قراءة كلمات من قبيل : حياة ، نشاط ، كتابة ، قراءة ، سياسة ، يلعب ، يمشي ،

يركض ، دفتر ، قلم ، مطر ، سماء ، سحاب ، نجوم ، كوكب ، جسم ، جسد ، مسألة ، اقتصاد ، انثروبولوجي ، فيزياء، علم ، معرفة ، يكتب ، كفاح ، صراع ، مساواة ، حزب ، حكومة ، . . . والوف المفردات الأخرى . . وانما يخطئون في حركتها الاعرابية وهي شيء طارىء على بنية الكلمة .

لكن هناك حاجة الى التشكيل في حالات معينة منها :

١ ـ ان تكون الكلمة غير مألوفة تماماً فيلزم تشكيلها حتى تشبع ويتعود الناس على قراءتها مضبوطة .

٢ ـ تمييز الفعل المبني للمجهول وهو ضروري جداً ، اذ غالباً ما يخطيء فيه القراء . ولا يتطلب ذلك غير وضع الضمة على اول الفعل وهي العلامة الأساسية للبناء على المجهول . وقد بينت سابقاً امكان تقليص استعمالات هذا الفعل باللجوء الى صيغة المطاوعة المستعملة في لغة الكلام .

٣ ـ بعض حالات المزيد او المضعف من الثلاثي التي تقتضي التمييز حتى لا تختلط بالثلاثي . مثلاً : يقبل (من القبول) يقبل (من الاقبال) يقبل من (التقبيل) ويقتضي تمييزهاوضع الضمة على الياء والكسرةعلى الباء لافادة الاقبال، والضمة على الياء والكسرة مع الشدة على الباء لافادة التقبيل . ومع البناء للمجهول توضع الفتحة مع الشدة . والحاجة الى التمييز في المضارع المزيد تقتصر على المضارع لأن ماضيه متميز بنفسه : قبل ، أقبل . اما ماضي المضعف فيمكن الاقتصار في تمييزه على الشدة قبّل

قال الاستاذ محمود تيمور ان الحركات هي حروف ناقصة ـ أي صغيرة ـ في الكلمة العربية حقها ان تستوفى كما في اللغات الأجنبية . وقد وضع مشروعاً لحروف الطباعة يتيح اضافة الحركات الى الكلمة ، ويقوم على تقليص مفاتيح مكائن التنضيد الى ثلاثين بالاكتفاء من صور الحروف بصورة واحدة ، مما يوفر جهداً كبيراً يستفاد من بعضه لاضافة الحركات من دون عناء . وفيما يلي صورة من المقترح منقولة من كتابه «مشكلات اللغة العربية» . .

صَحِيفَةُ ٱلْمِثَالِ

أَرَى أَنْ نَقْتَصِرَ مِنْ صُوَرِ ٱلْحُرُوفِ عَلَى صُورَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَبِذٰلِكَ يَكُونُ لِصُنْدُوقِ ٱلْحُرُوفِ ٱلْمَطْبَعِيَّةِ عُيُونٌ لَا تَتَجَاوَزُ الثَّلَاثِينَ عَدًّا . فَنَتَخَلَّصُ مِنْ تِلْكَ ٱلْعُيُونِ الَّتِي تَزِيدُ عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ . وَأَنْ نَتَّخِذَ عَلَامَاتِ ٱلضَّبْطِ ٱلْمُتَعَارَفَةَ ٱلْجَارِيَ بِهَا الِاسْتِعْمَالُ ، وَسَيُرَحِّبُ بِهَا صُنْدُوقُ ٱلْحُرُوفِ الَّذِي تَخَفَّفَ مِمَّا كَانَ يَغَصُّ بِهِ مِنَ الصُّوَرِ ٱلْمُتَعَدِّدَةِ لِلْحُرُوفِ ٱلْأَصْلِيَّةِ وَٱنْفَسَحَتْ جَوَانِبُهُ لِتَقَبُّلِ هٰذِهِ ٱلْحَرَكَاتِ فِي غَيْرِ مَشَقَّةٍ وَلَا عُسْرٍ . وَطَوْعًا لِهٰذَا يَتَوَافَرُ لِلطِّبَاعَةِ غُنْمٌ مِنَ ٱلسُّهُولَةِ وَالتَّيْسِيرِ .

كَمَا يَتَوَافَرُ لِلْكِتَابَةِ غُنْمٌ مِنْ تَعْمِيمِ الضَّبْطِ بِلَا عَنَاءٍ .

وَأَقْتَرِحُ أَنْ تَكُونَ الصُّورَةُ الَّتِي نَقْتَصِرُ عَلَيْهَا مِنْ صُوَرِ الْحُرُوفِ هِيَ الصُّورَةَ الَّتِي تَقْبَلُ الاتِّصَالَ مِنْ بَدْءِ الْكَلِمَاتِ ، وَهِيَ الَّتِي يُسَمِّيهَا أَهْلُ فَنِّ الطِّبَاعَةِ : حُرُوفًا « مِنَ الأَوَّلِ » . عَلَى أَنْ تُؤْثَرَ الْكَافُ الْمَبْسُوطَةُ وَأَنْ تَظَلَّ حُرُوفُ الأَلِفِ وَالدَّالِ وَالذَّالِ وَالرَّاءِ وَالزَّايِ وَالْوَاوِ وَالتَّاءِ الْمَرْبُوطَةِ وَاللَّامِ أَلِفِ بَاقِيَةً عَلَى صُورَتِهَا فِي حَالَةِ إِفْرَادِهَا .

وَهَا هُوَ ذَا نَمُوذَجُهَا فِي صُنْدُوقِ الْحُرُوفِ الْمَطْبَعِيَّةِ :

أ بـ تـ ثـ جـ حـ خـ د ذ ر ز سـ شـ صـ ضـ

طـ ظـ عـ غـ فـ قـ كـ لـ مـ نـ هـ ة و لا يـ

وقد اخـذت بعض المطابـع ببعض افـكار هذا المشروع فيما يختص بتوحيد صورتي الحرف الأولية والوسطية في صورة واحدة . وملاحظاتنـا عليه :

١ ـ ان صورة الحرف الأخير ملتبسة في بعض الكلمات . مما يوجب ابقاءها على صورتها الأصلية . ومن هذه : النون المشتبهة بالذال ، وياء المقصور المشتبهة بياء المنقوص كما في على .
٢ ـ ان الحروف متباعدة قليلاً مما يجعلها تشغـل مساحـة اكبـر من الحروف الحالية ، وينبغي ازالة الفجوة بين الحروف لتقليص المساحة .

٣ ـ الافراط في التشكيل يتنافى مع الاقتصاد في الجهد ، وقد يؤ دي الى عكس الغرض حين يجد القارىء نفسه ضائعاً في أجمة الحركات . ان عبارة مثل : **ارى ان نقتصر من صور الحروف على صورة واحدة** . لا تحتاج اي حركة لقراءتها مضبوطة ، فلا داعي لاثقالها بهذه الاضافات . ومن الحري بالتنويه هنا ان اللغة الانكليزية تكتفي لضبط القراءة بوضـع اللفظ الصحيح للكلمة في القواميس فقط . وهذه سابقة ينبغي الاستفادة منها ، وان كانـت امكانـات الضبـط عندنـا خلال الكتابـة لا تثير نفس المشكلة ، لأن ضبط الكلمة الانكليزية يقتضي رد كتابتها كاملـة بلفظهـا الصحيح ، وضبطها بالعربية لا يقتضي اكثر من الحركات . ومع هذا فان الاصرار على التحريك الكامل لكل كلمة قد يكلف جهداً لا يقل عن رد الكتابة بالحروف الكاملة لنطقها .

اخيراً ارى الاشارة الى ان هنـاك مشروعـات تيسـير طباعـة كثـيرة عرضت حتى الأن . اقربها الى مشروع تيمور هو مشروع الشاعر والفنان العراقي الأصل محمد سعيد الصكار المقيم حالياً في باريس . وقد تعـذر تنفيذ اي من هذه المشروعـات لأن تنفيذهـا يتـوقف على الـدول لا على الأفراد . وما لـم تبادر دولة ما الى التفكير في هذه المشكلة بعيدا عن مطالب الدعاية والاعلام فانها ستبقى مشروعات . . .

فكرة حول كتابة الحوار

مر بنا ان الجاحظ دعا الى كتابة الحوار كما ينطقه المتحاورون وانه التزم هذه الخطة في كتاب «البخلاء» . وان كان ما بقي من النسخ الواصلة الينا من هذا الكتاب لا يعطينا صورة كافية عن كيفيتها .

ان خطة الجاحظ على اي حال كان يجب ان تبعث في هذا العصر لكي تساعد على حل مشكلات لغة الحوار القصصي والمسرحي . ان السائد حتى الآن في هذا المضمار هو اما الكتابة بلهجة محلية صرفة لا تصلح الا لبلد معين او حتى جزء من بلد ، واما الكتابة بلهجة كاملة (الفصاحة) تفرض على المثقف والعامل والفلاح ولا تراعي واقع الفروق الثقافية الكبيرة بين فئات المجتمع .

واستئناسا بما وقفنا عليه حتى الآن من تجارب الكتابة بنمط موحد والقراءة بانماط مختلفة ، كما في القراءات القرآنية ، يمكن ان نتصور شكلا من لغة الحوار تلتزم به الأعمال الفنية المكتوبة لتقرأ على نطاق عربي عام ، ويقوم على كتابتها بلهجة عامية مفصحة ، مشتركة بقدر الامكان ، تصلح لقراءات مختلفة بحسب اللهجات . ولنضرب مثلا في هذا الحوار لرجل فقير يخاطب بنتا عابثة ، وقد اقتطعته من قصة صينية ترجمتها :

ـ روحي من هنا . امشي . انسان ما يقدر يدفىء نفسه بالنار تجين انت وتنفخيها حتى تنطفي .

هذا الحوار يمكن ان يقرأ بحروفه الموحدة في الخط على الأوجه التالية بحسب اللهجات .

١ ـ في القاهرة :

روحي من هنا . امشي . انسان ما يأدرِ يدفي نفسُهْ بالنار تِكين انت وتنفخيها حتى تِنطَفي .

٢ ـ في دمشق وبيروت :

روحي من هُنا[1] . امشي . انسان ما يأدر يدفي نفسه بالنار تجين انت وتنفَخيها حتى تِنطَفي .

٣ ـ في بغداد .

روحي منّ هْنا . امشي . انسان ما يگدر يدفي نفسَه بالنار تجِين انت وتِنُفْخيها حتى تِنطِفي .

٤ ـ في السودان .

روحي من هَنـا . امشي . انسان ما يگَدر يدفي نفسُه بالنار تَجين انت وتَنفَخيها حتى تَنْطَفي .

٥ ـ في جنوب العراق والخليج :

روحي منّ هْنا . امشي . انسان ما يكدر يدفي نفسُه بالنار تَجين انت وتَنفَخيها حتى تَنْطَفي .

٦ ـ في اليمن :

روحي منْ هنا[1] . امشي . انسان ما يقدر يدفي نفسُه بالنار تَجين انت وتَنُفخيها حتى تَنَطفي .

٧ ـ في شمال العراق

روحي من هنا[1] . امشي . انسان ما يقدر يدفي نفسُه بالنار تجين انت وتنفَخيها حتى تِنطَفي .

هـذا ما امكننـي تصـوره من قراءات تقـريبية . ويتعـذر علي استقصاؤها في جميع اللهجات بسبب خبرتي المحدودة فيها . وينقص هذه الصور تعيين النبرة التي لا يمكن كتابتها . وقـد اعترضنـا في هذا النص إشكال هام هو كلمة هنا التي تلفظ في سوريا وشمال العراق هون وهوني . وفي بعض لهجات اليمن هانا . وفي حالة كهـذي لا بد من التفصيح النسبي بابقاء هنا على حالتها ، وتركها لتلفظ بحسب النبرة بدرجة تقربها من الكلام الدارج . ويُعتمد في هذا الاجراء على الأدوار التـي يؤجلها التفصيح للخروج بالدراج من خاميته ومحليته الصرفة .

الأبجدية العربية الكاملة

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش

ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ

و ي

الهمزة . تش (كاف الكشكشة) . ك (قاف حمير او جيم القاهـرة) . ژ (الزاي الكردية) . پ

الفهرس